

الفقه

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

من فقه الزهراء (عليها السلام)

المجلد الأول

حديث الكساء

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين
اللهم صل على محمد وأهل بيته
وصل على البتول الطاهرة
الصديقة المعصومة
التقية النقية
الرضية المرضية
الزكية الرشيدة
المظلومة المقهورة
بحار الأنوار، ج٩٧، ص٢٠٠، ب٥، ح٢٠ ط بيروت

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، سيما المحدثة العليمة، التقية النقية، الرضية المرضية، الصديقة الكبرى، فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

إن سيدة النساء فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) مجهولة قدرًا ومهزومة حقًا، ولعل من مصاديق مجهولية قدرها، عدم الاستفادة من كلماتها وخطبها في: (الفقه) وعدم إدراجها ضمن الأدلة أو المؤيدات التي يُعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية، ولذلك فقد استعنت بالباري جلّ وعلا في الكتابة حول ذلك (١) رجاء المثوبة وأداء لبعض الواجب والله الموفق.

والروايات المذكورة في هذا الكتاب بعضها صحيح من حيث السند وبعضها حسن أو موثق وبعضها الآخر وإن لم يطلق عليها ذلك اصطلاحاً - حسب ما جرى عليه علماء الدراية والرجال - إلا إن الغالب منها قد ورد في باب المستحبات والآداب، مما يشمل حديث: (من بلغه....) (٢) وغيره.

بالإضافة إلى الشواهد الكثيرة المؤيدة لها في الآيات والروايات الأخرى، وهي قرينة خارجية. إضافة على قوة المضمون في بعضها - وهي قرينة داخلية - مما يجعل للأحكام المذكورة قوة، بحيث تصلح للاستدلال بها أو لاعتبارها مؤيداً على الأقل. كما أن بعضها يؤيد بنحو الملاكات (٣).

وقد ذكرنا في بعض المباحث (٤) أن الحجية قد تكون من جهة تاممية السند، بمقتضى بناء العقلاء والآيات

١- لقد قام الإمام المؤلف (قدس سره) باستخدام أسلوب (فقه الحديث) في تحليل كلماتها (عليها السلام) حيث تناول كل كلمة بالبحث والدراسة، وربما في العديد من جوانبها وقد ورد في الحديث الشريف: (أنتم أفقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا) [الإختصاص: ص ٨٨] ومن الواضح ان للكلمات دلالات جلية وأخرى خفية، كما ان لها ظهراً وبطناً ويظهر ذلك بجلاء أكبر في آيات الذكر الحكيم وفي القواعد الفقهية.

٢- راجع وسائل الشيعة: ٥٩/١ ب ١٨ ح ١ ط اسلاميه.

٣- ربما يكون المراد تنقيح المناط، أو كون الحكم المذكور صغرى لكبرى كلية ويكون المراد من الشواهد: المعاضد الموافق.

٤- راجع (الأصول) و(الوصول إلى كفاية الأصول) للإمام المؤلف (قدس سره).

والروايات، ومنها: قوله (عليه السلام): (لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقافتنا)(١) الحديث.

وقد تكون من جهة قوة المتن، مما تكون دليلاً على الورود عنهم (عليهم السلام) وإن لم يكن قوي السند، لبناء العقلاء أيضاً، ولشمول ملك: (ثقاتنا) له(٢).

وقد تكون من جهة قوة المؤلف، فيما كان بناء العقلاء الاعتماد على إسناده أو أفاد الاطمينان، وذلك كالشريف الرضي (ره) ونحن نرى حجية نهج البلاغة وإن لم يتسلسل إسناد العديد من الخطب والكلمات الواردة فيها - لمجموعة من القران الخارجية والداخلية -.

وقد تكون من جهة القران الخارجية(٣)، كما ذكر ذلك العديد من علماء الأصول.

وقد تكون من جهة الشهرة المضمونية، لشمول قوله (عليه السلام): (خذ بما اشتهر بين أصحابك)(٤).. (فإن المجمع عليه لا ريب فيه)(٥).

وربما يُقال بالحجية أو يتعامل مع الحديث، التعامل مع الحجة من حيث ترتيب الآثار أو بعضها - على تفصيل مذكور في الفقه والأصول - من جهة التسامح في أدلة السنن.

وقد كتبنا حول هذه القاعدة، رسالة مستقلة أدرجناها في شرح الرسائل للشيخ الأعظم الأنصاري (قده)(٦). أما سند حديث الكساء، فقد رواه والدي (ره) في رسالة مخطوطة له، بسند صحيح متصل الإسناد، وكل واحد منهم من الأعلام(٧).

وكذلك سند خطبتها (عليها الصلاة والسلام)، فقد رُويت بما لا يدع للشك مجالاً، كما لا يخفى على من راجع ذلك في مظانّه، وسيأتي إن شاء الله تعالى، بالإضافة على انطباق مضمونها مع الآيات والروايات ووجود القران الداخلية والخارجية.

لمحة عن عظمة الزهراء (عليها السلام)

ومن نافلة القول في المقام، الإشارة إلى أننا لم نقم في هذا الكتاب، إلا بالإلماع إلى هذا البُعد الفقهي مع شيء موجز من الشرح والتوضيح، وإلا فهي (صلوات الله عليها) أعلى وأجلّ من أن أتمكن أنا الفقير العاجز،

١- وسائل الشيعة: ١٠٨/١٨ ب ١١ ح ٤٠.

٢- الملاك: (الوثاقة) كما تطرق له الإمام المؤلف (قدس سره) في (الأصول).

٣- بعض ما سبق وسيأتي من مصاديق ذلك كما لا يخفى، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام أو قبله.

٤- حيث يستفاد الشمول للشهرة الفتوائية أيضاً.

٥- وسائل الشيعة: ٧٥/١٨ ب ٩ ح ١.

٦- راجع الوصائل إلى الرسائل: ج ٦.

٧- ولهذا الحديث اسناد كثيرة وسيأتي بعد المقدمة - أول الفصل الأول - الإشارة إلى بعض المصادر في الهامش.

عن ذكر بعض ما يليق بمن دارت على معرفتها القرون الأولى (١) ومن هي قطب دائرة الإيمان، كما دل على ذلك قوله تعالى في حديث الكساء: (فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها).

فإن مكانتها وعظمتها (صلوات الله عليها) لا يمكن أن يستوعبها أي واحد من المخلوقات، إلا النبي (صلى الله عليه وآله) والوصي (عليه السلام) فإن الضيق لا يمكن أن يحيط بالواسع، وأتى للذرة أن تحيط بالمجرة؟! وأتى للمغرفة أن تستوعب المحيط؟!.

كما قالوا بالنسبة إلى استحالة إدراكنا لله سبحانه، لأن اللامتناهي يستحيل أن يحيط به المتناهي المحدود أو يدرك كنهه، ولا شك أنهم (عليهم السلام) ليسوا كاللله سبحانه في اللاتناهي واللامحدودية، إلا أنه لا شك أنهم (عليهم السلام) أوسع من الناس الضيقين بما قد يلغي النسبة بين الطرفين ويجعلها أبعد من نسبة القطرة إلى المحيطات، وقد سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها) كما في الحديث الشريف (٢).

فإنها (عليها الصلاة والسلام) أفضل من الأنبياء كافة (٣) باستثناء الرسول (صلى الله عليه وآله) كما دلت على ذلك أدلة متعددة، وسيأتي ذلك.

وهي (عليها الصلاة والسلام) حجة على كل أولادها الأنمة الطاهرين (عليهم السلام) وهم أفضل من الأنبياء والملائكة كافة - ولذا قال الإمام العسكري (عليه السلام) (وهي حجة علينا) (٤).

وقال الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف): (وفي ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي أسوة حسنة) (٥).

وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام) (أمي خير مني) (٦).

ولها (عليها السلام) الولاية التكوينية، بتفويض الله سبحانه لها كتفويضه الولاية لهم (عليهم السلام). أما كونها (عليها السلام) كسانهم (عليهم السلام) في حجية قولها وفعلها وتقريرها، فمما قام عليه الإجماع، بالإضافة إلى الأدلة الثلاثة الأخر، وسنذكر شيئاً من الأدلة على ما لهم (عليهم السلام) من الولاية التكوينية والتشريعية، كما نشير إلى بعض مصاديقها حسب ما ذكرناه في كتاب البيع من (الفقه) (٧):

١- إشارة إلى الحديث المروي عن الإمام الصادق ((عليه السلام)): هي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى. (أمالي الطوسي ج ٢ ص ٢٨٠ ط قم).

٢- تفسير فرات الكوفي: ص ٢١٨ ط نجف وص ٥٨١ ط طهران.

٣- سيأتي بعد قليل الحديث عن أفضليتها (عليها السلام).

٤- كتاب تفسير أطيح البيان: ج ١٣ ص ٢٢٥.

٥- بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٧٨ ح ٩ ب ٣١ ط بيروت.

٦- الإرشاد للشيخ المفيد ص ٢٣٢ ط بيروت.

٧- موسوعة الفقه، كتاب البيع، الجزء الرابع.

الولاية التكوينية والتشريعية و...

فإن الصديقة الطاهرة (عليها السلام) كسائر المعصومين (عليهم السلام) لها الولاية- التكوينية والتشريعية، وهي (صلوات الله عليها) وكذلك سائر أهل البيت (عليهم السلام) قد جعلهم الله الوسائط في خلق العالم والعلّة الغائية له (١). كما انها وإنهم (عليهم السلام) سبب لطف الله تعالى وإفاضته على العالم، واستمرار قيام العالم بها وبهم (عليهم السلام)، وقد صرّح بذلك في الأدلة الشرعية (٢) فلولاهم لساخت الأرض (٣)، وكونهم (عليهم السلام) سبب القيام كما أن الجاذبية والقوة الطاردة أو العناصر الأربعة، سبب القيام المادي، بحيث لولاها لساخت الأرض وانهدم العالم.

وكونهم (عليهم السلام) واسطة الفيض كما في حديث الكساء (٤) وغيره، وأنه لولاهم لم يجر فيض الله سبحانه على هذا العالم القائم فرضاً.

كما أنها (صلوات الله عليها) تعلم الغيب كسائر المعصومين (عليهم السلام) حسب مشيئته سبحانه. ولها ولهم (عليهم السلام) الولايات التكوينية ومعناها: إن زمام العالم بأيديهم (عليهم السلام) ومنهم فاطمة (سلام الله عليها) حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الأمانة بيد عزرائيل، فلهم (عليهم السلام) التصرف فيها إجاداً وإعداماً، لكن من الواضح أن قلوبهم أوعية مشيئة الله تعالى (٥)، فكما منح الله سبحانه القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية، منحهم (عليهم السلام) القدرة على التصرف في الكون.

وما نذكره يشمل كل المعصومين (عليهم السلام)، فإن كل الصلاحيات التي كانت للأنبياء (عليهم السلام) ثابتة للمعصومين (عليهم السلام) أيضاً، لأنهم أفضل منهم، وفاطمة (صلوات الله عليها) أفضل من جميع الأنبياء (عليهم السلام) إلا الرسول (صلى الله عليه وآله).

لأنها (سلام الله عليها) بضعة منه (٦)، لا البضعة المادية فقط، بل المعنوية أيضاً، إذ لا يترتب على المادية تلك الآثار التي رتبها الرسول (صلى الله عليه وآله) عليها، وإذا كان (صلى الله عليه وآله) أفضل جميع الأنبياء فبضعته كذلك، فتأمل.

وهناك روايات عديدة يمكن القول بأنها متواترة ولو إجمالاً، ومحققة بالقرانن المعتمدة، تدل على أفضليتها (صلوات الله عليها) على جميع الأنبياء. إلا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهي على طوائف. فمنها: ما دل على كون طاعتها مفروضة على جميع الخلائق والأنبياء.

- ١- سيأتي هذا البحث تفصيلاً، فراجع ما سيأتي من بحث (لأجلهم) و(محبّتهم) وغيرهما
- ٢- سيأتي الحديث عن الأدلة على ذلك بعد صفحات، كما سيتطرق لذلك في مطاوي الكتاب، وراجع العقبات والبحار - عند الحديث عنهم (عليهم السلام) وكذا عن خلق العالم - وكفاية الموحدين ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الجلي ودلائل الصدق للمظفر إلى غيرها من الكتب الكلامية.
- ٣- الكافي: ١٧٩/١ ح ١٠.
- ٤- الدعاء والزيارة ص ٨٠٥ وملحق مفاتيح الجنان وسائر المصادر المذكورة في هذا الكتاب.
- ٥- بحار الأنوار: ٣٣٦/٢٥، ح ١٦ ب ١٠ ط بيروت.
- ٦- المستدرک: ١٨٢/١٤ ح ١٦٤٥٢ ب ٢١. إحقاق الحق: ٢٢٥/١٠ - ٢٢٨.

فمن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): (ولقد كانت (عليها السلام) مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة...)(١).

ومنها ما دل على اطلاع الله تعالى على الخلق واختيارهم.

فقد قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فأختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فأختارك على رجال العالمين، ثم اطلع الثالثة فأختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين، ثم اطلع فأختار فاطمة على نساء العالمين)(٢).

مع ملاحظة وحدة السياق معه (صلى الله عليه وآله) مما يفيد عمومية الأفضلية من كل الأنبياء، وبضميمة ما دل على أنها (عليها السلام) أفضل من أبنائها (عليهم السلام).

وفي كمال الدين: (... ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة ثالثة فأختارك وولديك...)(٣).

ونظيره قوله تعالى: (... يا محمد أني خلقتك وخلقتُ علياً وفاطمة والحسن والحسين من سنخ نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض، فمن قبلهما كان عندي من المؤمنين....)(٤).

ووحدة السياق معه (صلى الله عليه وآله) والإطلاق يفيد المطلوب.

ومنها ما دل بالصرحة على الأفضلية: مثلاً: قوله (صلى الله عليه وآله): (ما تكاملت النبوة لنبي حتى أقر بفضلها ومحبتها)(٥). فتأمل.

وكذلك الأحاديث الدالة على أنه (لولا أن الله تعالى خلق أمير المؤمنين لم يكن لفاطمة كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه) وهي عديدة(٦).

١- دلائل الإمامة للطبري: ص ٢٨ ط النجف الأشرف.

٢- زين الفتى للحافظ العاصمي على ما في (فاطمة الزهراء (عليها السلام)) للعلامة الأميني ص ٤٣ طبعة طهران.

٣- كمال الدين: ص ٢٦٢ ح ١.

٤- هذا الحديث مذكور في الكثير من المصادر، إذ هو مذكور في مقتضب الأثر وفي غيبة الطوسي وفي تأويل الآيات وفي مقتل الخوارزمي وفي فراند السمطين وفي تفسير فرات، فراجع عوالم العلوم تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عج) ص ١٣ - ١٤.

٥- مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني، كما نقل الحديث القدسي حيث قال تعالى متحدثاً عن الزهراء (عليها السلام): (هذا نوري... فضله على جميع الأنبياء...)، والحديث مذكور في علل الشرائع ومصباح الأنوار أيضاً راجع عوالم العلوم ص ٦١. ونقله في ص ٢٨١ عن عيون أخبار الرضا ((عليه السلام))، وجاء في لسان الميزان: (... لما خلق الله آدم وحواء تبخترتا في الجنة وقالوا: من أحسن منا؟ فبينما هما كذلك إذ هما بصورة جارية لم ير مثلها، لها نور شعشعاني يكاد يطفى الأبصار، قالوا: يارب ما هذه؟ قال: صورة فاطمة... راجع بهجة قلب المصطفى ص ٧٦).

٦- راجع فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٨٧ نقلاً عن البحار ج ٤٣ ص ١٠٧ و ١٠٠ - ١١. وقد نقل هذا الحديث في (عوالم العلوم)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عج) عن أمالي الصدوق وعلل الشرائع والخصال ودلائل الإمامة هكذا (... لما كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه) العوالم: ص ٥٢

ومنها: ما يدل بالالتزام على الأفضلية مثل:

أ: الكتابة على ساق العرش والجنة

فمثلاً قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ليلة عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، علي باغضهم لعنة الله) (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): (أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله فسبحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام، فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يؤمروا بالسجود إلا لأجلنا...) (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله): (لما خلق الله إبراهيم كشف عن بصره فنظر في جانب العرش نوراً فقال: إلهي وسيدي ما هذا النور؟ قال يا إبراهيم هذا نور محمد صفوتي، قال: إلهي وسيدي وأرى نوراً إلى جانبه؟ قال: يا إبراهيم هذا نور علي ناصر ديني، قال: إلهي وسيدي وأرى نوراً ثالثاً يلي النورين؟ قال: يا إبراهيم هذا نور فاطمة تلي أباهما وبعلمها...) (٣).

ب: والخليفة قبل آدم (عليه السلام) (٤):

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (خلق نور فاطمة قبل أن تخلق الأرض والسماء... خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم...) (٥).

ج: قصة سفينة نوح: حيث (... سمّر المسامير كلها في السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير، فضرب بيده إلى مسمار منها فأشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكب الدرّي في أفق السماء...) وكان المسمار الأول باسم الرسول (صلى الله عليه وآله) والثاني باسم الإمام علي (عليه السلام) والبقية باسم السيدة الزهراء (عليها

والتهذيب: ٤٧٠/٧ ح ٩٠. ب ٤١.

١- تاريخ بغداد: ٢٥٩/١ نقلاً عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٢٣.

٢- تأويل الآيات: ٥٠٩/٢.

٣- الأربعون لابن أبي الفوارس نقلاً عن العوالم: ص ١٧ - ١٨، وما شاكل ذلك من الأحاديث كثير، فراجع كشف الغمة: ٤٥٦ / ١ ومقتضب الأثر وغيبة الطوسي وتأويل الآيات ومقتل الخوارزمي و... ويمكن مراجعة تمام الحديث باسناده في تلك الكتب عبر مراجعه العوالم ص ١٣ - ١٤ ونظيره في علل الشرائع ودلائل الإمامة [العوالم: ص ١٩].

٤- راجع مثلاً: البحار ج ١٥ ص ١٠ ورواية أخرى في مرآة العقول في مولد النبي (صلى الله عليه وآله) (راجع الحديثين في كتاب فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٤٠ و ص ٨٦ - ٨٧).

٥- معاني الأخبار نقلاً عن العوالم ص ٢٨ ونظيره في مصباح الأنوار (العوالم ص ١٥ - ١٦) وفي فراند السمطين نقلاً عن أبي هريرة: (لما خلق الله تعالى آدم أبو البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجداً وركعاً...) (العوالم ص ١٦ - ١٧) ونظيره في كمال الدين (العوالم ص ٢٢) وفي الكافي (العوالم ص ٢٤) وغيرها.

السلام) والحسين (عليهما السلام) ثم قال (صلى الله عليه وآله): (ولولنا ما سارت السفينة بأهلها)(١).
 د: تعليم أسمائهم (عليهم السلام) للأنبياء فمثلاً: ورد عن الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف): إن زكريا
 (عليه السلام) سأل ربه أن يعلمه الأسماء الخمسة... الحديث(٢).
 وكذلك ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ)) (٣) كلمات في
 محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم(٤).
 هـ ما ورد في يوم القيامة ومقامها (عليها السلام) مثل قوله (صلى الله عليه وآله): (... والذبي بعثني
 بالحق إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا صعق فينادي إليها: أن يا جهنم يقول لك
 الجبار أسكني بعزي واستقري حتى تجوز فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) إلى الجنان...)(٥).
 و: وما أشبه ذلك مثل ما دل على أفضليتها (عليها السلام) من الأئمة (عليهم السلام)
 كقول الإمام الحسين (عليه السلام): (أمي خير مني)(٦). وغير ذلك(٧).
 وسائر الأئمة (عليهم السلام) أيضاً كذلك، فهم في الأفضلية سواء من هذه الجهة(٨)، ويؤيده روايات مثل
 صلاة عيسى (عليه السلام) خلف الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)(٩).

الولايات التكوينية للأنبياء والصالحين:

وقد دل القرآن العظيم على ثبوت الولاية التكوينية لعدة من الأنبياء (عليهم السلام) وغيرهم، فتثبت لها
 (صلوات الله عليها) ولسائر أهل البيت (عليهم السلام) بطريق أولى: كقصة آصف وعرش بلقيس(١٠)،
 وسليمان (عليه السلام) والريح والشياطين وغيرهم(١١)، وقصة الجبال والطير مع داوود (عليه السلام)(١٢)،

-
- ١- عباقات الأنوار: مجلد حديث السفينة، ولا يخفى ما له من الدلالة على ان ببركتهم (عليهم السلام) وعناية الله بهم نجى نوحاً (عليه السلام) وأصحابه.
 - ٢- راجع البحار ج ٥٢ ص ٨٤.
 - ٣- طه: ١١٥.
 - ٤- المناقب لابن شهر آشوب.
 - ٥- بحار الأنوار: ٤٩١/٢٢.
 - ٦- الإرشاد: ص ٢٣٢ ط بيروت.
 - ٧- راجع ص ١١ من هذا الكتاب.
 - ٨- أي: على جميع الأنبياء (عليهم السلام) إلا الرسول (صلى الله عليه وآله).
 - ٩- بحار الأنوار: ٣٤٩/١٤ ح ١٢ ب ٢٤.
 - ١٠- النمل: ٤٠.
 - ١١- ص: ٣٦ - ٣٧.
 - ١٢- الأنبياء: ٧٩.

وقصة عيسى (عليه السلام) وتكلمه في المهدي (١) وإبرائه الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى وخلق الطير (٢)، إلى غيرها مما ورد في القرآن الكريم.

وقد وردت طائفة كبيرة منها في السنة المطهرة.

بل من أطاع الله تعالى إطاعة كاملة، يكون قادراً على العديد من ذلك كرامة، كسلمان الذي تكلم مع الميت، وزينب (عليها السلام) بنت الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) التي أوامت إلى الناس - في سوق الكوفة - فهدأت الأصوات وسكنت الأجراس (٣) وغيرهما. كما أن الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) يأتون بها معجزة أو خرقاً للعادة، ويطلق على أحدهم الخارق باعتبار خرقه سنن الكون الأولية، بأمر خالقه سبحانه.

وفي الحديث: (أطعني تكن مثلي) - على وزن حبر أو فرس - والأول معناه اسم المصدر والثاني المصدر من قبيل شبيه وشبهه وحسن وحسن. والمثل يطلق على (وينسب إلى) التابع وعلى المتبوع أو المشابه، مثل: ((مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْكَاءِ)) (٤) وقد يستعمل في المتبوع مثل ((وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٥)، فإن معناه الشبه تابعاً أو متبوعاً.

ومن الواضح: إن قدرتهم التكوينية ليست ذاتية من عند أنفسهم، بل هي منحة الله تعالى وعطاؤه لهم (عليهم السلام)، ولذا قال سبحانه ((قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا)) (٦) فقدرتهم في طول قدرة الله سبحانه وحاصلة بإرادته تعالى.

ولذا لا ينافي علمهم بالغيب حسب ((إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ)) (٧) عدم علمهم الذاتي حسب قوله سبحانه: ((وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)) (٨)، فهما كالشفاعة لا يملكها أحد بذاته ((قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً)) (٩) وإن ملكا غير واحد فهو بأمره سبحانه ((لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى)) (١٠).

فقوله: (تكن مثلي) لا ينافي ((فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ)) (١١) و ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) ف ((مثلي طولي لا عرضي وفي بعض الأمور بقرينة الوضوح، والذيل (أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء...)) (١٢) فإن الخبر يعمم ويخصص الموضوع، كالعكس. أما ما سبق من كونهم (عليهما السلام) بما فيهم فاطمة (صلوات الله عليها)

١- مريم: ١٩ - ٣٠.

٢- آل عمران: ٤٩.

٣- بحار الأنوار: ١٦٢/٤٥ ح ٧ ب ٣٩.

٤- النور: ٣٥.

٥- الزخرف: ٥٩.

٦- الأعراف: ١٨٨.

٧- الجن: ٢٧.

٨- الأعراف: ١٨٨.

٩- الزمر: ٤٤.

١٠- الأنبياء: ٢٨.

١١- النحل: ٧٤.

١٢- بحار الأنوار: ٣٧٦/٩ ح ١٦ ب ٢٤ قريب منه.

علة غائية للتكوين، فأدلة ومؤيدات عديدة، منها: ما ورد من: (ما خلقت سماءاً مبنية... إلا لأجل هؤلاء الخمسة) (١) وفي حديث آخر: (لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما) (٢) ولعل الوجه في ذلك أن عدم خلق الكمال من جميع الحثيات، مع خلق ما عاده دليل على عدم قدرة الخالق أو بخله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فلولا هم (عليهم السلام) كان الخلق على خلاف الحكمة.

العلة للحدوث والبقاء:

وقد ذهب بعض العلماء، إلى كونهم (عليهم السلام) العلة حدوثاً، بمعنى أن الكون منهم ككون الوفاء من عزرائيل، وعن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف): (نحن صنائع ربنا والخلق بعد صناعتنا) (٣). وأما

١- بحار الأنوار: ٢٣/٣٥ ح ١٥ ب ١.

٢- راجع: كشف اللآلي للعرنيس، على ما نقله السيد ميرجهاني في الجنة العاصمة والعلامة المرندي في ملتقى البحرين ص ١٤ ومستدرك سفينة البحار: ٣٣٤/٣ ونقله (عوامل العلوم) ص ٢٦ عن مجمع النورين وستاتي أحاديث أخرى.

٣- كتاب الغيبة للطوسي: ١٧٣ ح ٧ ط طهران. وفي البحار أيضاً ج ٥٣ ص ١٧٨ ح ٩ ب ٣١ ط بيروت. ذهب بعض علماء الكلام إلى ذلك مستنديين إلى أدلة وشواهد ومؤيدات كثيرة نشير إلى بعضها، قالوا: ومما يشهد على كونهم (عليهم السلام) وسائط الله سبحانه وتعالى في خلق العالم بعد وضوح إمكان ذلك بل وضوح رجحانه بالنظر لحكمة الله تعالى كما فصل في محله، ما ورد في الحديث القدسي: (... وهي فاطمة، وبنورها ظهر الوجود من الفاتحة إلى الخاتمة) [الخصائص الفاطمية للمحقق الشهير الملا محمد باقر: ص ١] والظاهر ان المراد ظهورها من كتم عدم إلى نور الوجود والباء للسببية، فليتأمل. كما قالت السيدة فاطمة (عليها السلام) (... ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه..)[السقيفة وفدك نقلاً عن شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٢١١]. وإطلاق (وسيلته) يقتضي الأعم من الحدوث والبقاء، وهذا بناء على كون المراد بـ(الوسيلة) ما يتوصل به إلى الشيء - كما هو الأصل في معناها، راجع لسان العرب مادة (وسل) وباقى المعاني مشتقة منه - فهم (عليهم السلام) الوسيلة في الإيجاد وهم (عليهم السلام) الوسيلة في الإفاضة بعد الإيجاد. ويقول العلامة المجلسي (قدس سره): ورد في أخبار كثيرة: (لا تقولوا فينا رباً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا) باب نفي الغلو عن النبي والأنمة (عليهم السلام) [بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٤٧]. مع وضوح ان (رب) علم الله سبحانه وتعالى أي للواجب الوجود فلا يقال فيهم (عليهم السلام) انهم إله واجب الوجود بل هم ممكنوا الوجود، وبعد ذلك (قولوا فينا ما شئتم) ومن مصاديقه كونهم (عليهم السلام) الوسائط في الخلق خاصة مع ملاحظة (ولن تبلغوا) والأمر واضح بملاحظة العقد السلبي، والعقد الإيجابي للكلام وبملاحظة ان المتكلم معصوم حكيم ملتفت لدقائق الكلام، ومنها هذا الإطلاق الواسع والمؤكد. \$وورد، كما أشار المصنف (قدس سره): (نحن صنائع ربنا والناس بعد صناعتنا) [كتاب الغيبة للطوسي: ١٧٣ ح ٧، وفي البحار أيضاً ١٧٨/٥٣ ح ٩ ب ٣١ ط بيروت] ووحدة النسق والسياق، يشير إلى ان الناس مصنوعون لهم (عليهم السلام) كما إنهم (عليهم السلام)

مصنوعون لله تعالى، فالله سبحانه علة العلة. وفي نهج البلاغة [الكتاب ٢٨]: (إنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا) واللام في (لنا) للتقوية، خاصة مع ورود (صنائعنا) الذي يشهد لذلك. وفي البحار عن الخصال قال أمير المؤمنين ((عليه السلام)): (إياكم والغلو فينا قولوا إنا عبيد مربوبيون وقولوا في فضلنا ما شئتم) [بحار الأنوار: ٢٧/٢٥ ونظيره ص ٢٧٤]. وكونهم (عليهم السلام) بإذن الله العلة الفاعلية من مصاديق الفضل كما لا يخفى. وقوله ((عليه السلام)): (ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجة لساخت بأهلها) [بحار الأنوار: ٥١/١١٣ ح ٨ ب ٢]. وهذا ونظائره يدل على كون استمرار الإفضاء منوطاً بهم (عليهم السلام) وأما الروايات التي يتوهم منها نفي ذلك، فهي إما محمولة على التقية، أو إن المراد بها نفي كونهم (عليهم السلام) بالاستقلال، وفي عرض الله سبحانه علة الخالق، لا نفي كونهم (عليهم السلام) في طوله تعالى وبالإستناد إليه وبقدرته وإذنه: العلة للخلقة فلاحظ هذه الرواية مثلاً. روي عن زرارة أنه قال: قلت للصادق ((عليه السلام)): إن رجلاً يقول بالتفويض فقال: وما التفويض؟ قلت: إن الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً (صلوات الله عليهما) ففوض إليهما فخلقاً ورزقاً وأماتاً وأحيياً؟ فقال: كذب عدو الله، إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: ((أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ)) [الرعد: ١٦]، [بحار الأنوار: ٣٤٣/٢٥ - ٣٤٤]. فلاحظ إن الإمام ((عليه السلام)) نفى التفويض بمعنى اعتبارهم (شركاء الله خلقوا كخلقه) أي في عرض الله لا باستناد إليه... وهكذا سائر الأحاديث كما يظهر بالتتبع والتأمل، خاصة مع ملاحظة إن إطلاق السؤال يشمل المقام (وهو كونهم (عليهم السلام) الخالقين في طول الله سبحانه) وهو محل الإبتلاء أيضاً، بل لعل السؤال كان عن خصوص كونهم (عليهم السلام) العلة في طول الله بقريئة (خلق... ففوض...) ومع ذلك لم ينف الإمام ((عليه السلام)) هذا الشق، بل نقل الحديث لنفي الشق الآخر وهو كونهم (عليهم السلام) شركاء الله تعالى وفي عرضه. كما أن التفويض، بمعنى أن أمور الكون إليهم (عليهم السلام) بقاء دون مدخلة لله تعالى أصلاً أيضاً باطل، ولهذا البحث مقام آخر تطرقنا له هنا إشارة فقط. ونموذج آخر يوضحه قوله ((عليه السلام)): (أنا بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى) [بحار الأنوار: ٢٦٦/٢٥]. فهذا التشبيه دليل على المتبري منه، إذ النصارى يرون فيه رباً وشريكاً لا مخلوقاً مستند القدرة إلى الله سبحانه، وهذا التقيد بـ(كبراءة) في العديد من الأحاديث شاهد كبير على المطلب. ولذا جاء في الرواية: (وإنا لنبرأ إلى الله عز وجل ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا، كبراءة عيسى بن مريم من النصارى قال الله عز وجل: ((وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)) [المائدة: ١١٦]، [بحار الأنوار: ٢٧٢/٢٥]. وكذلك قول صاحب الزمان) عجل الله تعال فرجه الشريف: (... ليس نحن شركاء في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره...) [بحار الأنوار: ٢٦٦/٢٥] مع وضوح علمهم (عليهم السلام) بالغيب بإذنه تعالى، وكذلك قرتهم. ويوضحه أكثر قوله (عجل الله فرجه الشريف): (إني بريء إلى الله وإلى الرسول ممن يقول إنا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه...) [بحار الأنوار: ٢٦٦/٢٥]. فالمنفي هو مشاركة الله في ملكه وهو الند ومن هو في العرض، لا من يقوم بعمل استناداً إليه تعالى وبإفاضته وفي طوله، وما يوضح المطلب أكثر فأكثر. مراجعة الرواية المطولة المذكورة في ج ٢٥ ص ٢٧٣ - ٢٧٨ من البحار، حيث إن الأئمة كانوا يواجهون من يدعي أن علياً ((عليه السلام)) هو الله تعالى والعياذ بالله ويردون عليه بكل شدة وعنف.

كونهم (عليهم السلام) علته (١) بقاء: فلأن البقاء بحاجة إلى استمرار العلة، كالمصباح حيث إن دوامه بحاجة إلى الاتصال المستمر بالقوة الكهربائية، وهم بإرادة الله وفي طوله تعالى، علة كما أن الكهرباء بإرادته تعالى وفي طوله علة للإنارة.

وقد قيل للمصدق (عليه السلام): الله بمقدوره أن يخلق الكون الباقي أبداً، في أقل من الساعة (٢) فلا عمل له سبحانه بعد ذلك، كما قالت اليهود ((يَدُ اللَّهِ مَعْلُودَةٌ)) (٣) فأجاب - ما معناه -: بأن الكون قائم به سبحانه على سبيل الاستمرار، فالكون بالنسبة إليه كالصور الذهنية بالنسبة إلينا بحيث إن مجرد عدم الانتفات يوجب انعدامها، ولذا ورد: (لولا الحجة لساخت) (٤) والمراد الانعدام لا الاتهام فليس من قبيل انهدام الكون إذا فقدت الجاذبية.

وفي دعاء رجب (فبكم يجبر المهيب ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض) (٥) إلى غير ذلك، مما دلّ على هذه المراتب الثلاثة في الولاية التكوينية.

الولاية التشريعية

وكذلك لفاطمة (صلوات الله عليها) الولاية التشريعية، إذ هم (عليهم السلام) علة التشريع، فإن علة الملازم، علة للملازم الآخر، وعلة الملزوم، علة للاحقه أيضاً، مثل كون علة وجود الكتب المتعددة، علة وجود الزوجية أو الفردية التي هي وصف لتلك الكتب، إذ التشريع من لوازم التكوين - بالمعنى الأعم - إضافة إلى ما ورد من (إنهم (عليهم السلام) نور واحد) وما ورد من (إن فاطمة (عليها السلام) حجة علينا) (٦) وغير ذلك. كما انهم (عليهم السلام) علة، فعلية التشريع وبقاء التشريع، حيث إن الدين باق بصورة أو أخرى، فلا يقال لدين موسى (عليه السلام) - مثلاً -: لم يبق بقول مطلق، إذ جوهر الدين بقي بصورة أخرى في زمن عيسى (عليه السلام) وزمن الرسول (صلى الله عليه وآله). ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ)) (٧).

١- أي: علة الكون.

٢- الساعة - لغة - الفترة من الزمن فتشمل حتى الدقيقة مثلاً.

٣- المائدة: ٦٤.

٤- راجع بحار الأنوار: ١١٣/٥١ ح ٨ ب ٢. وبصائر الدرجات ص ٤٨٨ و ٤٨٩.

٥- بحار الأنوار: ١٩٥/٩٩ ح ٦ ب ٨.

٦- راجع كتاب تفسير أطيّب البيان ٢٢٥/١٣، عن الإمام الحسن العسكري ((عليه السلام)).

٧- البقرة: ١٣٦.

الأمر بين الأمرين في التشريع

لا يقال: كيف يجمع بين تشريعهم (عليهم السلام) المستفاد من (ففوض إليه دينه) (١) ومن (المفوض إليه دين الله) (٢) ومن (سنة النبي في قبال فرض الله) وبين ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ)) (٣) المراد به الأعم من القول والفعل والتقرير، ولذا ورد ((هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْنَا)) (٤) فإن كل مظهر نطق، مثل ((يُسَبِّحُ لِلَّهِ)) (٥) المراد به التكوين أو اللسان أو بعد آخر لا تدرکه عقولنا؟

لأنه يقال: إن قلوبهم (عليهم السلام) أوعية مشيئة الله سبحانه، كما أن الله ينبت، لكن محل إنباته الأرض، أو الرحم، كما قال: ((وَأَنْبَتْنَا نَبَاتًا حَسَنًا)) (٦).

ثم إن الله سبحانه نسب الأمور التكوينية تارة إلى نفسه، وأخرى إليهم وثالثة إليهما: فمرة قال تعالى ((وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) (٧).

وتارة قال سبحانه ((ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ)) (٨).

وقال تعالى ثالثة ((رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)) (٩). ((سَيُوتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ)) (١٠) - ماضياً ومستقبلاً - كما استدلل بها الصادق (عليه السلام) على أبي حنيفة الذي قال: أشركت بالله.

فمعنى أنهم (عليهم السلام) المكوّنين بأمره تعالى، وبأنهم مجرى إرادته وأوعية مشيئته، مثل أن عزرائيل يُميت بأمره سبحانه وإرادته، وإسرافيل ينفخ، وجبرائيل ينزل الوحي، وميكائيل يقسم الرزق، وهكذا.

ومن المعلوم إن المعصومين (عليهم السلام) جميعاً أفضل من الملائكة، ولذا سجدت الملائكة لآدم (عليه السلام)، وهم أفضل من آدم (عليه السلام).

وكشاهد على ما نحن فيه ترى - في القرآن الكريم - يقول سبحانه تارة: ((اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ)) (١١).

وأخرى ((يَتَوَقَّأَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ)) (١).

١- التهذيب: ٣٧٩/٩ ح ٢٤ ب ٤٦.

٢- بحار الأنوار ٨١/٩١ ح ٢ ب ٣٠.

٣- النجم ٣.

٤- الجاثية: ٢٩.

٥- الجمعة: ١.

٦- آل عمران: ٣٧.

٧- الإسراء: ٤. والقضاء يأتي بمعنى الأخبار والتقدير والحكم، وغير ذلك (راجع شرح التجريد بحث القضاء) وربما يكون المراد بالآية أن التقدير كان حسب السنن الكونية أفسادهم مرتين، فمن السنن الكونية أن التكبر يفسد وهذا تقدير كوني.

٨- النساء: ٦٥.

٩- التوبة: ٥٩.

١٠- التوبة: ٥٩.

١١- الزمر: ٤٢.

وثالثة ((تَوْقَتْهُ رُسُلُنَا)) (٢).

فالثالث (٣) في طول الثاني الذي هو طول الله سبحانه.

من الأدلة على ولايتهم (عليهم السلام):

ثم إنه يدل على ولايتها (عليها السلام) خصوصاً أو ضمن سائر المعصومين (عليهم السلام) أدلة كثيرة، وقد سبق أو سيأتي بعضها كدليل أو مؤيد، منها:

قوله (عليه السلام): (فاطمة حجة الله علينا) (٤).

و: حديث الكساء، كما سيأتي بيان ذلك.

و: قوله (صلى الله عليه وآله): (لولا علي لما كان لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه) (٥).

و: ما دل على تساويها (عليها السلام) مع الإمام علي (عليه السلام).

و: ما دل على الأفضلية من الأنبياء (عليهم السلام) مع قيام الأدلة على ثبوت الولاية لهم - على درجات -.

و: الأولوية القطعية من أمثال: (عبيد أطعني تكن مثلي).

و: قوله (عليه السلام): (الخلق بعد صنانعنا).

و: (فبكم يجبر المهيب ويشفي المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض)

و: (فوض إليه دينه).

و: (كونهم (عليهم السلام) أوعية مشيئة الله).

و: صدور الخوارق منهم.

و: التوقيع المروي عن صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كما سيأتي (٦). إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة.

كما يدل على ولايتهم (عليهم السلام) عموماً، قوله تعالى: ((النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ)) (٧). بالإضافة إلى الآيات والروايات المتواترات، لما قد ثبت من أنهم (عليهم السلام) نور واحد، وأن لأولهم ما لآخرهم، كما في الروايات، وقال سبحانه: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ)) (٨) الآية، فهم (عليهم السلام) كالنبي (صلى الله عليه وآله) في

١- السجدة: ١١.

٢- الأنعام: ٦١.

٣- للروايات الدالة على أن لملك الموت أعواناً يقبضون الروح بأمره.

٤- راجع كتاب تفسير أطيب البيان ٢٢٥/١٣، عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

٥- التهذيب: ٤٧٠/٧ ح ٩٦ ٤١.

٦- وسيأتي ذكر مصادر تلك الأحاديث تفصيلاً بإذنه تعالى.

٧- الاحزاب: ٦.

٨- المائدة: ٥٥.

مرتبة الولاية، وإن اختلفوا في مراتب الفضل، فبعد الرسول (صلى الله عليه وآله) علي (عليه السلام) وبعده أو مقارناً له - كما يظهر من جملة من الأحاديث - فاطمة (سلام الله عليها)، ثم الحسن (عليه السلام)، ثم الحسين (عليه السلام)، ثم القائم (عليه السلام)، ثم الأئمة الثمانية قبله (عليهم السلام) كما يظهر من الأحاديث.

ماذا تعني الأولوية؟

وهل المراد الأولوية التكوينية؟ (١) أو في صورة التدافع؟ أو أن له (صلى الله عليه وآله) سلطة فوق سلطة الإنسان، كما في سلطة الله تعالى على السيد المسلط على العبد؟ أو الحكومة؟ أو الثلاثة الأخيرة؟ أو الخمسة جميعاً، لجامع السلطوية فليس من استعمال اللفظ في أكثر من معنى؟ احتمالات، وإن كان بعضها أقرب.

نعم إذا كان (أولى) بمعنى التفضيل العرفي يكون الثاني فقط، لكنه خلاف الظاهر حيث الاحتفاف بالقرائن الداخلية والخارجية، فتأمل.

سلطة الهدم والبناء

والظاهر إن لهم (عليهم السلام)، سلطة الهدم كما لهم سلطة البناء، من قبيل الزوج الذي له سلطة النكاح والطلاق، أو الشركة حيث العقد الجائز للشريك، كلاهما (٢)، بخلاف مثل البيع اللازم حيث البناء فقط، ومثل ثالث جعل الخيار بيده، حيث له الهدم فقط.

فكما إنه سبحانه له حق طلاق نساء الناس أو تزويجهن، ولو بدون رغبتهم، كذلك لهم (عليهم السلام) هذا الحق خلافة منه تعالى، لكن من الواضح أنهم (عليهم السلام) في طولهم سبحانه، وإنهم أوعية مشيئته كما تقدم، وإن كانوا (عليهم السلام) لا يقومون بأعمال أمثال هذه القدرة عادة، كما سيأتي.

من معاني التفويض

ثم إن التفويض التكويني إليهم (عليهم السلام) هو بالمعنى الذي ذكرناه، ودل عليه النص مثل (فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض) (٣) والإجماع.

١- بمعنى إنه أولى لأنه كونه.

٢- أي: الإمضاء والفسخ.

٣- بحار الأنوار: ١٩٥/٩٩ ح ٦ ب ٨، ط بيروت.

والتشريعي أيضاً كما ذكرناه ودل عليه (المفوض إليه دين الله) (١) و (أَنَّ اللَّهَ أَدَّبَ نَبِيَّهٖ بِأَدَابِهِ ففَوْضَ إِلَيْهِ دِينَهُ) (٢) إلى غيرها من الروايات المتواترة.

وفي قبالة تفويضان باطلان:

الأول: عزل الله سبحانه عن أي شيء، وإنما يكون كمن أشعل مصنعاً وفوضه إلى آخر واعتزل هو عن العمل إطلاقاً، وهذا يخالفه النص والإجماع، بل الكتاب والعقل أيضاً.

الثاني: تفويض الأمور وتركها وسائر الكون، لا إلى أحد، بأن يكون الله سبحانه قد خلق الكون وهو يدور بنفسه كمن يشغل مصنعاً ويتركه يدور بدون قيام أحد مقامه، وهذا هو الذي قاله اليهود مما ذكره سبحانه: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا)) (٣).

وهذا التفويض الباطل بالمعنى الثاني، هو نقطة النقيض لفكرة الجبر، التي تقول إن الله سبحانه يفعل كل شيء، بينما الأول بمعنى أنه تعالى لا يفعل أي شيء، والحقيقة إنه أمر بين الأمرين، فالآلات منه سبحانه والعمل من الإنسان ولذا يثاب ويعاقب.

عود على بدء

ولما سبق من أن الله سبحانه جعل بيدهم (عليهم السلام) الكون، تصدر منهم (عليهم السلام) الخوارق، معجزة وكرامة، بما أنهم أوعية مشيئة الله تعالى، وكذلك ما سبق من أنه تعالى فوض إليهم التشريع كما ورد (المفوض إليه دين الله).

والأول يشمل الهدم والبناء، كإماتة الإمام الرضا (عليه السلام) الساحر وإحياء عيسى (عليه السلام) الأموات، والتبديل والتحويل، قال سبحانه: ((فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)) (٤)، ومن سنة الله جعله تعالى التكوين والتشريع بأيديهم (عليهم السلام)، وذلك كأن يجعل الشام عراقاً وبالعكس، وكأن يجعل الرجل امرأة وبالعكس، كما في قصة الإمام الحسن (عليه السلام) (٥).

بين التصرف والصلاحية

ولم نجد تصرفهم (عليهم السلام) في التشريع، وإن كان لهم صلاحية ذلك، ولعل السبب في ذلك أن لا يتخذ الحكام ذلك ذريعة للتصرف في الأحكام، وبالرغم من ذلك ترى الحكام قد تصرفوا في أحكام الله تعالى كما في

١- بحار الأنوار: ٢٠/٥٢ ح ١٤ ب ١٨.

٢- راجع بحار الأنوار: ٣٣٤/٢٥ ح ١٤.

٣- المائدة: ٦٤.

٤- فاطر: ٤٣.

٥- بحار النوار: ٣٢٧/٤٣ ح ٦ ب ١٥.

المتعتين، وكما في صلاة التمام في عرفات وغير ذلك، فكيف بما إذا كانوا يرون الرسول (صلى الله عليه وآله) يفعل ذلك، ولذا قالوا باستحباب البول في المزبلة، لكذب نسبوه إلى النبي (صلى الله عليه وآله).
ومما تقدم ثبتت الولاية بمعانيها السبعة: كونهم (عليهم السلام) للتكوين علة، وطريقاً كطريقة عزرائيل للموت، وإنه قائم بهم، وكذلك التشريع: علة وطريقاً، وقياماً، بإضافة أن لهم (عليهم السلام) الحكومة، حيث لا تلازم بين الأخير وسائر أقسام التشريع.

التوقيع الشريف

ويؤيد ذلك - بل يدل عليه - التوقيع المروي عن صاحب الزمان (أرواحنا فداء) في دعائه:
(أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقتك، فتقها ورقتها بيدك، بدوها منك وعودها إليك، أعضاء وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت) (١) إلى آخر الدعاء.
و (مناة): - على وزن دعاء جمع داعي - من منى الله تعالى فلاناً بخير، أي أعطاه له. و (الذواد): - جمع ذاند كأصحاب جمع صاحب - من زاد بمعنى طرد، فالمعنى: من ينال خيراً أو يطرد عن شيء لا يكون إلا بهم (عليهم السلام) لا علة بل فعلية. وملاً السماء والأرض: كالشمس تملأ الكون وإن كان جسمها الظاهر صغيراً.
ولعل سر ورود الزيارة الجامعة والدعائين لرجب عنهم (عليهم السلام) لبيان الطريق الوسط بين مادية الخلفاء الذين استهتروا فيها وإفراط المتصوفة القائلين بوحدة الوجود أو الموجود في تلك الأزمنة المتأخرة. ومن الواضح أن ظهور (لا إله إلا الله) بسببهم (عليهم السلام)، من جهة امتلاء العالم بالشرك الوثني أو المسيحي أو اليهودي، بل والعامّة القائلين بالتجسيم ونحوه، وقد قال علي (عليه السلام): (فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه) (٢) الحديث. ولا يخفى أن ما ذكرناه في الجملة، يظهر من منات الآيات والروايات مما ذكر في مباحث أصول الدين فراجع.

لا فرق بين حياتهم ومماتهم (عليهم السلام)

ثم إنهم (عليهم السلام) وهم أموات كالأحياء من جهة التكوين وجهة التشريع، لإطلاق الأدلة، إلا في الأمر السابع الذي هو فعلية الحكومة.
ولا يقال: إنهم (عليهم السلام) كيف يتصرفون في التكوين وهم أموات؟
لأنه يقال:

١- بحار الأنوار: ٣٩٣/٩٥ ح ١ ب ٢٣ ط بيروت.

٢- بحار الأنوار: ١٧٦/٥٤ ح ١٣٦ ب ١.

أولاً: لا موت لهم (عليهم السلام) فإنهم ((أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) (١) وإنما بدلوا الملبس، بل كلُّ حيٍّ إذا مات كان كذلك، فقد خلقهم للبقاء لا للفناء، وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله) - لمن اعترض عليه حينما خاطب قتلَى المشركين يوم بدر - : (ما أنت بأسمع منهم) (٢).

وفي الزيارة: (وأنتك حي) (٣) إلى غير ذلك.

وثانياً: على فرض كونهم (عليهم السلام) أمواتاً، ما المانع من أن يعطي الله سبحانه للميت الحياة، كالرزق والشفاء وغير ذلك؟! وفي القرآن الحكيم: ((وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا)) (٤)، ومن المعلوم إن الماء بالمعنى المتعارف ليس حياً، فإن الله تعالى هوثة العلل، ولا فرق عنده في الإحياء بسبب بين أن يكون حياً أو ميتاً. وفي آية أخرى:

((يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)) (٥)، وفي بقرة بني إسرائيل المذبوحة إنها سببت حياة المقتول، كما سبب أثر الرسول حياة عجل السامري، وكذلك رش الماء على الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فماتوا فعادوا أحياء في قصة ارميا، المذكورات في القرآن الكريم.

ولذا لم تكن قصة البقرة مثلاً مجرد سرد تاريخ، بل لعبر: منها أن الله سبحانه يحيي الميت من الميت، كما لم تكن آية النجوى، مجرد قصة منسوخة، بل لإفادة أن الناس - عادة - يقومون بأداء العبادات التي تتعلق بالجوارح، أما إذا وصل الأمر إلى المال ظهر عمق إيمانهم، فلا يقال: ما فائدة الآية المذكورة تتلى إلا فضيلة علي (عليهم السلام).

رفعة منزلتهم (عليهم السلام) ذاتية

ثم إن رفعة المعصوم (عليه السلام) أمر جوهري كرفعة الذهب على التراب، وقد دلت على ذلك الأدلة الأربعة.

والمراد بدلالة العقل: الدليل الإتي حيث يكشف أعمالهم عن ذلك، واللّمي بالنسبة إلى الكبرى حيث إن القدرة المطلقة بدون محذور في الخلق، يعطي خلق الأرفع أيضاً، نعم الانتطابق على الأشخاص الخاصين - أي الصغرى - نقلي.

١- آل عمران: ١٦٩.

٢- بحار الأنوار: ٢٠٧/٦ ب ٨، وفيه: أنهم أسمع منكم.

٣- بحار الأنوار: ١٠٣/٩٩ ح ٢ ب ٧. وفي ج ١٠١ ص ١٧١ ح ٤٢ عن كامل الزيارات: أشهد أنك حي شهيد ترزق عند ربك. وفي ص ١٦٩ ح ١٥ عن الكامل: وأشهد أنك ومن قتل معك شهداء أحياء عند ربك ترزقون.

٤- الأنعام: ٩٥.

٥- الروم: ١٩.

قال سبحانه ((تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) (١).

وقال تعالى: ((انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)) (٢).

وقال سبحانه: ((ونفضل بعضنا على بعض في الأكل)) (٣) إلى غيرها من الآيات والروايات المتواترة، وقد دلت على ذلك الكرامات الخاصة أيضاً.

ولا يستشكل بأنه لو كان خلق زيداً أو عمرواً، مثلهم لكان يستحق الدرجات الرفيعة، لوضوح انه يلزم في الحكمة خلق كل مهية ممكنة لا محذور في خلقها، وإلا لزم العجز أو الجهل أو الخبث، تعالى عن ذلك علواً كبيراً (٤).

نعم ما في ذاته محذور عدم القابلية كخلق المتناقضين مثل أن يخلق شيئاً واحداً نملةً وفيلاً، أو زوجاً وفرداً، أو وجوداً وعدمًا أو ما هو خلاف المصلحة، لا يكون الأول للاستحالة الذاتية، والثاني للاستحالة العرضية، إذا القبيح محال على الحكيم تعالى.

مجالات ستة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

ثم إن القرآن الحكيم ذكر الأسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله) (٥)، وفي كلام علي (عليه السلام): (فتأسى متأسٍ بنبيه وإلا فلا يأمن الهلكة) (٦) وفي الزيارات قد ورد التأسي بالأئمة (عليهم السلام)، حجج الله تعالى، هذا فيما لم يكن من مناصبهم ومختصاتهم.

والظاهر أنه (صلى الله عليه وآله) تتوفر لديه وفي حيطته أمور ستة:

١ - الأحكام الأولية: قولاً أو فعلاً أو تقريراً، كوجوب الصلاة وحرمة الخمر إلى سائر الأحكام التكليفية والوضعية، والمراد بها أعم مما ذكر، ومن مثل الصيام في الحضر والإفطار في السفر، فإن الثاني وإن كان ربما يقال له الحكم الثانوي باعتبار أن التشريع أولاً وبالذات هو الصيام، إلا أنه أيضاً حكم أولي باعتبار أن المكلف مخير بينهما فهما موضوعان عرضيان.

٢ - الأحكام الثانوية: وهي الطولية، مثل أحكام الإلضطرار ونحوها والرسول (صلى الله عليه وآله) أسوة فيهم كل في مورده، فقد اضطر الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الدخول إلى مكة بقوة السلاح، والى الصلاة جالساً في مرضه، وهذا من مختصاته، كما أنه لم يعمل حسب (ما لا يعلمون) (٧) وما (أخطأوا) و (ما سهوا) و

١- البقرة ٢٥٣.

٢- الإسراء: ٢١.

٣- الرعد: ٤.

٤- في مطاوي الكتاب أجوبة أخرى عديدة عن ذلك فليراجع.

٥- الأحزاب: ٢١.

٦- راجع نهج البلاغة - الخطبة: ١٦٠. خبر يريد به الطلب.

٧- الكافي: ٤٦٣/٢ ح ٢.

(ما نسوا) لأنه منزله عنها. أما إته هل عمل حسب (ما أكرهوا) بنفسه الشريفة (صلى الله عليه وآله)؟ فلم أجده. والعمامة يقولون: بالسهو والنسيان فيه (صلى الله عليه وآله) لكن إجماع الشيعة، على خلاف ذلك، وكذلك العقل والنقل.

٣ - الأمور العامة: كشرانه ناقة، أو زواجه من يثبت عمرها كذا، وأكله وشربه كذا، فإنه لا يلزم الإقتداء به ههنا بحيث إن التارك لا يأمن الهلكة.

نعم إن عمله يدل على الجواز، وقول بعض العامة القائلين باللزوم - ولذا قال بوجوب البول في المزبلة ولو في السنة مرة - باطل البناء والمبنى، ولذا لا يقولون بمثل ذلك في ما نسبوا إليه من حمله زوجته ونظرها إلى الطبالين، وهذا أيضاً باطل عندنا مفترى عليه (صلى الله عليه وآله وسلم).

٤ - الحكوميات: التي هي عبارة عن تطبيقه (صلى الله عليه وآله) كبرى المصلحة على صغرى خارجية في شؤون الناس، كنصب أسامة أميراً، أو فلاناً والياً على البحرين، أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يجب على علي (عليه السلام) في زمان حكومته أن يفعل ذلك بعينه، وإن فرض أن المنصوب بقي على العدالة.

٥ - التصرفات الولائية بالمعنى الأعم: فإنها وإن كانت جائزة له (صلى الله عليه وآله) خلافة عن الله سبحانه، إلا أننا نجد إنه (صلى الله عليه وآله) عمل بها كجعل حرّ عبداً أو عكسه، أو إبطال زواج أو جعله، أو إبطال ملك أو عكسه، إلى ما أشبه ذلك، وروي تهديد علي (عليه السلام) جعل الأحرار عبيداً في قصة طغيان الفرات، كما لم نجد مثل هذا التصرف عن الأنمة (عليهم الصلاة والسلام).

وما ذكره بعضهم من قصة سمرة (١) وإن القلع كان بالولاية محل نظر، بل هو جائز حتى للفقهاء حيث يلجئه الأمر إلى ذلك، كما بيناه في (الأصول) فإنه حكم قضائي في أمثال هذا التنازع.

٦ - الاختصاصات: كزواجه (صلى الله عليه وآله) أكثر من أربع، وغيره، مما ذكره الشرائع والجواهر وغيرهما في باب النكاح، وهي خاصة به (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان ربما يوجد نحو منه في بعض المعصومين (عليهم السلام) مثل حرمة زواج علي (عليه السلام) امرأة مادامت فاطمة (سلام الله عليها) في بيته، مما يكون من مختصات فاطمة (سلام الله عليها)، وحرمة أن يخاطب غير علي (عليه السلام) بامرأة المؤمنين، مما كان من خصائصه، وما يظهر من اختصاص بعض الأحكام بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كما يظهر من بعض الأخبار.

شمولية علمهم وقدراتهم (عليهم السلام)

ثم إنهم (عليهم السلام) ومنهم فاطمة (صلوات الله عليها) يحيطون علماً وقدرة - بإذن الله تعالى - بالكائنات جميعاً إلا ما استثنى (٢)، وقد تقدم في الزيارة الرجبية ما يدل على ذلك كما في جملة من الأحاديث: (يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن) فإنه ليس بمحال عقلاً، ويشبه ذلك في الماديات الهواء والحرارة والجاذبية

١- الكافي: ٢٩٢ / ٥ ح ٢.

٢- كالاسم الأعظم ال ٧٣ مثلاً على رواية.

وغيرها، كما أن عزرائيل يحيط علماً وقدرةً في بُعد الإمامة، بكل إنسان بل بالملائكة أيضاً - كما ورد في الأحاديث -.

وقد قال الله سبحانه في إبراهيم عليه السلام: ((وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) (١). وفي يعقوب (عليه السلام): ((وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ)) (٢). وهم (عليهم السلام) أفضل من الملائكة والأنبياء كما دلت على ذلك النصوص وإجماعنا، وقد سبق الإشارة إلى ذلك. وفي رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله تعالى: ((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)) (٣) فإطلاق الشاهد (٤) وقرينية إطلاق الصفات الأخرى يدل على العموم، ومن المعلوم أن الشاهد لا يكون إلا من حضر. وقال سبحانه: ((وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَوْلٍ شَهِيدًا)) (٥). ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك: ((يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا)) (٦).

وفي الروايات: (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات) (٧) فإذا كان لبني آدم هذه القدرة - لولا المنع - فأهل البيت (عليهم السلام) أولى. وتقول في تشهد الصلاة: (السلام عليك أيها النبي) وفيه ظهور الحضور، وفي الحديث: (نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم) (٨) حيث إن جماعة اتخذوهم (عليهم السلام) آلهة فنهوا عن ذلك، أما بعد الألوهية ففهم (عليهم السلام) كل خير والتي منها عموم العلم والقدرة، وفي جملة من زيارات الحسين (عليه السلام) كما في بعض فقرات (الزيارة الجامعة) دلالة على ذلك. وما ورد من إبلاغ الملك السلام إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينافي ما تقدم، فهو كإبلاغ الملك صحيفة الأعمال إليه سبحانه، وسؤالهم (عليهم السلام) عن أشياء كسؤال الله في قوله تعالى ((وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)) (٩) إلى غير ذلك، مما لا يخفى على من راجع الروايات المتواترة.

١- الانعام: ٧٥.

٢- يوسف: ٩٤.

٣- الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

٤- وحذف المتعلق يفيد العموم.

٥- النساء: ٤١.

٦- النساء: ٤٢.

٧- بحار الأنوار: ١٦٣/٥٦ ب ٢٣.

٨- راجع بحار الأنوار ٣٤٧/٢٥ ح ٢٥ ب ١٠. وفيه: قد ورد في أخبار كثيرة: (لا تقولوا فينا رباً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا).

٩- طه: ١٧.

بين العلم الغيبي والسلوك العملي:

ثم الظاهر أن علمهم الغيبي لا يؤثر في سلوكهم العملي، فالحسن (عليه السلام) يشرب السم مع أنه لم يكن مجبوراً، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مضغ اللحم المسموم الذي أثر فيه وأخيراً انتهى إلى الموت، وعلي

عليه السلام) كان يعلم بوقت موته، ومع ذلك خرج إلى المسجد مع إمكانه أن يستنيب في صلاة الجماعة ذلك اليوم، أو يستصحب معه حراساً، أو يسجن ابن ملجم أو يخرج من المسجد أو يجعل عليه حراساً أو ما أشبه ذلك.

أما القول بأنهم (عليهم السلام) لا يعلمون عند نزول الموت، أو أنهم مضطرون، كما في دس هارون والمأمون السم إلى الإمامين الكاظم والرضا (عليهما السلام) أو ما أشبه ذلك من الأجوبة فليست بمقتعة وخلاف ظاهر الأدلة.

بل لو كان العلم الغيبي يؤثر، لما بكى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لفقد ولده إبراهيم، ولما بكى الحسين (عليه السلام) لفقد أولاده وأصحابه، مع أنهم (عليهم السلام) يعلمون بل ويرون انتقالهم إلى جنات النعيم، هل يبكي أحدنا لذهاب ولده إلى مكان حسن جداً وهو يراه عين اليقين؟ بل لم يكن يعقوب (عليه السلام) يبكي من فراق يوسف (عليه السلام)، وهو يعلم انه حي وسيرجع إليه بعد مدة ملكاً.

لا يقال: حتى على فرض موت يوسف (عليه السلام) فلماذا هذا البكاء من يعقوب (عليه السلام) حتى ابيضت عيناه وخيف عليه أن يكون حرصاً أو يكون من الهالكين؟

لأنه يقال: كما أن العيون والشمس منبع الماء والنور، كذلك جعل الله سبحانه للمعنويات منابع، فيعقوب (عليه السلام) منبع العاطفة ليتأس الناس به ويستمدونها منه، ولولا ذلك لم يكن لهم ما يتأسون به.

فعلمهم الغيبي (صلوات الله عليهم أجمعين) لا يؤثر في عواطفهم الإنسانية، كي يكونوا أسوة، وإلا لقال الناس أن علياً (عليه السلام) كان يخوض الحروب لعلمه بأنه لا يقتل ونحن لا نعلم ذلك. بل ميثم التمار جاء إلى الكوفة وقد كان يتمكن من الفرار من مكة إلى موضع لا يصله سلطان ابن زياد، إلى غيرها من الأمثلة الكثيرة.

وكذلك حال القدرة الغيبية، إذ لا يستعملونها إلا حال الإعجاز، فلقد كانوا قادرين على رفع الضيق عنهم وعن المؤمنين، فهم (عليهم السلام) - ولا مناقشة في المثال - كوكيل الإنسان الغني لا يتصرف في أماله إلا بإذن الموكل، وإن كان قادراً على التصرف، والله سبحانه العالم.

الأحكام المستفادة:

وقد أشرنا أن إلى الأحكام التي ذكرت، في الكتاب مما يستفاد من كلماتها (عليها السلام) إنما ذكرناها بإيجاز دون التطرق لمختلف الأدلة والأقوال وشبه ذلك، وإلا فالتفصيل يحتاج إلى مجلدات ضخمة، حسب قولهم (عليهم

السلام): (علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع)(١) ولعل الله سبحانه يوفق بعض موالها (عليها السلام) من الفقهاء، كي يتشرف بتفصيل ذلك، وهو المستعان. ولا يخفى أن الأحكام التي استفدناها، قد تستخرج استناداً إلى الدلالة المطابقية أو التضمنية أو الإلزامية، وقد يتم استخراجها استناداً إلى دلالة الاقتضاء(٢) وربما الدلالة العرفية أيضاً، وإن لم تكن من الأربع المذكورة. وربما كان الحكم أو العلم به منشأً لتعليل أو توضيح بعض كلماتها (عليها السلام)(٣).

وقد استطرنا أحياناً إلى ذكر بعض الأمور الأخرى، بالإضافة إلى الاعتقادات وفلسفة الأحكام، والأحكام الخمسة.

وهذا الكتاب يتطرق غالباً للحديث عما يستنبط من أقوالها (عليها السلام)، أما فعلها وتقريرها: فبحاجة إلى كتاب ضخم، ويكفي أن نشير هنا إشارة عابرة إلى بعض النماذج من فعلها وسيرتها (عليها السلام).

دروس من سيرتها (عليها السلام)

ففي سيرة وحياة الزهراء (عليها السلام) مواضع كثيرة للتعلم، إذا تعلمها المسلمون، بل البشرية، سعدوا في الدنيا قبل الآخرة، وأسعدوا الآخرين.
نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

زوجها الميمون، حيث زوجها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول بلوغها (عليها السلام)(٤).
وكذلك إذا زوجت البنات في أوائل البلوغ سعدن وانقطعت إلى حد بعيد جذور الفساد في المجتمع، إذ معنى زواجهن في ذلك السن زواج الأولاد الذكور أيضاً في سن البلوغ، فلا ترغب النفس أو تهتم بالحرام.

١- وسائل الشيعة: ١/١٨ ب ٦ ح ٥٢. ونحوه في المعنى ح ٥١: (إنما علينا أن نلقي عليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا).

٢- ما يتوقف صحة أو صدق الكلام عليه وذلك نظير: ((واسأل القرية)) [يوسف: ٨٢] وكذا استكشاف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لأدنى مدة الحمل من ضم قوله تعالى: ((وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)) [الأحقاف: ١٥] إلى قوله تعالى: ((والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)) [البقرة: ٢٣٣] ومن ذلك: إلغاء الخصوصية حيث يكتشف بذلك أن ما ذكر إنما كان بعنوان المصداق وكصغرى لكبرى كلية للقطع أو الإطمينان بالملاك، وقد تكون الاستفادة والاستنباط مستندة إلى (مبنى) الكلام، أو إلى مقدمات مطوية أو شرائط أو موانع كذلك، وإذا لاحظنا عصمتها (عليها السلام) وإحاطتها العلمية، ظهر بوضوح أن كلامها بشتى دلالاته حجة، فلو توقف صحة الكلام أو صدقة مثلاً على مقدمة مطوية وإن كانت بعيدة، كان ذلك دليلاً على حجيتها وصدقها وأمكن الاستناد إليها كذلك. والقارئ الكريم سيرى إن المؤلف (قدس سره) قام بملاحظة شتى الجهات السابقة الذكر وربما يكون من ذلك أيضاً: استكشاف الإنشاء من الأخبار وبالعكس عبر بعض الدلالات السابقة.

٣- اللف والنشر مرتب كما لا يخفى.

٤- راجع عوالم العلوم ١١/٢٨٧ ب ٣ ح ٢ ط ٢، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام).

وقد رأينا جملة من العشائر في البلاد الإسلامية، تجري على ذلك، وبذلك تشذ الجريمة وتتضاعف أرقامها إلى ما يقارب الصفر، بخلاف ما لو لم يتبع هذا المنهج حيث تتصاعد تصاعداً كبيراً، وذلك يؤدي إلى الأمراض والعقد النفسية والتوترات العصبية وهدم العوائل وكثرة المشاكل إلى غيرها.

كما أن في الجهاز البسيط لزوجها (صلوات الله عليها) أكبر الدرس لتخفيف المهور والقناعة بالميسور، وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً (١) وأقلهن مهراً) (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (القناعة مال لا ينفد) (٣).

وعن علي (عليه السلام): (لا كنز أغنى من القناعة) (٤).

وذلك من أسرار السعادة وتحرك الشباب بشكل أكثر جدية نحو الأمام، فإن الزوجين يتعاونان على التقدم في الحياة - بعد الزواج - إلى الأمام، وربما يكون ذلك مما يوضح بعض السر في قوله تعالى: ((إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله)) (٥) بينما غلاء المهور وتعقيد مقدمات وبرامج الزواج والمبالغة في المظاهر، يوجب التأخير في الزواج، أو يؤدي بالكثير إلى البقاء عزاباً وعوانس مدى الحياة، بما يستلزم ذلك من أضرار وأخطار. وكذلك ادارتها (صلوات الله عليها) لشؤون البيت، حيث فوّضت إليها الأمور الداخلية، والخارجية إلى علي (عليه السلام) فإنها توجب الراحة النفسية والصحة الجسدية، إذ إن الأعمال الشاقة - وإن كانت مقرونة بالتعب والنصب - توجب الصحة والسلامة، بينما الراحة والدعة تؤديان إلى مختلف الأمراض.

ومما يؤيد هذا المعنى هو أن التاريخ - حسب الاستقراء الناقص - لم يسجل لها (صلوات الله عليها) تمرضاً إلا مرة واحدة.

أما مرضها الأير فهو وليد الصدمة التي تعرضت لها بين الحائط والباب، والتي انتهت إلى شهادتها ووفاتها (صلوات الله عليها).

ولعله لأجل تعليم الأمة على الكدح والعمل، لم يمنحها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خادمة عندما طلبت منه ذلك مع أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) الكريم الرؤوف، وذلك حتى تكون (عليها السلام) أسوة في العمل بنفسها لنساء المسلمين، وربما كان طلبها (عليها السلام) وعدم تلبيته (صلى الله عليه وآله وسلم) بمجمله تعليماً.

أما حصولها (عليها السلام) على فضة، فهو مما دعت إليه الضرورة، حيث تراكت عليها الأعمال اليدوية الشاقة من الطحن والخبز والغسل وغير ذلك، بالإضافة إلى أطفالها الصغار وضرورة الاهتمام بشؤونهم، إلى جانب أن النساء كن يرجعن إليها في كثير من شؤونهن ومسائلهن، ثم نجد بعد حصولها على فضة، أن النبي

١- قد يكون المراد بالصباحة ههنا: الطلاقة والإشراق لا الجمال، والوجه يكتسي بالصباحة والإشراق بتأثير الحالة المعنوية والروحية والأخلاقية للإنسان، قال في مجمع البحرين: (وقد صبح الوجه صباحة: أشرق وأنار) وقال في لسان العرب: (الصبيح: الوضيء الوجه).

٢- وسائل الشيعة: ١٥/١٠ ب ٥ ح ٩.

٣- نهج الفصاحة: ٤٨/٤ ح ٢١١١ ط طهران.

٤- نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٧١.

٥- النور: ٣٢.

(صلى الله عليه وآله وسلم) قد قسم العمل بينهما، يوماً لها ويوماً لفضة كما في النص (١) وهذا أيضاً بالإضافة إلى كونه تعليماً للأمة على مشاطرة من هم أدنى منزلة في الهموم والمهام، يتضمن تأكيداً للإلتزام بالعمل والكد والكدر رغم وجود البديل.

والجدير بالذكر إن فضة كانت متزوجة ذات أسرة، وقد يظهر هذا من خبر قراءتها للقرآن في سفرة الحج، وتلقي أولادها لها في المنزل، كما هو شأن الإسلام حيث لا يدع بنتاً بلا زوج، حتى قال سلمان المحمدي وهو حاكم في المدائن عندما تزوج امرأة هناك فوجد عندها بنتاً - من زوجها السابق - غير متزوجة: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول (ما مضمونه): لو لم تزوج البنات في الدار فزنت كان عقاب الزنا على أهل الدار.

أما طحنها (عليها السلام) وعجنها وخبزها وطبخها وغزلها وغسل الملابس ورعاية الأولاد، وقيامها بإتجاز العشرات من الحاجات البيتية بنفسها (صلوات الله عليها) أو بمساعدة فضة، ففي كل ذلك تعليم لكيفية سلوك الزوجة في الحياة الزوجية. ولو راج مثل ذلك في بيوتنا فهل بعد ذلك كنا نحتاج إلى استيراد كل شيء من الغرب والشرق، حتى اللحم وغيره من الأوليات والضروريات؟

كما أن قولها (سلام الله عليها) لعلي (عليه السلام): (ما عهدتني كاذبة ولا خائنة) (٢) تعليم لكيفية سلوك الزوجات مع الأزواج، وإلا فعلي (عليه السلام) كان يعلم ذلك. وهكذا نجد في عدم دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دارها لما رأى سترأ على الباب (٣) تعليماً آخر لنا، ولعل الزهراء (عليها السلام) تعلمت وضع الستر حتى تكون مدعاة للتعلم، كي لا ترفل النساء في النعيم بينما كثير من الناس يعانون شظف العيش، وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع) (٤). إلى غير ذلك من النقاط المشرفة في سيرتها (عليها السلام) الوضاعة، وكلها عبر وبرامج تربوية ومناهج للسعادة الدنيوية والأخروية.

وفي الختام

وفي الختام نشير إلى أننا قد قسمنا الكتاب إلى ثلاثة فصول (٥):

الأول: أحكام مستفادة من حديث الكساء.

الثاني: أحكام مستفادة من الخطبة الشريفة.

- ١- راجع دلائل الإمامة للطبري ص ٤٩ ط نجف، ومسنند فاطمة (سلام الله عليها) ص ٤٢ ح ٩ ط طهران.
- والخرائج كما في البحار عنه ج ٤٣ / ٢٨ ح ٣٣.
- ٢- روضة الواعظين: ص ١٨١ ط قم.
- ٣- راجع مناقب ابن شهر آشوب: ٣ / ٣٤٣ ط قم. ورواه البحار عنه في ج ٤٣ / ٨٦.
- ٤- وسائل الشيعة: ٨ / ٤٩٠ ب ٨٨ ح ١.
- ٥- قام الإمام المؤلف، بتأليف هذا الكتاب في شهرين ونصف هما جمادي الثانية ثم رمضان المبارك وقسم من شوال من العام ١٤١٤ هـ، علماً بأن فهرس بعض الأحكام المستفادة من حديث الكساء كان قد كتبها من قبل.

الثالث: أحكام مستفادة من سائر ما روي عنها (عليها السلام).

والله المسؤول أن يقرنه برضاه، وأن ينفع به، إنه قريب مجيب، والحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً.

محمد الشيرازي

قم المقدسة

١٤١٤ هـ

الفصل الأول

أحكام مستفادة من حديث الكساء

بسم الله الرحمن الرحيم

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال سمعت فاطمة أنها قالت: دخل عليّ أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض الأيام فقال: السلام عليك يا فاطمة، فقلت: عليك السلام، قال إني أجد في بدني ضعفاً فقلت له: أعينك بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: يا فاطمة إيتيني بالكساء اليماني فغطيني به، فأتيته بالكساء اليماني فغطيته به، وصرت أنظر إليه وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه وكمالته، فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال: السلام عليك يا أمه، فقلت: وعليك السلام يا قرّة عيني وثمرّة فؤادي، فقال: يا أمه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقلت: نعم إن جدك تحت الكساء، فأقبل الحسن نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جداه يا رسول الله، أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي ويا صاحب حوضي، قد أذنت لك فدخل معه تحت الكساء، فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسين قد أقبل وقال: السلام عليك يا أمه. فقلت: وعليك السلام يا ولدي ويا قرّة عيني وثمرّة فؤادي، فقال لي: يا أمه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت نعم إن جدك وأخاك تحت الكساء. فدنى الحسين نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله، أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي ويا شافع أمّتي، قد أذنت لك، فدخل معهما تحت الكساء، فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله، فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين، فقال: يا فاطمة إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله. فقلت: نعم ها هو مع ولدك تحت الكساء، فأقبل عليّ نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله، أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال له: وعليك السلام يا أخي ويا وصيي وخليفتي وصاحب لوائي قد أذنت لك، فدخل علي تحت الكساء، ثم أتيت نحو الكساء وقلت: السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله، أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال وعليك السلام يا بنتي ويا بضعتي قد أذنت لك. فدخلت تحت الكساء، فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ أبي

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطرفي الكساء، وأوماً بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحماتي، لحمهم لحمي ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحِب لمن أحبهم، إنهم مني وأنا منهم، فأجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرتك ورضوانك علي وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقال الله عز وجل: يا ملائكتي ويا سكان سماواتي، إنني ما خلقتُ سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلماً يدور ولا بحراً يجري ولا فلماً يسري، إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء، فقال الأمين جبرائيل يارب ومن تحت الكساء، فقال عز وجل: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها، فقال جبرائيل: يارب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً، فقال الله: نعم قد أذنت لك، فهبط الأمين جبرائيل وقال: السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى يُقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي، غني ما خلقتُ سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلماً يدور ولا بحراً يجري ولا فلماً يسري إلا لأجلكم ومحبتكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم، فهل تأذن لي يا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): وعليك السلام يا أمين وحي الله إنه نعم قد أذنت لك، فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء، فقال لأبي: إن الله قد أوحى إليكم، يقول: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) فقال علي (عليه السلام)، لأبي: يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض، وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا، إلا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا، فقال علي (عليه السلام): إذا والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة، فقال أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم إلا وفرج الله همه ولا مغموم إلا وكشف الله غمه ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته، فقال علي (عليه السلام): إنن والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة ورب الكعبة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وبعد: فقد روى والدي (رحمه الله تعالى) حديث الكساء في مجموعة له، بسند صحيح إلى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) كما رواه غيره (١):

١- وإليك نص حديث الكساء سنداً على ما في عوالم العلوم والمعارف والأحوال، تحقيق وطبع مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، قم: رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم، عن شيخه السيد ماجد البحراني، عن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن شيخه المقدس الأردبيلي، عن شيخه علي بن عبد العالي الكركي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلبي، عن الشيخ علي بن الخازن

عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)

استحباب الرواية (١)

مسألة: تستحب رواية الأحاديث، كما روت (صلوات الله عليها) هذا الحديث لجابر، وكما روى جابر لغيره وقررتها الزهراء (عليها السلام) بحكايتها له، وبلحاظ العلة الغانية لحكايتها له (٢). وهذا وإن لم يكن من التقرير الاصطلاحي، لكنه نوع من التقرير بالمعنى الأعم، إذ التقرير عبارة عن: الإقرار لشيء (٣) أو بشيء لفظاً أو قلباً أو إشارة، فلا فرق بين أن يعمل الإنسان عملاً ويسكت عليه الطرف الآخر، حيث إنه يقرره إذا لم يكن هناك محذور في سكوته، أو أن يقرأ إنسان على إنسان شيئاً آخر فإنه تقرير أيضاً، لكنه ليس تقريراً سكوتياً وإنما تقريراً بالقراءة، فتأمل. وهناك تقرير ثالث وهو: التقرير العملي، كما إذا جعل الإشارة بالرأس أو باليد أو العين أو ما أشبهه، علامة

الحائري، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول، عن أبيه، عن فخر المحققين، عن شيخه العلامة الحلبي، عن شيخه المحقق، عن شيخه ابن نما الحلبي، عن شيخه محمد بن إدريس الحلبي، عن ابن حمزة الطوسي صاحب ثاقب المناقب، عن شيخه الجليل الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي، عن الشيخ الجليل محمد بن شهر آشوب، عن الطبرسي - صاحب الإحتجاج - ، عن أبيه شيخ الطائفة، عن شيخه المفيد، عن شيخه ابن قولويه القمي، عن شيخه الكليني، عن علي ابن إبراهيم، [عن أبيه إبراهيم] بن هاشم، عن احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن قاسم ابن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب البكري، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وهذا السند في منتهى الجلالة ورجاله من كبار ومشاهير العلماء، أما القاسم بن يحيى فالصحيح عندنا تبعاً لجمع منهم صاحب الجواهر والعديد وغيره، اعتبره إذ هو من شيوخ البزنطي، والبزنطي صح انه لا يروي إلا عن ثقة، وأما جابر ففيه قولان، وقد اعتبره جمع وهو الأصح، وقد نقل متن حديث الكساء أيضا العلامة الثقة فخر الدين الطريحي الأسدي صاحب (مجمع البحرين) في كتاب (المنتخب الكبير)، وكذلك نقل ما يقرب من نصفه الديلمي صاحب (الإرشاد) في (الغرر والدرر) وكذلك نقله كله الحسين العلوي الدمشقي الحنفي وكذلك آخرون، وهو من الإشتهار بحيث يغني عن تتبع السند، وقد سبق في المقدمة وسيأتي في البحث عن سند خطبتها (عليها السلام) في المسجد ما ينفع في المقام جداً، فليراجع.

١- راجع حول هذا المبحث والبحوث اللاحقة: (الفقه: الآداب والسنن) و(الفقه: الواجبات والمحرمات).

٢- إذ كان الهدف من حكايتها له أن ينقل هذا الحديث الشريف للآخرين.

٣- الإقرار لغة يأتي بمعان: التثبيت والتحقيق والإذعان والتبيين وغير ذلك.

لشيء، سواء سكت في قبال تلك أو فعل تلك فإنه أيضاً تقري.
ومن المعلوم إن كل ذلك بالنسبة إلى المعصوم (صلوات الله عليه) دليل على الصحة، بل لا يبعد أن يكون مثل ذلك شهادة أيضاً، فتأمل (١).

١- التأمل قد يكون بلحاظ درء الحدود بالشبهات كما سيأتي.

بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: سمعت فاطمة أنها قالت:

مثلاً: لو أن إنساناً شاهد زيداً وهو يسرق، أو يقوم بغيرها مما يوجب الحد، لكنه امتنع من إقامة الشهادة عليه عند الحاكم خوفاً من ذلك السارق، فیتفق سرّاً مع الحاكم أنه إذا سكت أو أشار إشارة حال قراءة الحاكم للدعوى، فإنه يكون دليلاً على السرقة أو ما أشبه ذلك.

وهل هذا يجري في الزنا أيضاً؟

احتمالان، والأقرب العدم، لأن مقتضى أن (الحدود تدرأ بالشبهات) وأشدية الأمر في الزنا، لزوم أن يكون بإقراره أربعاً، أو بالشهود الذين يتلفظون بالزنا تلفظاً، لا بمثل الإشارة والكتابة، ولا يخفى أنه يجري هذا الوجه في كل الحدود (١).

رواية النساء

مسألة: يستحب للنساء أيضاً رواية الأحاديث (٢) لأنها (صلوات الله عليها) أسوة.

فإنها (عليها السلام) وإن كانت معصومة ولها خصائص مثل حرمة زواج علي (عليه السلام) عليها ما دامت في قيد الحياة، إلا أن الظاهر من الأدلة إنهم (عليهم السلام) أسوة إلا فيما خرج بالدليل، وليس المقام من المستثنى.

ويدل على كونها (سلام الله عليها) أسوة: إنها معصومة نصاً وإجماعاً وعقلاً، والمعصومة لا تفعل إلا ما يطابق رضى الله سبحانه، كما ورد في الأحاديث ما يدل على إنها أسوة (٣).

وكذلك حال مريم الطاهرة (عليها السلام).

وفي بعض الروايات: إنها (صلوات الله عليها) تعادل علياً (عليه السلام) (٤).

وفي جملة من الروايات: إنها (سلام الله عليها) أفضل من غير أبيها (صلى الله عليه وسلم) (٥).

١- راجع (الفقه: القواعد الفقهية) و(الفقه: الحدود والتعزيرات).

٢- قد يذكر الخاص بعد العام أو قبله والصغرى بعد الكبرى لأهميتها أو لطرده احتمال الاستثناء أو لغير ذلك من الجهات وعلى ذلك جرى ديدن الكتاب، كما قد يتكرر ذكر المسألة تمهيداً لذكر فوائد جديدة وإضافات عديدة، وقد تذكر بعض المسائل باعتبارها كبرى لصغرى مذكورة في كلماتها عليها السلام.

٣- راجع الاحتجاج: ص ٦٧ ط مشهد.

٤- راجع مناقب ابن شهر آشوب ٣/٣٤٩ ط قم.

٥- راجع دلائل الإمامة للطبري: ص ٢٨ ط نجف. ويستفاد من حديث المصحف وفيه: (كانت مفروضة الطاعة

كما يشهد به: (لم يكن لفاطمة كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه)(١).
 وقال الحسين (عليه السلام): (أمي خير مني)(٢) إلى غيرها من الروايات(٣).
 ومن الواضح إن ذلك ليس فقط لأجل علمها، وإن كان علمها في غاية السمو والرفعة، بل لأن الله سبحانه خلقها رفيعة، كما خلق الماء الحلو والذهب والشمس أرفع من المر والصخر والقمر، حيث إن نوره مستفاد من نور الشمس، وفي الحديث: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة)(٤).
 لا يقال: فإذا خلقها الله كذلك فما هو فضلها؟
 لأنه يقال: نقضاً: فما هو فضل الذهب والماء الحلو والأذكيا والعباقرة؟
 وحالاً: بأن حكمة الخلق تقتضي خلق كل ما يمكن - من المجرة إلى الذرة - فإذا لم يخلق الله كذلك فلماذا؟ وإذا خلق كل شيء هكذا، فلماذا لا يخلق الأدون فالأدون وهكذا؟(٥)
 ولا شك إن رفعة علمها أيضاً من أسباب رفعتها، وكذلك حال الأنبياء والأوصياء (خلقكم الله أنواراً)(٦)(٧).

رواية الرجال عن النساء

مسألة: يجوز رواية الرجال عن النساء في الجملة.
 لإطلاق الأدلة، بالإضافة إلى ما في هذا الحديث، كما يجوز العكس أيضاً.

على جميع من خلق الله... والأنبياء والملائكة).

١- الكافي: ٤٦١/١ ح ١٠ ط طهران.

٢- الإرشاد للشيخ المفيد: ص ٢٣٢ ط بيروت.

٣- والحديث عن ذلك تفصيلاً تجده في ثنايا الكتاب، وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة.

٤- نهج الفصاحة ص ٦٣٥ ح ٣١٥٢ ط طهران.

٥- أشار الإمام إلى أجوبة أخرى على هذا السؤال في العديد من كتبه ومنها (الفقه حول القرآن الحكيم) و(القول السديد في شرح التجريد) و(شرح المنظومة) وغير ذلك. ولعل مما يجاب به عن الإشكال: إن الله تعالى لعلمه بأن الأنمة والأنبياء (عليهم السلام) سيكونون - في دار الدنيا - خير من سيخرج من الامتحان الإلهي، لذلك أفاض عليهم المزيد من لطفه وفضله وجعلهم من معدن أسمى وذلك كما أن الاستاذ لو اكتشف أن أحد تلامذته سيكون أشد الجميع اجتهاداً ومثابرة، فإن من الطبيعي ومن العدل أيضاً أن يوليه الأستاذ مزيداً من الاهتمام ويخصه - دون سائر التلاميذ - بمقدار أكبر من الوقت والتوجيه والعطاء ((أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها)) [الرعد: ١٧] وربما يفسر الأمر أيضاً بالنجاح في عالم الذر أو عوالم أخرى أسبق، مما سبب مزيداً من الإفاضة على الناجح، في العوالم اللاحقة.

٦- مفاتيح الجنان: ص ٥٤٧ ط بيروت.

٧- حول هذا المبحث راجع (الفقه: البيع) و(القول السديد في شرح التجريد) للمؤلف و(عقبات الأنوار) لمير حامد حسين الموسوي الهندي و(إحقاق الحق) للتستري و(البحار).

وهكذا رواية النساء عن النساء، والرجال عن الرجال، بالضرورة.
 والمراد بالجواز: الأعم من المباح والواجب والمستحب، كل حسب الموازين المقررة.
 والإسلام إنما منع ما منع لفلسفة، ولم يمنع مثل ذلك، وبذلك يظهر أن ما ورد في بعض الروايات: (صوت المرأة عورة) (١) إنما هو مثل ما ورد من: (إن المرأة عورة) (٢) يراد به المنع عن الاختلاط والمفاسد، ولذا قال سبحانه: ((فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ)) (٣) ولم يقل: فلا تتكلمن.
 وتكلم الرجال مع النساء وبالعكس قامت عليه السيرة، والروايات دلت على ذلك أيضاً.
 وذلك هو المراد بحديث: (أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل) (٤). فإن المراد من (أن لا يراها رجل): رؤية جسمها العاري وما أشبه مما منعه الإسلام، كما أن المراد من (أن لا ترى رجلاً) رؤيتها الجسم العاري من الرجل.
 وإلا فمن الواضح حضور النساء مجالس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحدثن معه (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك بالنسبة إلى علي (عليه السلام) وسائر الأئمة (عليهم السلام) مما هو كثير.
 ومن المعلوم إن أمثال هذه الإطلاقات - كسائر الإطلاقات - تُقَيَّدُ بما عُلِمَ من الشريعة، وذكرها الفقهاء في الكتب الاستدلالية والرسائل العملية.

رواية حديث الكساء

مسألة: يستحب رواية حديث الكساء بصورة خاصة، وقد جرت عادة كثيرة من المؤمنين منذ مئات السنين على رواية هذا الحديث، في المحافل والمجامع بقصد التبرك وقضاء الحوائج.

تسمية المرأة

مسألة: يجوز للرجل تسمية المرأة في الجملة.
 فإن جابراً سُمي الزهراء (عليها السلام) بالإسم، وكذلك كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) يسمون النساء، من (خديجة) (عليها السلام) ومن سبقتها من فضليات النساء أو شرارهن إلى آخر أم من أمهات الأئمة (عليهم السلام) وهي السيدة نرجس (عليها السلام) أمام الأقارب والأجانب.

١- عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (نهى النساء عن إظهار الصوت إلا من ضرورة). مستدرک الوسائل: ١٤ / ٢٨٠ ب ٩٠ ح ٥ ط قم.

٢- عن الصادق (عليه السلام): (اتقوا الله في الضعيفين يعني بذلك اليتيم والنساء وإنما هن عورة) الكافي: ٥ / ٥١١ ح ٣.

٣- الأحزاب: ٣٢.

٤- مناقب ابن شهر آشوب ٣/٣٤١ ط قم. ورواه عنه البحراني في العوالم ج ١٢٨/١١ ح ٣.

وقبل ذلك سمي الله سبحانه مريم الطاهرة في القرآن الحكيم، وهو يتلى آناء الليل وأطراف النهار.
ومن الواضح أن ذلك ليس خاصاً بالله وبهم (عليهم السلام) ولذا ذكرهن علماؤنا الأعلام على المنابر وفي
الكتب وغيرها.

كما لا يحرم ذكر بعض الخصوصيات لهن، كارتفاع القامة والعمر ونحوهما، وإنما يستثنى (التشبيب) كما
ذكر في الفقه.

وكذلك لا إشكال في العكس بأن تسمى المرأة الرجل - محرماً أو غير محرّم - لإطلاق الأدلة وعدم دليل على
الحرمة، بل ولا كراهة، نعم الظاهر حرمة التشبيب أيضاً منها بالنسبة إليه، للملاك وإن لم يتعرض له المشهور
من الفقهاء.

وكذلك ما إذا كان ذكر الاسم إغراءً، لا من جهة كونه ذكراً للاسم، بل من جهة العارض.
وهل الاسم يعدّ من حقها بحيث إذا كرهت ذلك لم يجز الذكر، حيث إنه تصرف في حق الغير أو لا؟
لا يبعد الثاني، وكذلك بالنسبة إلى من لم يرض ذكر اسمه من الرجال، إلا إذا كان هناك محذرو خارجي
فالمنع بسببه لا بسبب ذكر الاسم.

صوت الأجنبية

مسألة: يجوز سماع صوت الأجنبية، حتى في غير مورد الضرورة، في الجملة، وإلا لما كانت فاطمة (سلام
الله عليها) تروي لجابر (رحمه الله تعالى).

أما الجواز فلأصل والسيرة والروايات المتعددة، في مكالمة النساء للرجال في غير مورد الضرورة، أما
الضرورة فإنها تبيح المحرمات، كما ورد: ((إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ)) (١) وفي الحديث: (ليس شيء مما حرم الله، إلا
وقد أحله لمن اضطر إليه) (٢) والمراد بالاضطرار هنا: الأعم من الإكراه، فإنهما يطلقان على كليهما في غير
مورد المقابلة كالفقير والمسكين (إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا).

نعم قد تقدم أن المحرم هو الخضوع بالقول، للآية والرواية، ولا يبعد أن يكون ذلك أيضاً مقيداً بقوله
سبحانه: ((فِيَطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)) (٣) فإذا لم يكن هناك من كان ذلك لم يتم دليل على الحرمة حتى في
صورة الخضوع.

وعليه يحمل جعل الإمام الباقر (عليه السلام) مبالاً للنوادر يندبته في منى (٤)، مع وضوح أن صوتهن كان
مسموعاً من خلف الخيام.

١- الأتعم: ١١٩.

٢- وسائل الشيعة: ٢٧٠/٣ ب ١٢ ح ٦ ط اسلاميه.

٣- الأحزاب: ٣٢.

٤- الكافي: ١١٧/٥ ح ١: (عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا
من النوادر تندبني عشر سنين بمنى أيام منى).

أما أن يكون ذلك استثناءً من الخضوع، حتى عند من يطعم من مرضى القلب، فبعيد جداً. ولذا لم أجد من الفقهاء من منع قراءة النساء في مجالس العزاء، وإن كان الصوت يصل إلى مسامع الرجال، والمسألة بعد بحاجة إلى التأمل والتتبع.

وهل العكس - بأن يخضع الرجل بالقول فتطمع أنثى في قلبها مرض - كذلك، أم بالنسبة إلى الذكور في من يطعم شذوذاً جنسياً؟ لا يبعد الثاني ملاكاً، أما الأول فبعيد، فتأمل.

دخل عليّ أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)

استحباب التلقب

مسألة: يستحب التلقب لأنه نوع من التكريم، وللأسوة، حيث قالت (سلام الله عليها): (دخل عليّ أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)).

وهل يدل على الاستحباب أو الجواز؟ الظاهر الأول للقرينة الداخلية، كما أن قرينة جعل الإسلام احترام الناس أصلاً، للآيات والروايات... وقد قال سبحانه: ((كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)) (١) وما أشبهه، يدل عليه.

وفي الأحاديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يكنى أصحابه.

ولا يبعد أن يكون اللقب أو الكنية بالنسبة إلى الأقرباء - خصوصاً الكبار منهم كالآب والأم - أكد استحباباً، ويلمع إليه ما سبق (٢) وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أباً لها (عليها السلام).

وهنا سؤال لا بد من الإجابة عليه، وهو أن القرآن قد يمدح الإنسان مثل: ((كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)) (٣) و ((فَتَبَارَكَ

اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) (٤) و ((فَضَّلْنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا)) (٥)، على غير ذلك، وقد يذمه مثل: ((إِنَّ الْإِنْسَانَ

خَلَقَ هَلُوعاً)) (٦) و ((خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ)) (٧) و ((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) (٨) إلى غير ذلك، فكيف الجمع؟

والجواب: أن الأول بالنظر إلى الذات، والثاني بالنظر إلى فعل الإنسان بنفسه ومعنى (خلق) إنه كذلك (٩)، لا أنه في طبيئته الجبرية، كما هو واضح.

ونذكرها (عليها السلام) الكنية واللقب، من جهة التلذذ بتكرار اسم المحبوب كما قاله أهل البلاغة، وتقديم

الكنية، من جهة الإلماع أولاً إلى القرابة القريبة، وإلا فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يدخل في كثير

١- الإسراء: ٧٠.

٢- قد يكون المراد إن الاحترام مشكك ذو درجات، وكلما كان الآخر أقرب للإنسان رحماً أو أقوى عليه حقاً تأكد الاحترام أكثر فأكثر.

٣- الإسراء: ٧٠.

٤- المؤمنون: ١٤.

٥- الإسراء: ٧٠.

٦- المعارج: ١٩.

٧- الأنبياء: ٣٧.

٨- الأحزاب: ٧٢.

٩- ف(هلوعاً) مثلاً حال، وهو إشارة إلى ما عليه الإنسان في فعله، وإخبار عما سيكون عليه نفسياً أو عملياً بما هو داخل في دائرة الاختيار أو بنحو الاقتضاء.

من البيوت.

في بعض الأيام

توقيت الأمور

مسألة: يستحب التوقيت، ومن مصاديقة كون الحادث ليلاً أو نهاراً، حيث قالت (عليها السلام): (في بعض الأيام) حتى لا يظن أو يحتمل أن الحادث كان في بعض الليالي، لانصراف اليوم في المقام إلى النهار، وإن صح إطلاقه على مجموعة الليل والنهار، أو النهار كاملاً، كما يقال: أقام في البلد الفلاني عشرة أيام، أو درسنا التفسير في خمسة أيام، وكذلك حال الأسبوع والشهر والسنة، أما إذا قيل الليل، فلا يشمل النهار، كما أن النهار لا يشمل الليل. وإنما استفدنا الاستحباب، لأنه لو لا ذلك لكان قولها (عليها السلام): (في بعض أيام) لغواً والعياذ بالله (١) فتأمل، وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن) (٢) والكلام عن العمل، وذكر الوقت من الإتقان، ولعله داخل في: ((كُلَّ شَيْءٍ مَوْزُونٌ)) (٣) وقوله (عليه السلام): (لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أو نهار.... إلا أخبرتكم) (٤) ولو بالملاك وتنقيح المناط.

وقد سبق الإسلام الحضارة الحديثة في ذكر التوقيت، وربط الأعمال به، ولذا وضع لكل من ساعات الليل وساعات النهار دعاءً، بالإضافة إلى مواقيت الصلاة والحج والصوم والعيد وغير ذلك مما هو كثير. ولا يخفى أن (الساعة) قد تطلق على جزء من الوقت، كما تطلق على المحدد بستين دقيقة، وعلى تقسيم النهار من الطلوع إلى الغروب، إلى اثني عشر قسماً، كل منها يسمى ساعة أيضاً، وكذلك الليل، على تفصيل ذكره علماء الفلك (٥).

١- والأصل في كل كلمة من كلام الحكيم - فكيف إذا كان قمة في الحكمة والبلاغة - انها جيء بها لغرض وفائدة.

٢- الكافي: ٢٦٢/٣ ح ٤٥.

٣- الحجر: ١٩.

٤- أمالي الصدوق: ٢٨١ ح ١ المجلس ٥٥ ط بيروت.

٥- وسيأتي مزيد من الحديث عن (التوقيت) عند قولها عليها السلام: (فما كانت إلا ساعة).

فقال: السلام عليك يا فاطمة

(فقال: السلام عليك يا فاطمة)

ترتيب المطالب

مسألة: يرجح ترتيب المطالب على وجه يفيد مطابقة مرحلة الإثبات لمرحلة الثبوت، كما قالت (عليها السلام): (دخل عليّ أبي... فقال) فجاءت (سلام الله عليها) بفاء التفرّيع ولم تقل: (وقال) وفرقهما واضح. فإن في اللغة العربية خصوصيات، حتى بالنسبة إلى الكلمة وجزء الكلمة، كما قالوا قوله سبحانه وتعالى: ((ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ)) (١) مع أنه لا وجه - كما قد يتوهم - لحذف الياء، قالوا لأنه حكاية عن سرعة كلامه، حيث إن المسرع في كلامه يحذف بعض الكلمة، ولغتهم وإن لم تكن لغة العرب، لكن الله سبحانه وتعالى حذف الياء علامة على ذلك في لغتهم.

ومثلاً: قال علي (عليه الصلاة والسلام) فيما يروي عنه:

أنا الذي سمّنتي أمي حيدرة *** ضرغام آجام وليث قسورة (٢)

فإن الإمام (عليه السلام)، لم يرد ذكر المرادفات للأسد لمجرد التكرار والجمال، وإنما أراد خصوصيات الأسد في أحواله المختلفة، فإن كل أسم وضع لخصوصية من خصوصيات الأسد، فالأسد يسمى (حيدراً وحيدرة): حينما ينزل من مكان مرتفع كالجبل ونحوه، حيث يستلزم المهابة الشديدة. ويسمى (ضرغام آجام) لأن الضرغام في الآجام يزار فيملأ الأجمة بصوته المرعب. ويقال له: ليث، باعتبار تلوّثه بالفريسة، وهذا منظر مخيف جداً للفريسة وللإنسان الذي يشاهدهما. ويسمى: قسورة، فيما إذا كان يطارد حيواناً أو قطيعاً من الحيوانات، فلذا قال سبحانه: ((كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)) (٣).

وورد في بعض كتب العرب، أن امرؤ القيس قال قصيدة مطلعها: (دنت الساعة وانشق القمر) ثم نزل قوله تعالى: (اقتربت الساعة) (٤). فقال بعض أدباء الجاهليين: إن هذه الآية تمتاز بسبعين نكتة من حيث الفصاحة والبلاغة، على كلام امرء القيس.

١- الكهف: ٦٤.

٢- الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ص ٣٨ ط قم.

٣- المدثر: ٥٠ - ٥١.

٤- القمر: ١.

استحباب الابتداء بالسلام

مسألة: يستحب الابتداء بالسلام حتى من الكبير على من دونه.
ولذا سلم الرسول وعليّ (عليهما السلام)، على فاطمة (عليها السلام)، بل في بعض الروايات: استحباب سلام الكبير على الصغير، وقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يسلم على الأطفال، وفيه من التواضع والتعليم ما ليس في عكسه.
وكذا الأمر في سلام الراكب على الراجل، إلى غير ذلك من أحكام السلام الكثيرة وقد جمعها ابن العم السيد عبد الهادي (قدس سره) في رسالة مستقلة أنها إلى الف مسألة.
وقد ذهبنا في (الفقه) إلى كفاية لفظ (سلام). و (سلاماً) في تحقق السلام، كما يدل على ذلك الإطلاقات والآية: ((قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ))، ويؤيده الإعتبار وسياتي تفضيل ذلك. فالمستفاد من الحديث استحباب السلام الكامل، لأنهم سلموا عليها (عليهم السلام) بالصيغة الكاملة (١)، بالإضافة إلى أنه نوع احترام، واحترام المؤمن، فكيف أمثالهم (عليهم السلام) من أكد المستحبات.
كما أن سلامهما عليها وجوابها لهما (عليهما السلام) دليل على استحباب سلام الصغير أيضاً، فليس خاصاً بالكبير، بل ربما يقال بوجوب جواب الكبير لغير البالغ أيضاً، كما تقتضيه الإطلاقات، آية ورواية، فتأمل (٢). نعم حديث الكساء لا يدل على مزيد من الرجحان.

السلام على فاطمة (عليها السلام)

مسألة: يستحب السلام على فاطمة (صلوات الله عليها) حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (السلام عليك)، وقد دل عليه بعض الأحاديث أيضاً.
ولا فرق في ذلك (فيها وفي سائر المعصومين (عليهم السلام)) بين حيهم وميتهم، فهم حاضران ناظرون ((أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) (٣).

١- لأصالة الأسوة، والإلتزام بأن أفعالهم داخلية في دائرة الواجب أو المستحب، لا غير ومما يشهد له وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر، بأن تكون كل أفعاله لله [راجع تحف العقول: ص ٥٤ ح ١٥٢ ط طهران]، وذلك في المباح ممكن أيضاً عبر النية (انما الأعمال بالنيات) [وسائل الشيعة: ٣٥/١ ب ٥ ح ١٠].

٢- قد يكون الوجه: رفع التكاليف عنه وبالنسبة إليه مطلقاً إلا ماخرج.

٣- آل عمران: ١٦٩.

سلام الرجل على المرأة

مسألة: يستحب سلام الرجل على المرأة إذا كانت من محارمه، ولذا سلم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) على فاطمة (سلام الله عليها).

أما في محارم: فلا إشكال.

وأما في غير المحارم: فإذا لم يكن بتلذذ وريبة، ولذا ورد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يسلم على النساء، وعلي (عليه السلام) كان يسلم على غير الشابة منهن، والسر: لكي لا يتخذ أسوة للآن مجتمع مكة كان يختلف عن مجتمع الكوفة، حيث تجمع فيه أخلاط من الناس، وكان من مظان افتتان الناس.

ومنه يعلم وجه سلام الصحابة على نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في بعض التواريخ، وعلى الزهراء (عليها السلام).

والظاهر الحرمة في سلام المرأة على الرجل الأجنبي، إذا كان عن تلذذ أو خوف ريبة، أما بدونهما فلا إشكال، ولذا كن يسلمن على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) كما في بعض التواريخ.

نعم إذا سلم أحدهما على جماعة من مثله، وفيه الجنس المخالف، مثل الرجل على مجموعة من النساء والرجال - في قافلة مثلاً - أو المرأة على جماعة من الرجال والنساء، فهو أبعد من الفتنة والريبة.

وإذا لم يحرم السلام في موضع كان مستحباً، إلا في الموارد المكروهة، كما ورد في موارد خاصة مذكورة في كتب الأحاديث.

ثم إذا حرم السلام، فالظاهر عدم وجوب الجواب، لا نصرف أدلة الوجوب إلى السلام غير المحرّم.

فقلت: وعليك السلام، قال: إني أجد في بدني ضعفاً

(فقلت: وعليك السلام)

ردّ السلام

مسألة: يجب ردّ السلام ولذا قالت: (عليك السلام)، والفعل وإن كان أعم إلا إن استفادة الوجوب إنما هي من الأدلة الأخرى.

(قال: إني أجد في بدني ضعفاً)

الإخبار عن الحالة الجسدية والنفسية

مسألة: يجوز التشكي والإخبار عن الحالة الجسدية والنفسية، ويرجح إن كان لفائدة، كالتعليم أو دفع التوهم أو شبه ذلك، حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إني أجد في بدني ضعفاً)، أما النفسية فبالملاك. إشكال في جواز الإخبار، وربما يقال بالإستحباب لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة، والمنصرف من مثله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يأتي بالراجح.

ويؤيده ما ورد من أن الشكاية إلى الله سبحانه (١) وبذلك يقيد ما ورد من كراهة التشكي (٢). ولعل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (في بدني) لدفع توهم أنه في النفس تألماً مما يقوم به المشركون والأعداء، فيكون المراد به ما أراد إبراهيم (عليه السلام) حيث قال: ((إني سقيم)) (٣) - على إشكال - أو أنه في قبال الضعف في جزء من الجسد كالعين والأذن وما أشبهه.

ويحتمل أن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إني أجد...) كان تمهيداً لأمره بإتيانها بالكساء إليه، وكأنه لدفع توهم من إنسان - غيرها (عليها السلام) - إنه لماذا يريد المنام في النهار، وإذا كان كذلك كان دليلاً على رجحان دفع التوهم (ورحم الله من جب الغيبة عن نفسه).

١- راجع الوافي: ١٦٤/٣ ب ١٧١ ح ١.

٢- راجع بحار النوار: ٣٤٨ / ١٣ ح ٣٥.

٣- الصافات: ٨٩.

ويؤيده ما روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان يتكلم مع زوجة من زوجاته في الطريق فلما مر بهما إنسان، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) له: يا فلان هذه زوجتي فلانة - دفعاً لتوهمه - .
فقال الصحابي: أو منك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - يريد أنه لا يتوهم عن مثله (صلى الله عليه وآله وسلم) - .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (نعم، إن إبليس عدو الله... يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق) (١).

ولا يخفى إن قول إبراهيم (عليه السلام): ((إِنِّي سَقِيمٌ)) (٢) لم يرد به المرض، حتى يكون خلاف الواقع، بل أراد سقم النفس من كفرهم وشركهم، كما هو كذلك في كل متدين في مجتمع غير ديني.

١- تفسير العياشي: ٣٠٩/١ ح ٧٨ ط طهران. وفيه آخر الحديث فقط.

٢- الصافات: ٨٩.

فقلت له: أعيدك بالله يأبتاه من الصعف

(: فقلت له اعيدك بالله يأبتاه من الصعف)

الدعاء للمريض

مسألة: يستحب الدعاء للمريض (١)، حيث قالت (سلام الله عليها): (أعيدك بالله يأبتاه) ولذلك كان دعاؤها (٢) واستحبابه قد ورد في جملة من الروايات، سواء كان بحضرته أم غائباً، وسواء بهذه اللفظة الواردة في هذا الخبر أم بلفظ آخر، وسواء كان المريض مؤلماً أم لا. وهل من ذلك المرض القلبي؟ قال سبحانه: ((في قلوبهم مَرَضٌ قَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)) (٣)؟ الظاهر ذلك (٤)، ولذا كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) (٥). و (لا يعلمون) يراد به على طبق الواقع عملاً (٦)، وإن كانوا علموا، كما قال سبحانه: ((وَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ)) (٧).

وهل يجوز الدعاء للمريض المؤذي للمسلمين ككفراً أو نفاقاً أو ظلماً؟

لا إشكال في جوازه في الهداية وكف الظلم. والكلام في جواز الدعاء له بالعمر الطويل والمال الكثير والعافية البدنية.

الظاهر العدم، لأنه بملاك الدعاء على المؤمن، وفي قول الصادق (عليه السلام) لإبراهيم الجمال دلالة عليه. ثم لا يخفى إن الأمور كلها بيد الله سبحانه، قال تعالى: ((وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِرْتُ لِقَائِهِ)) (٨) وإذا كان كذلك فما

١- راجع (الفقه: الآداب والسنن).

٢- العديد من كلماتها (عليها السلام)- ومنها هذه الكلمة - تصلح أن تكون مؤيداً أو دليلاً على الحكم في مرحلة الإثبات، كما تصلح أن تكون معلولاً لوجود الحكم في مرحلة الثبوت، وههنا (حيث) إشارة للقول (وذلك) إشارة للثاني فليدقق.

٣- البقرة: ١٠.

٤- سيأتي تقييده بالدعاء بالهداية وشبهها.

٥- بحار الأنوار: ٢١/٢٠ ب ١١ غزوة أحد.

٦- قد يكون المراد (العلم المؤدي للعمل والمحرك للجوارح) وقد يكون المراد (علم اليقين). وقد يكون إشارة لمن لا يعلم منهم، فتأمل.

٧- النمل: ١٤.

٨- الشعراء: ٨٠.

شأن الدواء؟ وإذا كان بالدواء فما شأن الدعاء؟.

والجواب: إن الأمور كلها بيده سبحانه، لكنه جعل الدنيا دار أسباب وأمر بالأخذ بها، فالدواء لما بأيدينا، والدعاء لما ليس بأيدينا، ولذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اعقلها وتوكل)(١) وفي حديث: أنه تعالى قال لموسى (عليه السلام): (أتريد أن تبطل حكمتي في الأشياء)؟

الاستعاذة بالله تعالى

مسألة: يستحب الاستعاذة بالله سبحانه، حتى من مثل الضعف فكيف بالمرض.

أما الإستحباب فلأنه دعاء فيظهر منه ذلك، والضعف يسبب تأخر الإنسان عن حوائجه الدينية والدينية، ولا نعلم هل كان ضعف حوائجه الدينية والدينية؟ ولا نعلم هل كان ضعف جوع أو ضعف تعب، أو ضعف مشكلة أثرت على الجسد، إذ النفس إذا وقعت في المشكلة أثرت على الجسد أيضاً، إذ كل منهما يؤثر في الآخر صحة وسقماً، ونشاطاً وخمولاً وقوة وضعفاً، ولذا ورد في الدعاء: (قوّ على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوارحي)(٢) وكذلك في أدعية أخرى، وفي القرآن الحكيم: ((لا قوة إلا بالله))(٣) إلى غير ذلك.

رفع الضعف الجسمي والنفسي

مسألة: ومنه يعلم إنه ينبغي أن لا يقوم الإنسان بما يسبب ضعف جسده، وإنه إذا ضعف استحب له رفعه. وكذلك حال ضعف النفس وقوتها، فإن الشجاعة ممدوحة كما ورد في الحديث: (إن الله... يحب الشجاعة ولو على قتل حياة)(٤). وكما أن الجسد يتقوى بالرياضة والمقويات وما أشبه، كذلك النفس تتقوى بالرياضة النفسية وهي ترويض النفس على القيام بما تكرهه، وكذلك تركيز الفكر في شيء خاص في أوقات كثيرة، فإن النفس حينئذ تكون كمثّل المجهر، حيث إن مقدار كف منه تحت أشعة الشمس يحرق، بينما مقدار ألف فرسخ من أشعة الشمس - مشتتة ومتوزعة - لا يحرق. ثم إن التضعيف الموجب لعدم التمكن من القيام بالواجبات محرّم، لأنه مقدمة له فيجب رفعه.

وذلك فيما إذا علمنا من الشارع، إنه أراد ذلك الواجب - وكان شرطه شرط الوجود لا الوجود - كما في ماء الغسل والوضوء، ولهذا فإن الفاقد للماء يجب عليه أن يمشي غلوة سهم أو سهمين، على تفصيل مذكور في الفقه، وأما إذا لم يعلم من الشارع ذلك لم يجب، كما إذا كان مريضاً قبل شهر رمضان وتمكن - قبل حلوله - من علاج نفسه بحيث يتمكن من الصوم مع حلول الشهر المبارك، فإنه لا دليل على وجوب العلاج حينئذ.

١- نهج الفصاحة: ٦٩ ح ٣٥٩ ط طهران.

٢- دعاء كميل.

٣- الكهف: ٣٩.

٤- مستدرک الوسائل: ٢٩٧/٨ ب ٣٩.

فقال: يا فاطمة إيتيني بالكساء اليماني فغطيني به

(فقال: يا فاطمة إيتيني بالكساء اليماني فغطيني به)

أمر الغير بإنجاز الحاجة

مسألة: يجوز بالمعنى الأعم أمر الغير بالحاجة، خصوصاً إذا كان الأمر أعلى.

حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إيتيني بالكساء اليماني) و (وغطيني به).

ثم إن في بعض الروايات النهي عن طلب الحاجة من الغير، لكن الظاهر إن أمثال تلك إنما يراد بها الإفراط، كما هي عادة بعض الناس في إلقاء كلهم على الناس، لا القدر المتوسط العقلائي، فإنه كان متعارفاً منذ صدر الإسلام إلى هذا اليوم، ولم يقل أحد من الفقهاء - فيما أعلم - بكراهته، وبعد ذلك لا مجال لأن يقال: إن قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (عليها السلام) إنما هو من باب التخصيص لذلك المطلق، واستثناء طلب الأب من أولاده منه.

وعلى أي حال، فهذا في الحاجة التي تتأتى من الإنسان ومن غيره. أما في ما لا يتأتى إلا من غيره كالبناء والحدادة والنجارة وما أشبهه، فلا يحتمل الكراهة إطلاقاً.

ولعل تخصيصه (صلى الله عليه وآله وسلم) الكساء اليماني، لأنه كان أكبر أو أوسع ولذا فسره صاحب كتاب نصاب الصبيان بالـ (كليم) وهو نوع من الفرش والبساط، بينما سائر الكساءات لم تكن كذلك، أو لم تكن متوفرة، ولعله (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد به لیسع أهل بيته (عليهم السلام) عند مجيئهم، لعلمه وعلمهم (عليهم السلام) بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة (١).

١- راجع بحار الأنوار: ١٩٤/٢٦ ب ١٥ ح ١.

فأتيته بالكساء اليماني فغطيته به

(فأتيته بالكساء اليماني فغطيته به)

قضاء الحاجة

مسألة: يستحب قضاء حاجة الغير سواء طلبها من أخيه أم لم يطلب، ويتأكد في صورة الطلب (١) لجملة من الروايات الدالة على استحباب قضاء حاجة المؤمن.

بل لا يبعد استحباب قضاء حاجة الإنسان، ولو لم يكن مسلماً للملاك في سقي علي (عليه السلام) (٢) والحسين (عليه السلام) (٣) الماء لمن حاربوهما، ولقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لكل كبد حري أجر) (٤) إذا فهم الملاك بالمناسبة على كل الحاجات، سواء أظهرها أم تبين عنه تطلبه لها.

ثم إن فاطمة (عليها الصلاة والسلام) هي التي غطت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مما تكون أسوة في استحباب تغطية الرحم بل وغير الرحم أيضاً، لأن الملاك عام حتى في غير الرحم.

طاعة الأب

مسألة: يستحب إطاعة الأب وقد يجب كما فعلت الزهراء (عليها السلام). والأمر إذا اجتمعت فيه جهات يصلح كل واحد منها سبباً لرجحان الإطاعة - يحمل أمره على إحدى الجهات حسب ما تقتضي القرينة إذا لم يكن الجمع.

والظاهر أن طاعة غير الأب من الأقرباء، كذلك أيضاً مع اختلاف المرتبة، بل يستحب للإنسان إطاعة سائر المؤمنين في حوائجهم، فإن قضاء حاجة المؤمن يشمل حتى مثل ذلك، وإن كان المؤمنون يختلفون في شدة الإستحباب وعدمها.

بل ولعله يستحب حتى لغير المؤمن - كما أشرنا إليه - لقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إما أخ لك

١- راجع (الفضيلة الإسلامية) و(الفقه: الآداب والسنن).

٢- راجع بحار الأنوار: ٢٩/٤٢ ب ١١٦ ح ٨.

٣- راجع بحار الأنوار: ٣٨/٦٠ ب ج ١ بيان ط بيروت. وفي ج ٤: ((فقال الحسين (عليه السلام) لفتياناه: اسقوا القوم واروهم من الماء)).

٤- بحار الأنوار: ٣٧٠/٧٤ ب ٢٣ ح ٦٣ بيان.

في الدين أو نظير لك في الخلق)(١)، ولأن الإمام الحسين (عليه السلام) نزل عن جواده بنفسه وسقى ذلك المحارب الذي جاء لقتله، في قصة مشهورة، ولغير ذلك من الأدلة أو المؤيدات.

(وصرت أنظر إليه)

(وصرت أنظر إليه)

النظر إلى وجه الأب

مسألة: يستحب النظر إلى وجه الأب، بل وإدامة النظر إليه، والإكثار منه، لما ورد من الروايات الدالة على استحباب النظر إلى وجه الأبوين، خصوصاً إذا كان الأب كالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو كان عالماً، فقد ورد إن النظر إلى باب دار العالم عبادة ولا بعد، إذ النظر بلطف نحو ذي الكمال وما يتعلق به، يقرب الإنسان على الكمال، إذ إنه يستلزم التحنن والعطف نحو المنظور إليه وما يتعلق به (١) وله أثر وضعي أيضاً ولعله لذا - ولو كجزء العلة - ارتد يعقوب (عليه السلام) بصيراً بسبب ثوب ولده، فإذا كان ثوب الولد كذلك، يكون باب دار العالم والمراقد المطهرة وما أشبهه، بذلك الحكم أيضاً.

بل في قصة السامري: ((فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ)) (٢) فإذا كان تراب قدم فرس جبرائيل كذلك، أفلا يكون ما يتعلق بهم (عليهم السلام) بهذه الحثيثة؟ بل وبطريق أولى لأنه خادمهم (عليهم السلام) وذلك ليس خاصاً بالنظر، بل التحسس بما أمكن من الحواس الخمس كذلك، فقد أخذت الزهراء (سلام الله عليها) حفنة من تراب القبر المطهر وأنشدت: (ماذا على من شم تربة أحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الأبيات (٣)).

ورود أن من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان عن الله، فقد عبد الله، وإن كان عن الشيطان، فقد عبد الشيطان، فإن الحواس الخمس بالإضافة إلى الفكر لها أحكام اقتضائية ولا اقتضائية، ولذا ورد (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) (٤) إلى غير ذلك مما يجده المتتبع في كتب الأحاديث والأخلاق.

النظر إلى وجه المعصوم (عليه السلام)

مسألة: يستحب النظر إلى وجه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل إلى وجه مطلق المعصوم (عليه السلام).

١- كما هو من مقدمات الإقتداء به، وهو نوع من التشويق على العمل الصالح.

٢- طه: ٩٦.

٣- المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤٢/١ أولها: (قل للمغيب تحت أطباق الثرى).

٤- بحار الأنوار: ٣٢٧/٧١ ب ٨٠ ح ٢٢.

وفي الحديث: (النظر إلى وجه علي عبادة)(١) وبحكمه: النظر إلى آثاره كخط يده أو ما أشبه ذلك، ويشهد لذلك روايات استحباب النظر للكعبة ولباب دار العالم، بطريق أولى.

١- الوسائل: ٨٥٤/٤ عن مجالس ابن الشيخ ص ٢٩٠ وفيه: (النظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) عبادة).

وإذا وجهه يتللاً كأنه البدر

(وإذا وجهه يتللاً كأنه البدر)

ذكر الكرامات

مسألة: يستحب ذكر ما يشهده الإنسان من كرامات المؤمنين بالله، كما ذكرت (سلام الله عليها) ذلك بقولها: (وإذا وجهه يتللاً).

وهل كان وجهه (صلى الله عليه وآله وسلم) يتللاً بنور مادي خارق للعادة إعجازاً، أم إن هذا الكلام منها (عليها الصلاة والسلام) على وجه التشبيه؟. احتمالان. ولا يبعد الأول.

وهكذا يستحب ذكر مطلق كرامات ومعجز المعصومين (عليهم السلام)، لما فيه من الفائدة العظيمة، والتي من أهمها جمع الناس حولهم، فإن القائد إذا التف الناس حوله تكون كلمته أكثر نفوذاً وقيادته أكثر استحكاماً، وبذلك يسعد الناس في دنياهم وآخرتهم، بالإضافة إلى إن ذكر الكرامات والمعجز يوجب قلع الناس عن المادية البحتة، فإن الماديين يتصورون أن المادة هي كل شيء، والمعجز والكرامات لما كانت خلاف المعادلات المادية، فإنها تدل على أن (الماورائيات) وعالم الغيب أيضاً، شيء له تأثيره الخارجي الكبير، ولذلك لا يرتطم الإنسان في أحوال المادة التي تؤدي بدنياه وآخرته.

التشبيه في الكلام

مسألة: يجوز التشبيه في الكلام، ويرجح فيما لو تضمن حثاً على الخير، أو كان عمّن هو من أولياء الله كما قالت (عليها السلام): (كأنه البدر في ليلة)... (كما في قوله تعالى: ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...)) (١).

في ليلة تمامه وكماله

(في ليلة تمامه وكماله)

مزيد البيان

مسألة: ينبغي تكثير اللفظ لمزيد البيان والفائدة، كما في قولها (عليها السلام): (تمامه وكماله) وهو من صغريات الإتقان، كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): (إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن)(١). فإن القمر يقال له: البدر قبل الليلة الرابعة عشر وبعدها، حيث إنه في الثالثة عشر والخامسة عشر يرى كاملاً أيضاً(٢) وإن كان في الحقيقة يطراً عليه شيء من النقص من هذا الجانب، أو من ذلك الجانب كما لا يخفى.

والظاهر أن الفرق بين التمام والكمال، إن التمام بالنسبة إلى الكم، والكمال بالنسبة إلى الكيف. مثلاً: المائدة قد تكون تامة وليست كاملة، وقد تكون كاملة وليست تامة، أما إذا كملت وتمت من حيث الكم والكيف، تسمى تامة كاملة، وتمام القمر مثلاً بالليلة الرابعة عشرة وكماله، أن لا يكون هنالك غيم رقيق أو عجاج أو ما أشبهه، يحول دون كمال نوره للناظرين، وربما كان المراد: شدة نوره، فالكمال على هذا ثبوتي وعلى ذلك إثباتي.

١- الكافي: ٢٦٢/٣ ح ٤٥.

٢- راجع لسان العرب مادة بدر حيث يقول: (والبدر القمر إذا امتلأ) و(سمي بديراً لتمامه).

فما كانت إلا ساعة

تحديد الأحداث

(فما كانت إلا ساعة)

مسألة: يستحب التوقيت - كما سبق - حيث قالت (سلام الله عليها). (فما كانت إلا ساعة...)
 إذ إن الإخبار عن الوقت الماضي أو الآتي ومقداره، داخل في (نظم أمركم) (١) - كما قاله علي (عليه السلام) -
 فإن النظم يشمل الزمان والمكان وسائر المزاي والخصوصيات كالكف والكيف وغيرهما من المقولات.

ويؤيده قوله سبحانه: ((لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابِ)) (٢).

وقوله سبحانه: ((مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ)) (٣).

والظاهر أن المراد بـ (الساعة): القطعة من الزمان، لا الساعات المستوية أو المعوجة الفلكية وإن أطلق عليها جميعاً، للإتصاف.

وليس تواليهم (عليهم السلام) في المجيء بعيداً - مع قطع النظر عن الجانب الغيبي ومعرفتهم مسبقاً بالأمر -
 فإن بيت الزهراء (عليها السلام) كان له بابان، باب إلى المسجد ولم يغلقه الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث
 سد الأبواب بأمر الله سبحانه إلا بابها (٤)، وباب إلى الشارع، وكان هؤلاء الأبطال (عليهم السلام) غالباً في
 المسجد أو حواليه.

ويدل على وجود البابين، أنهم أحرقوا باب دارها (عليها الصلاة والسلام) الذي كان إلى الخارج لا الذي كان
 إلى المسجد، وسحبوا علياً (عليه الصلاة والسلام) من ذلك الباب إلى المسجد، لا من الباب الذي كان في
 المسجد.

وقد كانت (سلام الله عليها) تبكي فتسمع من في المسجد، مما رأوا ان بكاءها يفضحهم - على تفصيل مذكور
 في التواريخ -.

ولا يخفى أن عادة ضبط الوقت مما يزيد في إقبال الناس على العمل الجاد، لأن الضابط يلتفت أكثر فأكثر إلى
 انقضاء عمره تدريجياً، وان ما انقضى لا يعود، وهذا يشجع أكثر على العمل الصالح.

١- مستدرک الوسائل: ٤٤١/١٣ ب ١. عن نهج البلاغة ٨٥/٣.

٢- الإسراء: ١٢.

٣- البقرة: ١٨٩.

٤- راجع تفسير الإمام الحسن العسكري ((عليه السلام)) ص ١٧.

ما هي حقيقة الزمان؟

وهنا نقاط حول الزمان نذكرها بالمناسبة.

هل الزمان والمكان انتزاعيان أو حقيقيان؟ ومن أية مقولة؟ بل هل هما شينان أو شيء واحد، كما ذهب إليه بعض المعاصرين؟

ان ذلك من أغمض الأشياء قديماً وحديثاً، كسانر حقائق الأشياء، فالمفهوم من أظهر الأشياء ولكنه في غاية الخفاء، ومن الطريف ان الزمان متعاكس ومتخالف طولاً وعرضاً، ففي بعض الروايات إن السلطان إذا كان عادلاً، أمر الله الفلك ببطء الدوران، وإذا كان ظالماً، أمر الله الفلك بسرعة الدوران، وقد ذكرنا في (الفقه: الآداب والسنن) كيفية اختلاف الزمان في قطعتين من الأرض في إحداهما الملك العادل وفي الأخرى الملك الظالم هذا من ناحية العرض (١).

أما من ناحية الطول فهناك ما يثير الاستغراب:

فقد ورد أن الرسول (صلى الله عليه وآله) عرج به إلى السماء، وجرت قضايا ومشاهدات كثيرة ما يستوعب - حسب الظاهر - ربما مقدار شهر من الزمان أو أكثر، بينما لما رجع لم يكن قد انقضى من الزمن في الأرض إلا مقدار دقيقة أو أقل (٢) مما يدل على أن الأمر في الأرض أقل من المكان أو البعد الذي دخل فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى بالنسبة إلى ذهابه إلى المسجد الأقصى.

وقد التزم جماعة (٣) بامتداد الزمان وتقلصه حسب سرعة الحركة (٤)، فإذا كان الشخص عمره عشرون سنة تحرك دون سرعة الضوء - بحد معين - إلى مجرة أخرى مما استغرق ذهابه وإيابه خمسين سنة، فإنه إذا رجع إلى الأرض يكون عمره سبعون سنة، بينما سيرى أنه قد انقضى من عمر الأرض أربعة ملايين سنة (٥)! وربما يؤيد هذا قوله سبحانه: ((فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)) (٦) على بعض التفاسير وكذلك ((خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)) (٧).

ومن الطريف في العرض ماورد في بعض المكاشفات: إن إنسانين ماتا، أحدهما مجرم والآخر محسن، فإن الأول مرّ عليه في ساعة واحدة مقدار ألف سنة، والثاني مرّ عليه في مقدار ألف سنة مقدار ساعة، ولا ينافي هذا ما سبق فليدقق (٨).

١- المراد زمن واحد ممتد على مساحتين.

٢- إحدى الروايات تفيد أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ذهب ورجع، وحركة حلقة الباب لم تتوقف بعد! مما لا يتجاوز ثوان معدودات.

٣- منهم (انيسيتاين).

٤- من الأقوال القديمة عند الفلاسفة في حقيقة الزمن انه مقدار الحركة (أو مقدار حركة الفلك).

٥- مجلة العربي: العدد ٤٠٠.

٦- السجدة: ٥.

٧- المعارج: ٤.

٨- يتضح ذلك بمراجعة توجيهه (قدس سره) في (الآداب والسنن) لتلك الرواية الشريفة.

ولعله يأتي يوم ينكشف فيه حقيقة الأمر بإذن الله سبحانه.

وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال: السلام عليك

(وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال: السلام عليك)

السلام على الأم و...

مسألة: يستحب السلام على الأم والبنت والزوجة، كما فعله أولئك الأطهار الثلاثة (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وقد أشرنا إلى المسألة سابقاً، ونضيف:

لا يقال: إن ذلك من البديهيات.

لأنه يقال: إنما صارت هذه الأمور بديهية، بسبب قولهم وفعلهم وتقديرهم (عليهم السلام) وإلا فالمرأة - مثلاً - لم تكن لها كرامة في الجاهلية، بل حتى يومنا هذا ترى بعض الجهال ينزلون المرأة إلى مرتبة الحيوان أو أدنى، كما أن الغربيين يعدون المرأة آله لترويج البضائع وترفيه الرجل، وقد رأيت أنا من يقول: - وهو يذكر شيئاً عن زوجته - (تكرم... زوجتي) كما يقول في نفس الوقت: (تكرم كلبتي) فهو يعتقد بحقارتها.

لا يقال: إن الإسلام أيضاً أهان المرأة حيث قال (عليه السلام): (ناقصات) (١) وما أشبه ذلك.

لأنه يقال: قد ذكرنا في بعض كتبنا: إن الإسلام أراد أن يجعل المرأة في مكانتها الطبيعية فلا إفراط ولا تفريط، فالمراد بالنقص الإشارة إلى الحدود التكوينية للمرأة، ونوعية وظائفها وأنها ليست مثل الرجل، من قبيل أن السيارة الصغيرة لها أربع عجلات في قبيل السيارة الكبيرة، حيث لها ثمان عجلات أو أكثر، لا النقص بمعنى النقيصة كإنسان لا يد له، ولذا أكرمها الله بقوله تعالى: ((لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ)) (٢) (٣) وقال (عليه السلام): (فإن المرأة ربحانة) (٤) فالطائفتان من قبيل: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)) (٥) و ((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) (٦) وقد تقدم الإلماع إلى مثل ذلك.

١- تهذيب الحكام: ٤٠٤/٧ ب ٣٤ ح ٢١.

٢- البقرة: ٢٢٨.

٣- راجع: (فاطمة الزهراء أفضل أسوة للنساء) و(نكاتى از شخصيت اسلامى زن) للإمام المؤلف.

٤- وسائل الشيعة: ١٢٠/١٤ ب ٨٧ ح ١. عن الكافي: ٦١/٢.

٥- الإسراء: ٧٠.

٦- الأحزاب: ٧٢.

يا أماه

(يا أماه)

التسميه

مسألة: يستحب تسمية المسلم عليه بعد السلام مباشرة، كما قال (صلى الله عليه وآله) (السلام عليك يا فاطمة).

وقال الإمام الحسن (عليه السلام): (السلام عليك يا أماه) إلى آخره. بل يستحب تسمية كل من المسلم والمسلم عليه الآخر، ولذا سمي الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) والحسنان (عليهما السلام) فاطمة (صلوات الله عليهما) (١) والمراد بالإسم: الأعم من الكنية واللقب.

وكما سمت فاطمة (سلام الله عليها) أولئك الأطهار (عليهم السلام) وقد ذكر علماء النفس أن الإنسان يهش إذا ذكر اسمه في مقام التعظيم، كما يوجب ذكر اسم المحبوب الفرح للمسمي أيضاً.

وبذلك يظهر أنه لا خصوصية في السلام والجواب، بل ملاكته - مثل الأدلة الأخرى كما هنا بذكر اسم أولئك الأطهار (عليهم السلام) الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في قصة تلقيهم التمر، قانلاً: هنيئاً مريئاً يا حسن (٢) وهكذا - يشمل كل مكان يناسب ذكر الاسم.

وفي أحاديث المعراج: إن الله سبحانه كرر في خطباته له (صلى الله عليه وآله) ذكر (يا أحمد) (٣) وكذلك في خطباته لبعض الأنبياء كرر، سواء في القرآن مثل: ((وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)) (٤) و: ((نَادَيْتَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ)) (٥) وهكذا، أو فيما روي من الأحاديث القدسية.

نعم إذا كانت التسمية إهانة - في بعض الأعراف الاجتماعية - فلا يكون من المستحب بل من المكروه،

١- جرى ذكر أدلة ومؤيدات أخرى للإستحباب، سابقاً في مسألة (استحباب التلقيب) فليراجع.

٢- بحار الأنوار: ٣١١/٤٣ ب ١٢ ح ٧٣.

٣- عوالم العلوم: ٢٦/١١ ب ٣ ح ١. تحقيق مؤسسة الإمام المهدي ((عليه السلام)). نقلاً عن الجنة العاصمة عن كشف اللآلي لابن العرندس بإسناده عن جابر الأنصاري عن النبي (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى أنه قال: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما).

٤- طه: ١٧.

٥- الصافات: ١٠٤.

وأحيانا الحرام، كل في مورده.

خطاب الأم

مسألة: يستحب خطاب الأم بكلمة (يا أماه) أو ما شابه مما يعد احتراماً لها.

فقلت: وعليك السلام

(فقلت: وعليك السلام)

صيغ السلام المختلفة

مسألة: قد سبق أنه يجب رد السلام، وقد سبق حكم ما لو كان المسلم غير بالغ، ويجوز أن يجيب بأية صيغة مثل: (عليك السلام) و (عليكم السلام) و (عليك السلامات) و (عليك السلامات) و (عليك سلام الله) و (عليكم سلام الله) وكذلك إذا قدم (السلام) على (عليك).

والظاهر أنه يكفي في كل من التسليم والرد لفظ: (السلام) فقط، ولذا قال في القرآن الحكيم: ((قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ)) (١) وجعل هذا إشارة إلى أنهما سلماً بضيغة كاملة لا ظهور له إذ هو مجاز والمجاز خلاف الأصل.

وهل يكون من السلام الصيغ الأخرى مثل: (عليك التسليم) أو: (التسليم عليك) أو: (أنا مسلم) أو يقول في جواب: أنا مسلم أو ما أشبه ذلك؟

لا يبعد ذلك للإطلاقات وكونه تحية وداخلاً في قوله سبحانه: ((وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)) (٢).

ولو لم يكن في السلام ذكر الله تعالى، لا لفظاً ولا تقديراً، كما لو قال: (عليك سلام الملائكة) فهل يجب الجواب؟ لا يعلم الوجوب.

وكذلك لا يعلم الكفاية إذا قال المجيب: (عليك سلام الملائكة).

والحاصل أنه كلما عرف ولو بالملاك المظنن به أنه داخل في السلام والجواب، أخذ به، وكلما شك فالأصل العدم.

ولربما يسأل: لماذا قدمت فاطمة (عليها الصلاة والسلام) الخبر على المبتدأ، بينما العادة جارية على تقديم المبتدأ على الخبر مثل: (السلام عليك أيها النبي) و (السلام علينا) و (السلام عليكم)؟

الجواب: لعل السبب أن تقديم (عليك) أدل على المحبوبة، كما ذكره في علم البلاغة من أن المقام إذا كان مقام هذا أو ذلك قدم ما كان المقام مقامه.

ولا يبعد جواز تغيير (عليك) إلى سائر الصيغ التي تفيد هذا المعنى مثل: (السلام لك)، ولذا ورد في بعض

١- هود: ٦٩.

٢- النساء: ٨٦.

السلامات: (اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام ودارك دار السلام حَيِّنا رَبِّنا منك بالسَّلَام)(١).
والملاك هنا أيضاً، هو ما ذكرناه من الملاك الآنف وجوباً وعدمياً، ولإبن العم رحمه الله(٢) رسالة سلامية
ذكر فيها مسألة حول السلام، لكنها لم تطبع حتى الآن.

١- مفاتيح الجنان: ٣٩٠: أعمال جامع الكوفة ط بيروت.

٢- آية الله العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي (قدس سره).

يا قرّة عيني وثمرّة فوّادي

(يا قرّة عيني وثمرّة فوّادي)

مدح المؤمن وتوقيره

مسألة: يستحب مدح الطرف الآخر بالحق وتوقيره، سواء في السلام أم في أثناء الكلام أم في سائر الموارد، ومنه الإشارة بالفعل وما أشبهه، ولذا قالت (سلام الله عليها): (يا قرّة عيني وثمرّة فوّادي).
 ووجه هذه الكلمة: إن الإنسان الذي فقد شيئاً أو خاف محذوراً، تأخذ عينه في النظر هنا وهناك بدون استقرار، فإذا وجده أو أمن استقرت عينه، وفاقد الولد شاردة عينه فإذا جاءه الولد استقرت، فد (قرّة عيني) من القرار والاستقرار.

كما أن في بعض تعابيرهم (عليهم السلام): (ثمرّة فوّادي) وكأنه بمناسبة أنّ الشجرة كما تتزين بالثمرة كذلك ينزين الإنسان بالولد، ويمكن أن تكون المناسبة غير ذلك. (١). ومن المعلوم إن المدح يوجب قوة التجمع وتماسكه سواء في المجتمع الصغير من قبيل العائلة، أم الوسط كالقبيلة والتجمعات المهنية، أو الثقافية أو الاقتصادية أو ما أشبهه، أم الكبير كاهل البلد والقطر، أم الأكبر كالأمة.
 لكن المدح يجب أن يكون بمقدار يطابق الواقع، وأن لا يكون فيه محذور، وإلا فقد قال (صلى الله عليه وآله): (احثوا في وجوه المدّاحين التراب) (٢) وذلك فيما كان تملقاً أو ما كان من مصاديق مدح الظالم أو ما أشبه ذلك. وكما يستحب المدح في مورده يكره القدح - مع المنع من النقيض حرمة أو بدونه كراهة - فيما إذا انطبق عليه محرم أو مكروه.

إظهار المحبة للأولاد والأقرباء

مسألة: يستحب إظهار الأم المحبة لأولادها، كما في قولها (عليها السلام): (يا قرّة عيني وثمرّة فوّادي). وهذا ليس خاصاً بالأم، بل كذلك حال الأب، والأولاد بالنسبة إلى الأبوين، وهكذا سائر الأقرباء، فإن إظهار المحبة نوع من الإجلال والاحترام، وهكذا حال إظهار المحبة بالنسبة إلى سائر المؤمنين.

١- الثمرة امتداد للشجرة كما وكيفاً وزمناً، وكذلك الولد، كما أنها علة غانية لها في الجملة، وهي بالفعل لما هو في الشجرة بالقوة.

٢- بحار الأنوار: ٢٩٤/٧٣ ب ١٣٤ ح ١. عن أمالي الصدوق: ٢٥٦.

وكما يمكن إظهار المحبة بالكلام، كذلك يمكن بالكتابة والإشارة.
والفرق بين (المودة) و (المحبة) إذا اجتمعا: إن (المودة) هي الظاهرة و (المحبة) هي القلبية، أما إذا افترقا
فكل يشمل الآخر.

فقال: يا أمّاه إني أشم عندك رائحة طيبة

(فقال: يا أمّاه إني أشم عندك رائحة طيبة)

استحباب السؤال والتحقيق (١)

مسألة: يستحب السؤال والاستعلام عن المجهول (٢) ومنه السؤال عن أهل الدار عما يستجد فيه، كما سأل الحسن ثم الحسين ثم علي (عليهم الصلاة والسلام) بقولهم: (إني أشم عندك رائحة طيبة). ثم لا يخفى إن السؤال ينقسم إلى الأحكام الخمسة، فقد يكونه واجبا كما في السؤال عن الأمور الدينية الواجبة، قال تعالى: ((فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ)) (٣).

وقد يكون مستحبا كالسؤال عن الأمور الدينية أو الدنيوية المستحبة ذاتاً، أو الراجح الإطلاع عليها. وقد يكون مكروهاً كما إذا كان مزعجاً في الجملة، أو مستنزماً للوقوع في المكروه. وقد يكون حراماً، قال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسئَلُونَ وَإِنْ تَسئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ)) (٤).

وقد يكون مباحاً: كغير موارد الأحكام الأخرى. (٥)

لكن لا يخفى إن السؤال المحرم - كالسؤال الواجب - ليس محرماً بذاته وإنما يحرم لعارض، مثل: إن يكون موجباً لهدر حق أو مستنزماً ضرراً بالغاً للسان، أو ما أشبه ذلك، وإن قال بعض بالواجب النفسي في بعض الموارد. أما الآية المباركة، فهل هي محمولة على الحرمة أو الكراهة؟ احتمالان، وإن كان الظاهر من أخيرها أنها على نحو الإرشاد والكراهة.

أما ما ورد من أن السؤال ذل، فالمراد - على تقدير كون المعنى المراد هو السؤال بمعنى الاستعلام، الإشارة إلى حقيقة تكوينه، وهي دونية مرتبة السائل من حيث هو سائل من المسؤول منه بما هو كذلك، إضافة إلى أن كونه ذلاً لا يستلزم كراهته مطلقاً، بل يدخل الأمر في باب التزام، ولذا ورد في الحديث: (ماضٍ من استرشد)، وورد: (ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه) ولذا قالوا: (اسأل عن أمور دينك حتى يقال: إنك مجنون)

١- راجع (الفقه: العقل).

٢- إذ السؤال طريق المعرفة، كما أن التفكير والتدبير طريق لها...

٣- النحل: ٤٣.

٤- المائدة: ١٠١.

٥- ربما يكون المقصود: السؤال عن ما لا يضر جهله ولا ينفع علمه بوجه.

بمعنى كثرة السؤال

استعمال الطيب

مسألة: يستحب استعمال الطيب خصوصاً المتزايد منه، كما كانوا يجدونه فيه (صلى الله عليه وآله) وكما دل عليه حديث الكساء، حيث كان النبي (صلى الله عليه وآله) يكثر من الطيب، بالإضافة إلى ما كان له من الحسن والطيب الذاتي، ولعل استعماله الطيب مع عدم حاجته إليه بدنياً، كان بغية أن يتساقط منه في الطريق، كما في الأحاديث، وأن يكون أسوة فلا يقولون إنه طيب ذاتاً، فمالي وله؟

وقد ورد في الحديث أنه (صلى الله عليه وآله) أمر بأن يشتري بثلاثي مهر الزهراء (سلام الله عليها) الطيب. وفائدة الطيب لا تنحصر في الرائحة الحسنة فقط، بل له فوائد أخرى منها: إنه منشط للأعصاب، وموجب لعدم نفرة بعض عن بعض، بل موجب للتقارب أكثر فأكثر، فإن الإنسان ينفر من الروائح الخبيثة، بينما ينتعش ويستأنس بالروائح الطيبة.

إذ الإنسان مفتور على حب النظافة، و (النظافة من الإيمان) في كل شيء، في الدار والأثاث والبدن والدكان واللباس وغير ذلك.

وللطيب بحوث كثيرة مذكورة في كتب الحديث والطب وغيرهما. أما استعمال الروائح المنفرة وما يستلزمها كالتدخين، فهو من أسوأ الأشياء، حيث يستلزم القذارة والوساخة في الإنسان وغيره، كما يستلزم تنفير الناس خصوصاً الزوجة من الزوج المدخن وبالعكس، وكذلك يستلزم الأمراض كالسرطان والرنوي وغيرهما.

ثم إن الروائح الكريهة مكروهة استعمالاً، إلا إذا سببت ايذاءً للناس، فإنها عندئذ محرمة. ولا يخفى إن الجوارح لها أحكام، فلأذن أحكام، وللعين أحكام، وللسان والذوق أحكام، وللمس أحكام، وأما الأنف فلم نجد له حكماً إلا في الحج، حيث يحرم إمساك الأنف عن الروائح الكريهة. ومن المحتمل أن يكون من المكروه أيضاً استنشام رائحة المرأة الأجنبية، ولذا قالت (سلام الله عليها) - في قصة ابن أم مكتوم -: (وأشم ريحه)، حيث إن الكراهة في الجانبين أي: شم الرجل رائحة المرأة، وشم المرأة رائحة الرجل. أما إذا كان موضع ريبه وإفتان، فلا يبعد الحرمة.

كما أن استعمال المرأة التي تخرج من البيت للطيب، بحيث يشم ريحها الأجانب مكروه جداً، وقد قال بعضهم بالحرمة ولم يكن موضع ريبة وتلذذ وخوف إفتان. ولا يبعد استحباب شم الأطفال رحمة ورأفة بهم كما ورد بالنسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كان يشم علياً (عليه السلام) في طفولته، وهناك بعض الروايات الأخرى بالنسبة إلى استنشامه للحسين (عليهما الصلاة والسلام) وكذلك فاطمة (صلوات الله عليها) وأحكام الطيب في الحج واضحة.

كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)).

عدم التسرع في الحكم

مسألة: يرجح عدم التسرع في الحكم على شيء قبل استظهاره، كما في قول الحسن (عليه السلام) ثم الحسين (عليه السلام): (كأنها رائحة جدي) وقول علي (عليه السلام): (كأنها رائحة أخي وابن عمي). والجاهل غالباً يتسرع في إصدار أحكامه بشكل قطعي، كما نشاهد ذلك في كثير من العوام والأطفال، بينما العاقل لا يقطع ثبوتاً، ولا يتسرع في ذكره إثباتاً، إلا بعد التأكد والتفحص والتثبت، وحتى بالنسبة إلى القطعيات العرفية، فإن كثيراً منها يشك فيها لدى التأمل، فيلزم على الإنسان أن لا يقطع بها فوراً، بمعنى أن تكون له حالة من التساؤل والتردد وطرح شتى الاحتمالات، ولذا ذكروا: إن أخطاء الحواس - من العين والأذن وغيرهما - تصل إلى ثمانمائة قسم، ومن قرأ علم الفلسفة والفيزياء وما أشبهه، ظهر له كثرة أخطائه حتى في القطعيات. (١) وهل كانت رائحة الرسول (صلى الله عليه وآله) رائحته الذاتية المنبعثة من جسده المبارك أم رائحة طيبة مكتسبة؟

احتمالان، فإن كانت تلك الرائحة رائحة طيبة مكتسبة دل هذا الكلام - ونحوه ما ورد في الروايات - على أنه (صلى الله عليه وآله) كان يستعمل عطراً خاصاً، دائماً أو غالباً حتى عرف به.

الإتيان باللقب

مسألة: قد سبق أنه يستحب الإتيان باللقب، كما في قوله (عليه السلام): (جدي رسول الله) وكذلك في قول علي (عليه السلام): (أخي).

بحث في مؤاخاته (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام)

ثم لا يخفى إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) آخى بين أهل مكة رجالاً ونساءً، الرجال للرجال والنساء

١- حول الجوانب المختلفة لهذا المبحث راجع (الفقه: العقل) و(الأصول: مبحث القطع).

للنساء، مرة، وأخى بين المهاجرين والأنصار - رجالاً ونساءً كذلك - في المدينة المنورة مرة ثانية (١) وفي كلتا المرتين اتخذ علياً (عليه السلام) أخاً لنفسه دون غيره.

أما في مكة فهو واضح (٢) وأما في المدينة. مع أن فلسفة الإخاء فيها كانت تقتضي أن تكون بين المهاجرين ومثله من الأنصار - فإفادة أنه (صلى الله عليه وآله) لا يمكن أن يكون له أخ في مستواه، كما أن علياً (عليه السلام) لا يمكن أن يكون له أخ في مستواه، وإنما هما نور واحد وأحدهما أخ الآخر، وإن كان الرسول (صلى الله عليه وآله) في المرتبة الأولى وعلي في المرتبة الثانية.

ولعل من أسباب هذا التآخي إفادة أنه (صلى الله عليه وآله) مع علي (عليه السلام) كموسى وهارون (عليهما السلام) اعتباراً، وإن لم يكن أخاه حقيقة، كما كان هارون (عليه السلام) أخاً لموسى (عليه السلام) حقيقة.

ويدل عليه حديث المنزلة المشهور بين الشيعة والسنة، حيث قال (صلى الله عليه وآله): (يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) (٣).

١- حول هذا المبحث راجع (لأول مرة في تاريخ العالم) للإمام المؤلف.

٢- لوجود المقتضى وانتفاء المانع، وأما في المدينة فلربما يتوهم أن فلسفة الإخاء فيها كانت مانعاً من اتخاذه أخاً وسبباً ليتخذ أحد الأنصار أخاً، ولذلك تصدى الإمام المؤلف (قدس سره) للإجابة عن ذلك.

٣- بحار الأنوار: ٤٨٧/ ٣٢ ب ١٢ ح ٤٢٠.

فقلت: نعم إن جدك تحت الكساء

(فقلت: نعم إن جدك تحت الكساء)

الإجابة على الأسئلة

مسألة: تستحب الإجابة على سؤال السائل فإنه من مصاديق (قضاء الحوائج)، وقد يكون من صغريات (إرشاد الجاهل) و (تنبيه الغافل) ومن مصاديق (المعروف). وهذا أيضاً ينقسم إلى الأحكام الخمسة كما ذكرناه في باب السؤال على تلك الوتيرة. ويصح أن تكون الإجابة باللفظ أو الكتابة أو الإشارة، لأن الكل يفيد شيئاً واحداً. نعم قد يكون بعضها أولى من بعضها الآخر، فإن في الجواب لفظاً إحتراماً لا يتحقق - عادة - مثله في الإشارة.

الوضوح والتعجيل والإيجاز

يستحب أيضاً التعجيل في الإجابة وبدون لبس أو إبهام (١) ولذا نرى إنها (عليها السلام) فور سؤال الحسن والحسين (عليهما السلام) قالت: (نعم إن جدك تحت الكساء)، و (ها هو مع ولديك تحت الكساء). كما يرجح أن يكون الجواب على قدر السؤال (٢) ولكن قد يكون تطويل الجواب وتفصيله مطلوباً، وإن كان أكثر من حدود سؤال السائل كما أنها (عليها الصلاة والسلام) قالت: (تحت الكساء) زيادة على المسؤول عنه (٣) لمحبيبة التكلم مع المحبوب كما ذكره علماء البلاغة في قوله سبحانه: ((هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)) (٤) حيث كان تكلمه مع الله سبحانه وتعالى محبوباً لموسى مع أن في إجابته: ((هي عصاي)) كفاية في مقام الجواب على سؤال الله سبحانه وتعالى. ولكن قد يكون السبب في إطالة الجواب على سؤال الله، جهة أخرى غير هذه الجهة التي ذكرها علماء البلاغة من محبوبة إطالة الكلام مع السائل وهي:

١- إذ ذلك من مصاديق (الإتقان) و (التعجيل تعجيل في قضاء حوائج الإخوان).

٢- وذلك من (الحكمة).

٣- إذ ظاهر السؤال كان عن أصل وجوده (صلى اله عليه وآله).

٤- طه: ١٨.

إن موسى (عليه السلام) أراد أن يعدد الفوائد، كي يستكشف أن الله سبحانه وتعالى أراد أية فائدة منها، حيث لم يكن هناك قرينة مقامية تعين المراد والهدف المقصود، كما إذا قال إنسان لشخص آخر بيده كتاب: ما هذا الذي بيدك؟

فيقول: كتاب فيه مختلف العلوم الأدبية من النحو والصرف والبلاغة والاشتقاق ونحوها، وهو بهذا يحاول أن يطلع السائل على محتويات الكتاب، حتى إذا كان مراده النحو أو الصرف أو البلاغة أو الاشتقاق، اشتراه أو استعاره أو ما أشبه ذلك، وإذا كان مراده اللغة أو التفسير مثلاً أو ما أشبه ذلك لم يأخذه، إلى غير ذلك من الفوائد المحتملة في إطالة السؤال أو الجواب، ولربما كان في إجابتها (تحت الكساء) جهة أخرى غير صرف محبوبة الكلام مع المحبوب فليدقق.

ثم إن الأفضل في الجواب - كما أشير إليه - أن يكون حسب مقتضى الحال من الإجمال أو التفصيل. كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أجاب: نحن من ماء، في القصة المشهورة، لأنه (صلى الله عليه وآله) لم يرد أن يبين الخصوصيات، وقد صدق (صلى الله عليه وآله) لأن الإنسان مخلوق من ماء. وقد لا يمكن التفصيل، لأن ذهن الطرف المقابل لا يستوعبه أو يتحملة كما قال سبحانه: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)) (١) فإن الإنسان لا يستوعب حقيقة الروح، كما أنه لا يستوعب حقيقة النفس والعقل، وكثير من الصفات النفسية، كالغضب والحزن والصفات الأخرى، بل إن الإنسان يجهل حتى حقيقة نفسه (٢)، وقد يكون من حكم ذلك: إن يعترف الإنسان بعجزه فيعدل عن غروره وكبريائه.

ولذا نحن نعيش سبعين أو ثمانين أو مائة، وربما مائة وخمسين سنة، وبعد ذلك كله لا نعرف كثيراً من حقائقنا الداخلية، إلا على نحو مجمل جداً، فما هو المخ؟ وما هو الكبد؟ وما هي الرئة؟ إلى غير ذلك. نعم أنبياء الله والمعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) يعرفون الشيء الكثير الكثير الذي لا نعرف منه حتى القليل القليل، وهذا بحث طويل مذكور في كتب علم (النفس الإنسانية) وفي كتب سائر العلوم المرتبطة بحقائق الأشياء.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) الذي هو في أعلى مراتب العلم قائلاً: ((وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)) (٣).

وأخيراً فإنه يمكن الاسترشاد بهذه الرواية - حديث الكساء - ونظائرها لضرورة اهتمام الأبوين والأمهات بما يسأله الطفل، وعدم إهمال الإجابة على أسئلته - كما يفعله كثير من الآباء والأمهات - وقد ثبت علمياً ما لذلك من التأثير الكبير على شخصية الطفل وفكره وسلوكه الحالي والمستقبلي.

١- الإسراء: ٨٥.

٢- كتب أحد علماء الغرب كتاباً أسماه: (الإنسان ذلك المجهول).

٣- طه: ١١٤.

(فأقبل الحسن نحو الكساء)

(فأقبل الحسن نحو الكساء)

التوجه نحو العظيم

مسألة: يستحب الإقبال والتوجه نحو العظيم والوفود إليه، كما صنع الحسن والحسين وعلي وفاطمة (عليهم السلام).

فإن العظيم يُزار ولا يزور (١) إلا إذا كان مأموراً بالزيارة بنفسه، كما في رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كان يزور لتبليغ رسالات الله أو للحسبة، وكذلك كان علي (عليه الصلاة والسلام) يدور في الأسواق للحسبة فيأمر وينهى، وقد وردت بذلك روايات متعددة.

وقد ورد في وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله): (طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه وأحمى مياسمه) (٢) (فإن كثيراً من الأطباء في العصور السابقة، وفي عصرنا الحاضر، في بعض البلاد كالهند والصين، يدورون في الأسواق والأزقة وعلى البيوت والمحلات وغيرها لأجل معالجة المرضى).

وكذلك كان الأنبياء والرسل يدورون في أماكن مختلفة، وكان عيسى (عليه السلام) ينتقل من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعرض نفسه على القبائل قبيلة قبيلة ويذهب إلى هنا وهناك.

ومن المعلوم إن الوفود على التعظيم والاستماع له، سواء كانت عظمتة معنوية أم علمية أم نحو ذلك، يوجب إستفادة الإنسان من معنوياته وعلومه وما أشبهه، ولذا ورد: من مشى إلى العالم خطوتين، وجلس عنده لحظتين، وتعلم منه مسألتين، بنى الله له جنتين، كل جنة أكبر من الدنيا مرتين، وقد ذكرنا في بعض كتبنا أن الله سبحانه وتعالى لا ينتهي لرحمته، كما أن الإنسان الذي يدخل الجنة لا ينتهي لوجوده هناك زماناً، ولهذا فأمثال هذه الأحاديث ليست مستبعدة إطلاقاً.

وعدم تصديق بعض الناس لمثل هذه الأمور، أو زعمهم أنها غير مجدية، لا يغير هذه الحقيقة، فإن مثل

١- أي من شأنه - إكراماً لمكانته - أن يزوره الناس، وليس من الصحيح أن يتعامل الآخرون معه كعاملتهم للأفراد العاديين، ولكن ذلك ليس بمعنى أن يتكبر على الناس فإن التكبر مذموم، بل هذا الكلام للإرشاد إلى ضرورة إكرامه وتعظيمه وعدم التوقع منه كما يتوقع من الآخرين.

٢- نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨. وفيه: أحمى مواسمه.

الآخرة بالنسبة إلى الدنيا، كمثّل الدنيا بالنسبة إلى الطفل الذي في الرحم، فإذا قيل للطفل الذي في الرحم: إن الدنيا بهذه السعة وهذه الألوان والكيفيات والخصوصيات والمزايا، لا يكاد يصدق، بل ليس بمقدوره أن (يتصور) ذلك فضلاً عن (التصديق)، لأن الإنسان إنما يصدق ما ألفه واستأنس به، ولذا ورد إن الإنسان يرى في الآخرة: (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

ثم إن استحباب الإقبال نحو العظيم - بالإضافة إلى أنه عقلي - مشمول لمثّل قوله (عليه الصلاة والسلام): (ولم يوفر صغيركم كبيركم) (١) كما قال العكس مشمول لقوله (عليه الصلاة والسلام): (ولم يرحم كبيركم صغيركم) (٢)، إلى غير ذلك من الأدلة في الجانبين.

ثم إن الإقبال نحو المعصوم (عليه السلام) والوفود إليه وزيارته، هو أجلى مصاديق هذا الأمر الراجح، ولا فرق في ذلك بين حالة حياتهم (عليهم السلام) وحالة مماتهم (عليهم السلام) وقد وردت روايات متواترة في فضل زيارة قبورهم (عليهم السلام) خاصة زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) فراجع.

١- مستدرك الوسائل: ٣٣٣/١٢ ب ٣٩ ح ٣.

٢- مستدرك الوسائل: ٣٣٣/١٢ ب ٣٩ ح ٣.

وقال: السلام عليك يا جداه يا رسول الله

(وقال: السلام عليك يا جداه يا رسول الله)

بحث في معنى السلام و...

مسألة: يستحب سلام الوارد على الأمور ود عليه، وكذلك يستحب سلام الصغير على الكبير. ولا يخفى إن السلام بمعنى: إن يكون الطرف سالماً من الآفات والعاهات وغيرها، وقد كان السلام تحية الأنبياء (عليهم السلام) كما يدل على ذلك قوله سبحانه: ((قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا)) (١) كما أن البسملة كانت معهودة متداولة لدى الأنبياء السابقين أيضاً، كما ورد في قصة الهدد: ((إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) (٢) وذلك لأن الأحكام بالنسبة إلى الأنبياء واحدة (٣) إلا في بعض الخصوصيات ولذا قال (صلى الله عليه وآله): (إني بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (٤).

أما السلام بالنسبة إلى الأموات، فالظاهر أنه إما تحية محضة منسلخة عن معناها اللغوي، وإما بمعنى: السلامة في الآخرة، لأن السلامة في الآخرة أيضاً مطلوبة للإنسان، بل المطلوب الواقعي له ذلك، إذا قيس إلى الدنيا، إذ الدنيا مؤقتة وزائلة، بينما الآخرة باقية ودائمة، ولذا قال (عليه السلام): كما يحكيه القرآن الحكيم: ((وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)) (٥) فسلامة الولادة تمتد إلى ساعة الموت، كما أن سلامة الموت تمتد إلى الحشر وسلامة الحشر تمتد إلى الأبد، لوضوح أن الطفل إذا ولد ناقصاً كما إذا كان أعمى أو أعرج أو أصم أو أبكم أو ما أشبه ذلك، بقي كذلك إلى حين موته على الأغلب، وكذلك الأمر إذا كان الإنسان مبتلى حال موته فإنه يبقى كذلك - في الجملة -.

كما ورد: إن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران (٦).

نعم قد تنال الإنسان الشفاعة وهو في القبر أو في يوم القيامة.

١- هود: ٦٩.

٢- النمل: ٣٠.

٣- ولذلك جرى استصحاب الشرائع السابقة فيما لم يثبت فيه النسخ، بل كان ذلك للإطلاقات راجع (الأصول) للإمام المؤلف (قدس سره).

٤- نهج الفصاحة: ١٩١ ح ٩٤٤.

٥- مريم: ٣٣.

٦- بحار الأنوار: ٦/٢١٤ ب ٨ ح ٢.

لا يقال: لا يحتاج الأمر إلى السلامة يوم يبعث حياً، لأن الإنسان الذي يسلم في القبر يسلم في الحشر.
لأنه يقال: ليس كذلك لأنه ورد في روايات متعددة: إن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر
النيران، وإما يلهى عن بعضهم إلى الحشر، فمن الممكن أن يكون الإنسان سالماً حين الموت - فترة القبر - ولا
يكون سالماً في الآخرة، كما لو جرى له امتحان إلهي هناك، بسبب أنه كان يعيش في الفترة بين الرسل، وما
أشبه ذلك وخرج من الامتحان فاشلاً فإنه سيعاقب حينئذ.
وهذا بحث كلامي ذكرناه استطراداً.

أتأذن لي أن أدخل معك

(أتأذن لي أن أدخل معك)

الإستئذان

مسألة: يستحب وقد يجب الإستئذان من العظيم للحضور بمحضره، كما استأذنا (عليهم السلام) من النبي (صلى الله عليه وآله).

فإنه مستحب إذا كان في مكان مباح ونحوه، وواجب إذا كان المكان خاصاً بالعظيم، على نحو أكد، فإنه يجب الإستئذان حين الدخول في مكان الغير فكيف بما إذا كان عظيماً. وربما يقال: من جمع الواجب والمستحب، كالصلاة الواجبة في المسجد مما يوجب التأكد، كما ذكرنا في الواجبات المصادفة للمستحبات وبالعكس.

والمراد بالعظيم - ههنا - هو العظيم معنوياً، أما العظيم المادي كالأكثر مالا أو سلاحاً أو عشيرة، فليس له هذا الحكم قال سبحانه: ((وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى)) (١).

نعم إذا صدق عليه الكريم يشمله قوله (عليه الصلاة والسلام): (أكرموا كريم كل قوم). (٢) ولو استأذن فأذن له فلا إشكال، وإن استأذن فلم يأذن له، فإذا كان المحل مباحاً جاز الدخول وإن كان لا يبعد الكراهة حينئذ، لأنه نوع هتك له، لكن الهتك لا يصل إلى حد الحرمة. أما إذا كان في المحل الخاص به حرماً. ولو استأذن فلم يعلم إنه أذن له أم لم يأذن؟ لم يجز الدخول، للأصل.

١- سبأ: ٣٧.

٢- بحار الأنوار: ١٥/٤٦ ب ١ ح ٣٣. وفيه: (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا وإن خالفكم).

(تحت الكساء)

حق السبق (١)

مسألة: يستحب استئذان المتأخر من المتقدم في الاستفادة مما يعد حقاً للسابق، ومن صغرياته ما ورد ههنا حيث استأذنا (عليهم السلام) من الرسول (صلى الله عليه وآله) في الدخول معه تحت الكساء. وحق السبق قد تجب مراعاته وقد تستحب كل في موضعه. فإذا تحقق الحق عرفاً، وجب المراعاة، لما في جملة من الروايات من أنه: (لا يبطل حق مسلم) (٢) مثل حق التحجير وحق المسجد والمدرسة والسوق وما أشبه، مما ذكر في كتاب إحياء الموات (٣). والأ(٤) كان من الأفضل المراعاة، لأنه من الأدب والأخلاق، فيشملة دليلهما مثل حق الكلام وحق السؤال عن العالم وحق السوم وما أشبه ذلك. ولو شك إنه من الحق الواجب أو المستحب، كان الأصل عدم الوجوب، لأنهما شريكان في الرجحان، فالزائد يحتاج إلى البراءة.

ولو لم يعلم أيهما السابق فالمحكّم القرعة، لأنها لكل أمر مشكل. نعم في الأمور المالية يجب الرجوع إلى قاعدة العدل الاستفادة من مستفيض الروايات، على ما ذكره (الجواهر) وفي كتاب الخمس، كذلك ذكرناه في موارد متعددة من (الفقه) وخصوصاً في كتاب (القواعد الفقهية). ولا يخفى أنه في بعض الموارد، لا تجري القرعة ولا قاعدة المالبات، وإنما تجري قاعدة ثانوية، كما إذا لم يعلم الوالي أيهما قتل والده، حيث لا يجوز له قتلها ولا قتل أحدهما على سبيل البديل لأن الحدود تدرأ بالشبهات. وكما إذا لم يعلم الزوج أيتهما زوجته، أو زوجها، لم يجز له ولها الإقتراع، ولا تجري قاعدة العدل بالتقسيم بينهما، إلى غير ذلك من الموارد التي ذكرت في الفقه.

لا يقال: التحاكم إلى القرعة تحكيم لغير العاقل على العاقل، أو ليس ذلك من عمل العاقل؟ لأنه يقال: بل هو تحكيم للعقلاء، فإن العقلاء جعلوا القرعة حاكماً، عند التحير - في موارد - . لا يقال: يعود المحذور إذ العقلاء حكموا غير العاقل؟ لأنه يقال: حيث لم يجد العقلاء أفضل من هذا الطريق لحل المنازعات، منحوه الاعتبار، فهو من ترجيح

١- راجع لهذا الفصل (الفقه: القواعد الفقهية).

٢- بحار الأنوار: ٣٩٧/١٠٤ ب ٣ ح ٤٤. رواه عن الاختصاص ص ٤٥٥.

٣- موسوعة (الفقه): ح ٨٠ كتاب إحياء الموات.

٤- بأن لم يكن حقاً عرفاً بحيث يتحقق معه موضوع الروايات، وإن أطلق عليه الحق لغة كحق الأسبق في السؤال وشبهه.

الراجع على المرجوح(١). وعلى أي حال فحيث كان الحق خاصاً بالرسول (صلى الله عليه وآله) لم يستأذن ثالثهم (عليهم السلام) منهما بل من الرسول (صلى الله عليه وآله) وحده وهكذا بالنسبة إلى رابعهم وخامسهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

١- إضافة إلى ما ورد من أن الله تعالى يجعل الرشد أو الخير في الاقتراع، وإن بدى في بادي النظر غير ذلك، فكثيراً ما يكون الخير عكس ما يتصوره الإنسان خيراً (ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبه الأمور) [دعاء الافتتاح] ((عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)) [البقرة: ٢١٦] وأما ((فساهم فكان من المدحضين)) [الصافات: ١٤١] فلقد كان ذلك خيراً ليونس ((عليه السلام)) امتحاناً وترقيعاً للمكانة وللدرجات ولغير ذلك: كالاختبار مثلاً.

(فقال: وعليك السلام يا ولدي)

(فقال: وعليك السلام يا ولدي)

شمول الولد للسبط

مسألة: ولد البنت يعتبر (ولداً) كما قال (صلى الله عليه وآله): (يا ولدي). وهذا واضح لأن من يخلق من ماء الإنسان ابتداءً أو استدامةً يكون ولداً، ويكون المخلوق منه والدًا، سواء بالنسبة إلى الوالدين أو إلى الأجداد والجَدات. نعم بعض الأحكام الشرعية خاصة بمن يولد من الرجل لا المرأة، كباب الخمس والزكاة كما ذكرها الفقهاء في كتبهم الفقهية.

ولذا ذكر جمع من الفقهاء - وليس بمستبعد - بالنسبة إلى ولد الزنا أنه ولد عقلاً و عرفاً ولغة بل وشرعاً أيضاً، وإنما المخصص بعض الأحكام، كالإرث وإن كان صاحب المستند (قدس سره) وسّع في التخصيص، كما لا يخفى لمن راجعه.

والشاعر الذي قال:

(بنونا بنوا أبناننا وبناتنا***بنوهن أبناء الرجال الأباعد)

استعمل نوعاً من المغالطة، لأنه لا منافاة بين أن يكون ولد الرجل الأبعد وولده أيضاً، إذ الولد مخلوق من ماء الرجل والمرأة معاً فهو ولد لهما.

وكما يشمل الولد، كذلك يشمل الذرية، كما في قصة عيسى (عليه السلام) حيث أحقه الله بنوح (عليه السلام) من جهة أمه مريم (عليها السلام).

أما شمول الخاصة والعامة والحامة، ونحو ذلك أولاد البنت، فلا غبار عليه إطلاقاً.

وكما أن ولد البنت ولد، كذلك بنت الولد، ولذا فقوله سبحانه: ((وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ)) (١) يشمل كليهما كما يشمل الوالدين أيضاً.

مسألة: يستحب بيان أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يقول لكل من الحسن والحسين (عليهما السلام): يا ولدي، إذ في ذلك إحقاق للحق ورداً لمن زعم أن ولد البنت ليس ولداً، وذكر لإحدى فضائلهم (عليهم السلام).

ويا صاحب حوضي

(ويا صاحب حوضي)

إظهار العطف للسبب

مسألة: يستحب إظهار الجد: عطفه ومحبته وعنايته بأسباطه، كما قال النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم):
(يا ولدي ويا صاحب حوضي).

بحث عن حوض الكوثر

ولا يخفى أنه لا منافاة بين أن يكون الحوض للرسول (صلى الله عليه وآله) في المحشر، وبين أن يكون علي (عليه السلام) هو الساقى وبين أن يكون الحسن (عليه السلام) صاحبه، إذ قد تكون للشيء الواحد إضافات ونسب متعددة، وقد تختلف الأحكام بالاعتبارات المختلفة، فالله سبحانه وتعالى منح الحوض للرسول (صلى الله عليه وآله) وجعل الساقى العام عليه علياً (عليه الصلاة والسلام) وجعل الحسن (عليه السلام) صاحبه بمعنى: لاختصاصه به بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) طولياً، كما أن العبد مملوك لسيده في طول ملكية الله تعالى له. كما أن الظاهر إنهم جميعاً (عليهم الصلاة والسلام) يسقون الناس من ذلك الحوض. لا يقال: لما خص الحوض بالذكر في الأحاديث الشريفة - عادة - مع أن الإنسان بحاجة إلى الطعام أيضاً في يوم القيامة، إذ أنه خمسون ألف سنة؟

لأنه يقال: إن حاجة الإنسان إلى الماء أشد - يومئذ - منه إلى الطعام، وذلك نظراً إلى العطش الشديد الذي يستولي على الناس من الحر وغيره، ولذلك تركزت العناية على ذكره.

ولقد ورد في بعض الأحاديث: إن أرض المحشر تتحول - بإذن الله - إلى شيء من المأكول كالخبز يأكل منه الناس، كما أنه لا يستبعد أن يكون هناك مختلف أنواع الفواكه والمأكول والمشارب تحت ظل العرش للمؤمنين. وكذلك من المحتمل أن يكون هناك الزواج أيضاً لوضوح أن الإنسان يحتاج حسب طبيعته إلى الزوج والزوجة طيلة خمسين ألف سنة، ويؤيده ما ورد من وجود الحور العين في القبر وفي الجنة، فتأمل.

وربما يقال: إن القبر إذا كان كذلك، فالمحشر يكون بطريق أولى، وإن كانت هذه تقرّيات لا يمكن القول بها، إلا بعد ورود الدليل بالنسبة إلى الزواج.

وكذلك لم ترد الإشارة إلى كثير من شؤون الإنسان في المحشر، وربما تكون قد ذكرت في الروايات ولم تصل

إلينا (١).

توقير الطفل وذكر فضائله

مسألة: يستحب احترام الطفل وتوقيره وذكر فضائله، لطريقته ومقدميته، وقال تعالى: ((وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)) (٢).

إن إعطاء الشخصية للطفل يوجد حالة معنوية في نفسه تنتهي بالنتيجة - في كثير من الأحيان - إلى تكوين شخصية أكثر تكاملية للطفل، كما ثبت ذلك في علم النفس، فإن ذكر فضائل الطفل يكرسها في نفسه، كما أن الإيحاء والإغراء له مقام في نفس المغري - بالفتح - سواء كان الإغراء بالباطل أم بالحق، بالحرام أم بالحلال، بالكبر أم بالدناءة، وإن كان في طرف الفضائل أشد تأثيراً، لأن الإغراء بالفضائل فطري أيضاً، فتساعد الفضيلة الفطرة، وليس كذلك في جانب الرذائل إذ الرذائل ليست فطرية.

وما نجد في بعض الآيات من ذم الإنسان مثل قوله سبحانه: ((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) (٣) وقوله سبحانه: ((إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا)) (٤) وما أشبه ذلك فالظاهر إنها بالأمور العارضة (٥)، وإنما الأصل قوله سبحانه: ((مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)) (٦) وقوله سبحانه: ((فَطَرَتَ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) (٧) وقوله سبحانه: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)) (٨) وما أشبه ذلك.

... والكبير أيضاً

وهذا ليس خاصاً بالطفل وإنما الكبير كذلك مع اختلافهما في أن الطفل أكثر تأثيراً بالإيحاء والإغراء، بينما الكبير ليس كذلك ولهذا قال الشاعر:

(إن الغصون إذا قومتها اعتدلت*** وليس ينفعك التقويم للحطب)

مع إنا نرى إن كثيراً من الكبار، أيضاً يرضخون للحق أو للباطل، إذا حرضوا عليهما أو أغروا بهما، ولذا نجد كثيراً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخلوا الإسلام طوعاً، مع أنهم كانوا في مرحلة الكهولة

١- حول هذه المباحث راجع (كفاية الموحدين) وكتاب (حق اليقين).

٢- الضحى: ١١، واطلاقه يشمل النعمة للشخص ولغيره.

٣- الأحزاب: ٧٢.

٤- المعارج: ١٩.

٥- ومقام الفعل وضمن دائرة الإدارة كما سبق فليراجع.

٦- تبارك: ٣.

٧- الروم: ٣٠.

٨- الإسراء: ٧٠.

أو بعدها، وهكذا العكس في بعض الموارد الأخرى.

فالاحترام والإهانة والتربية والتعلم والتشجيع وما أشبه ذلك - مما يرد إلى النفس من الخارج - كلها مؤثرة في النفس، من غير فرق بين أن يكون كل ذلك عن طريق السمع أو البصر أو اللمس أو ما أشبه ذلك بل وحتى الفكر، ولذا كان اللازم التفكير بالخير دون الشر.

ولذا ورد: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) (١) أو ستين سنة أو سبعين سنة (٢).

وقال الله سبحانه وتعالى قبل ذلك: ((قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)) (٣) فإن كان الإنسان بمفرده وتمكن من التفكير السليم فلينفكر هو بنفسه وإلا فليكونوا اثنين أو أكثر ويتفكروا، وقوله سبحانه: ((أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ)) (٤) الظاهر فيه: إن مثنى من باب المثال، إذ لا خصوصية للعدد، فمن الممكن أن يكونوا ثلاثة وأربعة وخمسة وأكثر.

ذكر فضائل المعصومين (عليهم السلام)

مسألة: يستحب بيان فضائل الإمام الحسن (عليه السلام) كما يستحب ذكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) بصورة عامة، للروايات المتكاثرة، وقد جاء في الحديث: (أحيوا أمرنا، إن من أحيى أمرنا، لا يموت قلبه يوم تموت فيه القلوب، رحم الله من أحيى أمرنا)، إضافة إلى ما لذكر فضائلهم (عليهم السلام) من التأثير الإيجابي التربوي على الناس.

١- مستدرك الوسائل: ١٠٥/٢ ب ١٧ ح ٢١.

٢- كنوز الحقائق للمناوي في هامش الجامع الصغير: ١٠٧/١ وفيه: (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) وروى الطريحي في مجمع البحرين في لفظ (فكر) تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة (.)

٣- سبأ: ٤٦.

٤-.....

قد أذنت لك

(قد أذنت لك)

الإستجابة للطفل ولغير المسلم

مسألة: يستحب الإجابة للطفل وقضاء حاجته.

فإنه يستحب - كما سبق - إجابة المؤمن، كبيراً كان أم صغيراً، رجلاً أم امرأة، بل قد أمعنا في بعض المباحث السابقة، إلى أن هذا جار في غير المسلم أيضاً، وحتى في المحارب - إلا ما خرج بالدليل - كما سمح علي (عليه السلام) لأهل صفين أن يأخذوا حاجتهم من ماء الفرات، وأمر الحسين (عليه السلام) أصحابه بسقي الذين جاءوا لقتاله وقتلوه أخيراً.

ولا فرق بين أن تكون الحاجة معنوية أو مادية، فقد يسأل عن مسألة شرعية أو عقلية أو عرفية أو عادية أو غيرها، وقد يطلب حاجة، مثل أن يطلب ماءً أو خبزاً أو غير ذلك، فإن هذه الموارد تندرج في الأدلة العامة. نعم إذا كانت الحاجة أو الإجابة محرمة لم يجز، لأن الإقتضائي مقدم على اللاإقتضائي، كما ذكره الفقهاء. أما إذا كانت مستحبة أو واجبة أو مباحة، جاز بالمعنى الأعم، حيث إن قضاء الحاجة الواجبة واجب والمستحبة مستحب (١) والمباحة مستحب أيضاً باعتبار إنه قضاء الحاجة.

ولو طلب حاجة لا نعلم إنه من أيهما فإن أمكن حمل الفعل على الصحة جاز، بل استحب وإلا لم يجز. نعم إذا دار الأمر بين الواجب والحرام، ولم يمكن الفحص أو فحص ولم يعرف الواقع، ولم يكن هناك ما يشخص الموضوع، ولو بإحدى الأصول، كان من موارد التخيير. وفي المورد المشكوك، إنما يكون حراماً في ما يجب فيه الإحتياط مثل: الدماء والفروج والأموال الكثيرة، وأما إذا جرى أصل الحيلة كان جائزاً (٢).

رجحان التأكيد

مسألة: التأكيد يرجح في مقام الإجابة على السؤال، ويتأكد في المسائل الهامة، كما قال النبي (صلى الله عليه وآله) للحسنين (عليهما السلام): (قد أذنت لك) بل يرجح مطلق التأكيد إذا كان فيه الفائدة.

١- لجهتين: كونه مقدمة لمستحب وانطباق عنوان قضاء الحاجة عليه.

٢- حول هذا المبحث راجع (الأصول: مبحث الأصول العملية).

فإنه لم تكن حاجة إلى أن يقول (صلى الله عليه وآله): (قد) و (لك) إذ (أذنت) معناها الإذن له، لكنه تأكيد ونوع احترام للطرف، مثل قوله سبحانه: ((رحمة منه)) (١) إذ من الواضح أن الرحمة منه قطعاً كما في الآية الكريمة، وكذلك في الدعاء حينما نقول: (اللهم اهدني من عندك) (٢)، إذ لا حاجة إلى (من عندك) وكذلك: (وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك) (٣).

وهكذا في قوله سبحانه: ((وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ)) (٤) وهذا كثير، ومن المعلوم إنه في المورد الحسن يكون احتراماً، كما انه في الأمور السيء يسبب مزيداً من الإهانة، كما إذا خاطب مدمناً للخمر: أنت الخمار، أو ما أشبه ذلك، وهذا باب من أبواب البلاغة.

ومن المعلوم إن التأكيد لا ينحصر في هاتين الفائدتين فقط، بل له فوائد كثيرة لا مجال لذكرها.

١- النساء: ١٧٥.

٢- بحار الأنوار: ٢٠/٨٦ ب ٣٨ ح ١٨.

٣- بحار الأنوار: ٢٠/٨٦ ب ٣٨ ح ١٨.

٤- المجادلة: ٢٢.

فدخل معه تحت الكساء

(فدخل معه تحت الكساء) (١)

اجتماع الأقرباء

مسألة: يستحب اجتماع الأقرباء، ويؤيده روايات اجتماعات المؤمنين، وكان من مصاديق ذلك دخولهم عليهم السلام) تحت الكساء، فإنه مؤثر في النفس والبدن، تأثيراً إيجابياً.

أما النفس: فلأنه مما يوجب السرور والارتياح، ومن المعلوم إن النفس تؤثر في البدن صحة وسقماً. وأما البدن: فلأنه ثبت في علم الطب: إن الله تعالى جعل البدن من المعجمات - في غير المرضى - ولذا كان سور المؤمن شفاءً، وقد قرأت في بعض المطبوعات الرسمية: إن السور من أهم ما يزيل قسماً من الأمراض، والمراد به أعم من سور الفم أو سائر البدن كالاستحمام في الأنهار والأحواض وغيرها. ولعل من أسباب توفر الصحة في الأزمنة السابقة، هو تطبيق هذه التعاليم في الأطعمة والأشربة والحمامات وغيرها، لكن بشرط مراعاة النظافة الكاملة.

وعلى أي حال فتجتمع الأبوين والأولاد، يوجب الحب المتزايد بين الأب وبنيه، وبين الزوجين، وبين الإخوة. ولربما لم تكن زينب وأم كلثوم (عليهما السلام) قد ولدتا بعد، وإلا لأمكن أن يكون لهما نصيب أيضاً في هذه الفضيلة، فتأمل، وإن احتمل عدم اشتراكهما نظراً للاختصاص، (٦٠) ثم إنه لم يذكر في هذا الحديث ولا في شيء من الروايات التي رأيتها، أنهم عندما اجتمعوا تحت الكساء، عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) اجتمعوا في جانب واحد على تقدير أو في الجانبين؟

كما أنه لم يذكر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد اجتماعهم عنده بقي نائماً - أي مستلقياً - وهم كذلك معه؟ أم إنهم جميعاً جلسوا معه أم بالإختلاف، فكان الوالدان إلى جانب الرسول (صلى الله عليه وآله) والولدان في حجر الرسول (صلى الله عليه وآله) مثلاً، نعم في آخر الحديث قال علي (عليه السلام): (ما لجلوسنا هذا).

١- من الواضح ان الفعل الواحد قد تنطبق عليه عناوين متعددة وقد يكون مجمعاً لجهات رجحان متشابهة أو مختلفة (وجوباً واستحباباً).

فما كانت الساعة وإذا بولدي الحسين قد أقبل

(فما كانت الساعة وإذا بولدي الحسين قد أقبل)

استيفاء البيان

مسألة: يستحب استيفاء البيان وإكمال الإفادة، ومنه: إتمام ذكر الحديث أو القصة وعدم تركها ناقصة. كما فعلت الزهراء (سلام الله عليها) حيث ذكرت الحديث من أوله إلى آخره، فإن ذلك من الإتقان، إضافة إلى ما له من الرجحان بلحاظ الفائدة، وقد سبق نظيره.

نعم قد يقتضي بعض الأمور الخارجية أو الداخلية عدم ذكر القصة بكاملها، كما نجد ذلك في القصص القرآنية، حيث إن الله سبحانه وتعالى وزع القصة في أماكن متعددة، وذكر في كل مرة جانباً من جوانب القصة مثلاً: في قصة النبي موسى (عليه السلام) والسحرة ذكر مرة: ((كأنَّهَا جَانٌّ)) (١) وذكر مرة: ((حية)) (٢) وأخرى ((ثعبان)) (٣) وما أشبه ذلك باعتبار أحوال الحية المختلفة، فالجان حية صغيرة سريعة الحركة كأنها الجن، بينما ليست الحية كذلك، والثعبان يقال بلحاظ (ابتلاعها).

وهكذا في سائر قصص القرآن الحكيم، كقصة إبراهيم (عليه السلام) ونوح (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) وغيرهم.

وقد يكون عدم البيان الكامل بسبب مانع خارجي، كما ان علياً (عليه الصلاة والسلام) لم يكمل الخطبة الشقشقية، حيث دفع إليه شخص كتاباً فجعل ينظر فيه، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو اطردت في خطبتك من حيث أفضيت فقال: هيهات إنها شقشقة هدرت ثم قرّت (٤).

لا يقال: لقد استنفذ الإمام (عليه السلام) غرضه من الخطبة، فلم يكن هناك مجال لطلب ابن عباس منه كي يواصل الحديث، لأنه (عليه السلام) تحدث عن عهد الحكام الثلاثة الذين كانوا قبله.

لأنه يقال: هذا الكلام غير صحيح، لإمكان أن يكون الإمام (عليه السلام) بصدد بيان الأحداث الأخرى، أو الملاحم التي سوف تقع بعده أو تفصيل ما ذكره.

أما لماذا سكت الإمام (عليه السلام) فلأنه رأى فوت الفرصة بسبب قطع خطبته، إذ لا بد أن يكون للخطبة

١- القصص: ٣١.

٢- طه: ٢٠.

٣- العراف: ١٠٧.

٤- نهج البلاغة: الخطبة ٣ (الخطبة الشقشقية).

موالاة ومتابعة، فإذا فاتت الموالاة، كان الإستمرار في الكلام خلاف البلاغة.
ولربما كانت جهة أخرى لذلك، والله العالم.

وقال: السلام عليك يا أماه. فقلت: وعليك السلام يا ولدي ويا قرّة عيني وثمرّة فؤادي

(وقال: السلام عليك يا أماه).

(فقلت: وعليك السلام يا ولدي ويا قرّة عيني وثمرّة فؤادي)

تفضيل الولد الأصغر

مسألة: يستحب تقديم الأصغر على الأكبر، وتفضيله في إبراز المحبة في الجملة، ولعل لذلك أضافت (عليها السلام) للحسين (عليه السلام) كلمة: (يا ولدي).

وذلك لحاجة الأصغر إلى المزيد من العطف والحنان، ولعل في كلامها (عليها الصلاة والسلام) تنبيهها على ذلك.

نعم يجب أن لا يؤدي ذلك إلى أن يشعر الأكبر، بأنه موضع ازدراء وقلة اهتمام، وإن الوالد أو الوالدة يعطيه أقل من حقه، لأن ذلك ربما أوجب عداً وحسداً.

وقد قال بعض: إن تفضيل يعقوب (عليه السلام) ولده يوسف (عليه السلام) على سائر إخوته كان السبب في إثارة عدائهم وحسدهم، قال سبحانه: ((لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْمُتَنَبِّئِينَ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ)) (١).

لكن هذا الكلام غير تام، إن أريد به الإستشكال عليه (عليه السلام) لأن يعقوب (عليه السلام) كان يفضل يوسف (عليه السلام) لفضله وكونه نبياً وما أشبه ذلك، وهذا وإن أثار العدا إلا أنه لا بد منه من باب الأهم والمهم، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينوّه بفضل علي (عليه الصلاة والسلام) مما أثار عداً وحسداً جملة من الأصحاب، كما هو معروف في التاريخ.

والحاصل أن هنالك حالتين:

الحالة الأولى: أن لا يفعل الإنسان شيئاً اعتباطاً، يثير الحسد والكراهية.

والحالة الثانية: إن يقوم الإنسان ببيان الحق الواجب عليه بيانه، وإن أثار الحسد، ولذا قال سبحانه: ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)) (٢) وكان الأنبياء محسودين وكذلك الأئمة الطاهرون (عليهم الصلاة والسلام).

١- يوسف: ٧ - ٩.

٢- النساء: ٥٤.

فقال لي: يا أمّاه إنني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت نعم إن جدك وأخاك تحت الكساء

(فقال لي: يا أمّاه إنني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت نعم إن جدك وأخاك تحت الكساء)

الإعلام بالواقع

مسألة: يستحب الإخبار عن الواقع فيما كان مفيداً، وإخبار السائل عن الأكثر من حدود سؤاله إذا كان فيه فائدة، وفي ذلك قضاء للحاجة كما قالت (سلام الله عليها) للحسين (عليه السلام): (إن جدك وأخاك تحت الكساء) وقالت لعلي (عليه السلام): (ها هو مع ولدك تحت الكساء).

وهذا وإن كان بالنسبة إلى المقارن، إلا إنه يتعدى إلى السابق واللاحق بالملاك وبالإطلاقات، لكن من الواضح أن ذلك فيما إذا لم يكن ضاراً أو محتمل الضرر، كإخبار الغاصب بملك المغصوب، وإخبار مرید الشر بمن يريد به الشر، وما أشبه ذلك، ففي الأمور الضار حرام قطعاً، أما في مورد احتمال الضرر فالظاهر الحرمة أيضاً، لأن احتمال كقطعه، نعم إذا ظهر الخلاف كان من التجري وقد التزمنا في (الأصول) بأنه قبيح فاعلاً لا فعلاً.

كما أن الإخبار عن الواجب والمستحب والمكروه، يلحقه حكمها، كإخبار المستفتي عن الواجب والمستحب بالفتوى كفاية أو عيناً في صورة الإحصار، لأنه من التعاون على البر والتقوى، إلى غير ذلك.

ومنه يعلم حال الاستفتاء عن المكروه، وقد ذكر تفصيله في بحث وجوب التعليم ومقدمة الواجب وغيرهما. ثم لو أخبر المستخبر المرید إيقاع الشر بمال أو عرض أو نفس، فالضمان تابع لإقوانية السبب أو المباشر، كما ذكر في الفقه، وقد احتملنا - في بابيه - إنه لو تساويا كان الضمان عليهما كمن يدفع السيارة إلى جاهل بالقيادة، فيصطدم بانسان فيقتله، حيث إن المحتمل أنه عليهما لا على السائق فقط، فتأمل (١). ولا يخفى إن قولها (عليها الصلاة والسلام): (وأخاك) من زيادة الكلام لمزيد الفائدة وإلا فقد كان السؤال عن الجد فقط.

ومن المحتمل إن الحسن (عليه الصلاة والسلام) أيضاً كانت له رائحة طيبة، فكانت الرائحتان ممتزجتين وهذا غير بعيد، لأن الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) كان دأبهم استعمال العطر كما يفهم من متواتر الروايات، فإن الطيب - بالإضافة إلى رائحته الزكية - يقوي الأعصاب ويشرح الصدر، ولهذا ورد: عن الإمام الرضا (عليه

١- راجع (الفقه: كتاب الضمان).

السلام): (الطيب من أخلاق الأنبياء)(١)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ما طابت رائحة عبد إلا زاد عقله)(٢).

١- جامع أحاديث الشيعة: ٦٤٧/١٦ ب ١ ح ٢ عن الكافي ٥١٠/٦.

٢- جامع أحاديث الشيعة: ٦٤٩/١٦ ب ١ ح ١٣ عن الدعائم ١٦٥/٢.

فدنى الحسين نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله

(فدنى الحسين نحو الكساء)

(وقال: السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله)

تكرار السلام

مسألة: يستحب تكرار السلام خاصة على العظيم، كما قال الحسين (عليه السلام): (السلام عليك يا جداه، السلام عليك...) وكما ورد في الزيارات: (السلام عليك يا.. السلام عليك يا.. السلام عليك يا..). فإن تكرار السلام يوجب تأكيد التحية، وتشديد أو اصر الصداقة، ولذا نشاهد تكرره في الزيارات ونحوها مثل: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا صفوة الله، وما أشبه ذلك. وإنما لم يسلم الحسين (عليه السلام) على الحسن (عليه السلام) - بعد السلام على جده (صلى الله عليه وآله) - لأنه نوع تأدب بالنسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولذا لم يأت بصيغة التثنية أو الجمع أيضاً، كما هو واضح في باب الآداب، فإنه إذا كان كبير في المجلس، وجاء إنسان خصص السلام بذلك الكبير، فإذا شرك معه الصغير أو جمعهما في صيغة واحدة، لم يكن بتلك المرتبة من الإحترام للكبير، ولذا يكون الإقتداء بهم (عليهم الصلاة والسلام) حتى في مثل هذه الخصوصية.

ولعل وجه تقديمه (عليه الصلاة والسلام) (جداه) على (من اختاره الله) باعتبار أن كونه (جداً) سابقاً على كونه (ممن اختاره الله سبحانه وتعالى)، لأن اختيار الله وقع على الجد، لا أن الجد وقع على من اختاره، الله وليس مرادنا التقدم الزمني، بل الرتبي فإن كل واحد من كلمة قبل وكلمة بعد وكلمة مع وما أفاد معنى إحدى هذه الثلاثة قد يكون باعتبار الزمان، وقد يكون باعتبار المكان، وقد يكون باعتبار المنزلة، وقوله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه الصلاة والسلام): (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) (١) ليس المراد به بعد مماتي لا نبي، بل: بعد نبوتي لا نبي سواء في حياتي أم مماتي

١- أمالي الطوسي: ٢٥٣ ح ٤٥ ط قم. الحديث مما أجمعت الأئمة والحفاظ والأعلام من الفريقين على صحته من جميع الوجوه وتوثيق سنده ورجاله كما في صحيح البخاري ٣٣/٢ وصحيح مسلم ١٨٧/٤ وغيرهما ونص الحديث: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

أتأذن لي أن أدخل معكما تحت الكساء

(أتأذن لي أن أدخل معكما تحت الكساء)

التفنن والتنوع في الكلام

لعل الوجه في قوله (معكما) دون (معك) إنه (عليه السلام) لو قال معك كان إهانة للحسن (عليه السلام) فقال: معكما، ففرق بين (السلام عليكما) وبين معكما، كما يعرفه أهل البلاغة.

وأما الإستئذان فكان منه (صلى الله عليه وآله) فقط، حيث إن حق السبق له، والحسن (عليه الصلاة والسلام) وإن دخل تحت الكساء، لكنه كان وارداً على صاحب الحق، لا أن حق السبق شمله حتى يتوقف - من هذه الجهة - الإذن عليه أيضاً (١).

وربما يحتمل أن يكون الاختلاف في ضمير المفرد والتثنية، باعتبار التفنن والتنوع في الكلام، حيث إن من فنون الكلام أن يكون مختلفاً، حتى لا يمل السامع نتيجة لوحدة الكيفية، كما قالوا في باب الالتفات كقوله سبحانه: ((وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) (٢) فإن التفنن لا فرق فيه بين الغيبة والحضور والتكلم وبين سائر أضراب التفنن.

وهكذا يقال في جملة من آيات القرآن، حيث اختلاف العبارات - وذلك - على فرض الإلتزام بوحدة المؤدى في بعضها - فقد ذكر بعض الأدباء: إن الله سبحانه وتعالى كما خلق الكون متفنناً فيه من الجهات المختلفة، في الألوان والأطعمة والأنواع والأشكال والأحجام وغير ذلك، كذلك جعل الإنسان بحيث يتطلب التفنن والتنوع في كل شيء.

قالوا: وهذا هو وجه - أو من وجوه - التفنن في العبادة، مثلاً: الصلاة فيها: تكبيرة وحمد وسورة وركوع وسجود وقيام وقعود وتشهد وتسليم وما أشبه، وركعاتها: إثنان وثلاثة وأربعة وأكثر كما في بعض الصلوات المذكورة في المستحبات، إلى غير ذلك.

وكذلك الحال في الحج والإعتكاف والوضوء والغسل وما أشبه ذلك مما ذكر في مبحث فلسفة الأحكام، وقد أشرنا إلى بعض ذلك في كتاب (الفقه: الآداب والسنن) وكتاب: (في ظل الإسلام) وغيره.

١- هذا كله بالنظر إلى الظواهر - كما هو واضح - لا بلحاظ مقام الولاية وشبهها ولذا ذكر: (من هذه الجهة).

(فقال: وعليك السلام)

(فقال: وعليك السلام)

أفراد الضمير وجمعه

لا يخفى إن المجيء بصيغة المفرد حيث قال: (وعليك السلام) ولم يقل: (وعليكم السلام) - مع أنه جائز بل مستحب، كما يستفاد من بعض الروايات - إنما هو لإفادة الوجدانية في هذا المقام، حتى أن الملائكة الذين يسلم عليهم في صيغة الجمع يأتون في مرحلة ثانوية، وقد ذكر علماء البلاغة أن كلمة (انني) و (أنا) في بعض المقامات، أدل على العظمة من كلمة: (نحن) حيث إن (أنا) يدل على التفرد، وإنه لا أحد معه ((إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي)) (١) بينما قوله (نحن) يدل على أن معه آخر (٢) ولذا قالوا: (نحن) في بعض المقامات أكثر تواضعاً من (أنا).

ثم إنه يقال: (عليك) و (عليكم) مع أن (على) للضرر غالباً، لبيان أنه يغمره السلام، لأن السلام المنتهى إليه كأنه يغمره من الرأس إلى القدم، ولذا ورد في القرآن الحكيم: ((رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت)) (٣) وإلا فالمراد انتهاء السلام إليه، ولذا قلنا في الفقه: انه يصح: السلام لك، وانه يجب الجواب أيضاً، وفي بعض الأدعية بالنسبة إلى الله: وإليك السلام.

١- طه: ١٤.

٢- ولذا قال البعض ان قوله تعالى: ((إنا نحن نزلنا الذكر)) [الحجر: ٩] كان بلحاظ الملائكة أيضاً.

٣- هود: ٧٣.

(يا ولدي ويا شافع أمتي)

(يا ولدي ويا شافع أمتي)

الاعتقاد بالشفاعة

مسألة: يجب الاعتقاد بالشفاعة، ولا يخفى إنها من ضرورات العقل قبل أن تكون من ضرورات الشرع، وهي من الفطريات، ومما تسالمت عليها الملل، والإختلاف إنما هو في المصاديق والخصوصيات وهي عبارة عن شفع شيء بشيء، لئتمكنا من الوصول إلى نتيجة مطلوبة، كما أن الإنسان يساعد الحمّال في حمله أو السيارة لتتحرك الماكنة، أو ما أشبه ذلك، ولقد قامت عليها الأدلة الأربعة، ويدل على كونها من ضرورات الشرع: الآيات والروايات المتواترة.

ومن أنكر الضروري، فإن رجح إنكاره إلى تكذيب الرسول (صلى الله عليه وآله) كان غير مرتد، على ما ذكره الفقيه الهمداني (قدس سره) وغيره في مبحثه، وقد ذكرنا حكم الإرتداد في الفقه وذكرنا شروطه هناك فراجع.

وكما يجب الاعتقاد بالشفاعة، يجب - من باب إرشاد الجاهل وهداية الغافل - على العالم بيانها للناس وإفاتهم إليها.

الثناء بالحق

مسألة: يستحب الثناء بالحق والجهر بفضائل الآخرين، خصوصاً إذا كانت نافعة مستلزمة للحث نحو المكارم، ولذا قال (صلى الله عليه وآله) للحسن (عليه السلام): (صاحب حوضي) وللحسين (عليه السلام): (شافع أمتي) وكما قال الحسين (عليه السلام): (يا من اختاره الله).

ولا يخفى إن كلّ المعصومين (عليهم السلام) شركاء في جميع الفضائل والمناقب، كما يستفاد من مجموعة من الروايات، وإن تجلت بعضها في بعضهم^(١) بمقتضى تنوع أدوارهم واختلاف ظروفهم ومسؤولياتهم، حتى بدا بعض الصفات ألسق ببعضهم من بعض، وأضحى بعضهم مظهراً لبعضها في الدنيا والآخرة. ولذا كان علي

١- كالصبر في الإمام الحسن ((عليه السلام)) والشجاعة في الإمام الحسين والعبادة في الإمام السجاد والعلم في الصادقين (عليهم السلام) وإن كان المتأمل يستطيع أن يستكشف من ومضات حياة كل واحد منهم كل تلك الصفات فيرى في الإمام علي ((عليه السلام)) القمة في الصبر والشجاعة والعبادة والعلم وهكذا وهلم جرا.

(عليه السلام) صاحب الحوض، وكلهم (عليهم السلام) واقفون على الحوض، وكلهم شفعاء، إلى غير ذلك. وهذه الخصيصة إما في الكيفية أو في الكمية أو في الجهة أو في غيرها، وذلك كما أن هناك علاقة بين بعض الأشياء وبعضها الآخر في الخلقة تكويناً، فالدواء الفلاني للصفراء والدواء الآخر للسوداء، والنار توجب الحرارة، والثلج يبرد وهكذا.

وأولياء الله سبحانه كذلك، حيث إن كل إمام (عليه السلام) سبب ووسيلة لقضاء حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، كما يظهر من الروايات وإن كان الكل لكل الحوائج إقتضاً وفعلية في الجملة.

وهل الترابط والعلائق بين سلسلة المقتضيات والأسباب والشرايط وبين مقابلاتها، سواءً في الماديات أم المعنويات، كان ذاتياً بسبب خصوصية في ذا وذلك، أم أنه بالجعل نظراً لتعلق إرادته تعالى بذلك، فكان من الممكن جعل الثلج والنار بالعكس في التأثير، وهكذا وهلم جرا؟

احتمالان، بل احتمالات (١).

ولا شك إن الله سبحانه قادر على ما يتصور من الممكنات، إلا أن الكلام في الكيفية الخارجية (٢) والتي هي خارجة عن حدود علمنا.

الشفاعة للناس

مسألة: تستحب الشفاعة للناس إذا لم يكن هناك محذور.

وإنما يفهم من (شافع أمتي) استحباب الشفاعة للناس - بالإضافة إلى كونه كشف الكرب وقضاء الحاجة - لأن أهل البيت (عليهم السلام) لا يتصفون بصفة إلا كانت حسنة، مما يدل على ذلك، لفهم العرف الملازمة ولأدلة التأسّي.

ولا يخفى إن الشفاعة - كما أشرنا إليها - عبارة عن شفيع شيء بشيء، لنيل درجة أو قضاء حاجة، وذلك فيما كان المشفوع له، أهلاً للشفاعة وكانت للشفيع إمكانية ذلك، مثل مساعدة الحمال على حمل ثقله، فالحمال أهل للحمل والمساعد أهل للمساعدة، وهذا أمر عقلائي في الماديات والمعنويات.

لا يقال: فما معنى قوله تعالى: ((وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)) (٣)؟

لأنه يقال: تأهيل النفس يعتبر نوعاً من السعي، فإن السعي قد يكون بالواسطة وقد يكون مباشرة، كما أن العلم الذي (نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه) (٤) كما في الرواية، يعد نتيجة تأهيل الإنسان نفسه لذلك،

١- منها: التوليد أو الإعداد أو التوافي.

٢- ومن مصاديقها ذاتية أو عرضية العلاقة بين العلة والمعلول، ودخول ما سبق في المتن في دائرة الممكن أو أنه مندرج في دائرة المحال.

٣- النجم: ٣٩.

٤- بحار الأنوار : ١٤٠/٧٠ ب ٥٢ ح ٥ (بيان). وفي ٢٢٥/١ ح ١٧ عن الصادق ((عليه السلام)) قال لعنوان البصري: (يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن

وكما في قوله تعالى: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)) (١).

لا يقال: قد نرى في الدين ما ليس من السعي كالإرث؟

لأنه يقال: إنه من سعي المورث، مثل الضيافة حيث إنها من سعي المضيف، وكما في (المرء يحفظ في ولده) (٢) والذي عليه بناء العقلاء وسيرتهم، وهكذا يمكن القول هنا، بأنه من سعي الشافع، فإذا لم تكن له الشفاعة لم يكن للشافع ما سعى.

أما احتمال إنه تخصيص، فغير ظاهر، لأن سياق الكلام يأبى عن التخصيص (٣).

ثم إن شفاعتهم (عليهم السلام) بعضها بسبب إن الإفاضة من الله إلى المشفوع له بواسطتهم وبعضها بسبب مكانتهم وجاههم الذي حصلوه بالطاعة والعبادة، والتفصيل في كتب الكلام.

يهديه).

١- الطلاق: ٢ - ٣.

٢- عوالم العلوم: ٤٧٣/١١ باب ٢١.

٣- حول هذا المبحث راجع (الفقه: الاقتصاد) للإمام المؤلف (قدس سره).

قد أذنت لك فدخل معهما تحت الكساء فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب

(قد أذنت لك فدخل معهما تحت الكساء)

(فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب)

استحباب التكنية

مسألة: تستحب التكنية، كما يستحب احترام الناس بذكر كناههم، كما قالت (سلام الله عليها): (أبو الحسن). والمراد بقولها (سلام الله عليها): (فأقبل عند ذلك أبو الحسن): إما الزمان، أو الوقت، أو ما أشبه ذلك (١) أي - على أحد المعاني - حين ذلك الوقت الذي اجتمع فيه الثلاثة تحت الكساء جاء علي (عليه الصلاة والسلام). و (عند) وشبهه قد يكون زمانياً، وقد يكون مكانياً، وقد يكون معنوياً، مثل قوله سبحانه: ((وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى)) (٢) إذ أن الله سبحانه وتعالى لا زمان له ولا مكان، ولا إشكال من حيث اختلاف السياق الذي هو خلاف الظاهر، فيما إذا كانت هناك قرينة، كما في مثل قوله سبحانه: ((مَا عِنْدَكُمْ يَنْقُدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)) (٣) حيث إن (عند) في الإنسان يكون على الأقسام الثلاثة، بينما عند الله سبحانه وتعالى ليس إلا معنوياً، فهو مثل قوله سبحانه: ((تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)) (٤) فإن الله سبحانه وتعالى لا نفس له، وإنما جاء بكلمة نفس للسياق فقط.

والفرق بين (أقبل) و (جاء) و (أتى): إن الأول دال على الإتيان مع نوع من الإقبال (٥)، بخلاف (جاء)، كما أن (أتى) فيه إشراب معنى الإعطاء ولذا ورد: ((وَأَتَوْا الزَّكَاةَ)) (٦) بينما جاء وأقبل، ليس فيهما هذا الإشراب، فإن اللغة العربية - كما تقدمت الإشارة لذلك - في كل كلمة منها خصوصية لا توجد في الكلمة الأخرى، ولذا أنكر جمع من الأدباء المرادفة فيها إلا بالمعنى الأعم الأوسع، أي في الجملة (٧).

١- قد يكون المراد من أحدهما: الفترة والمقطع الزمني - بشكل أعم - ، ومن الآخر الفورية والإتصال - بشكل أخص - و(ما أشبهه) يكون إشارة للحالة، بالتجريد من لحاظ الزمان.

٢- الشورى: ٣٦.

٣- النحل: ٩٦.

٤- المائدة: ١١٦.

٥- والمواجهة والمقابلة.

٦- البقرة: ٤٣.

٧- راجع (الأصول: مباحث الألفاظ).

وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله

(وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله)

استحباب السلام على الزوجة

مسألة: يستحب السلام على الزوجة واحترامها كما قال علي (عليه السلام): (يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله) وقد يجب احترامها - كل في مورده -.

ولا يخفى إن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) والحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) كانت قائمة على احترام المرأة، احتراماً لائقاً بكرامتها الإنسانية الإسلامية، حيث لخصها علي (عليه السلام) في قوله: (فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة) (١) إشارة إلى نوع عاطفتها.

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)) (٢) وهذا تلخيص جيد جميل لكل شؤون المرأة، وقد ذكرنا في بعض كتبنا المرتبطة بالمرأة، حيث إن الغرب أفرط فيها، وبعض المسلمين فرطوا فيها إلا من عصم الله من المسلمين (٣).

ولا يؤخذ على المسلمين ما ورد في الآية الكريمة: ((وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ)) (٤) لأنه: أولاً: الضرب إنما هو بقصد الردع لا الإيذاء، وهو مقيد بالحد الأدنى، ولذا قالوا: إن الضرب بالسواك وما أشبهه.

وثانياً: أنه أقل سوءاً من الفضيحة التي تنتهي إلى المحاكم وإفشاء الأمر بين الأقرباء والجيران ونحوهم، فهو من باب الأهم والمهم الذي هو عقلي قبل أن يكون شرعياً.

وثالثاً: إن الضرب من باب النهي عن المنكر، فيما لو اضطر إلى الضرب، ولذا جاز عكسه إذا فعل الزوج المنكر وتوقف النهي على الضرب كما ذكرناه في الفقه في هذا المبحث، وإن أشكل عليه صاحب الجواهر (قدس سره)، لكن الإشكال لا وجه له بعد إطلاقات الأدلة (٥).

١- مستدرک الوسائل: ٢٥١/١٤ ب ٦٧ ح ١.

٢- البقرة: ٢٢٨.

٣- انظر كتاب (الغرب يتغير) و(لماذا تأخر المسلمون؟) للمؤلف (قدس سره).

٤- النساء: ٣٤.

٥- حول هذه المباحث راجع: (الفقه: النكاح) و(الفقه: الطلاق) و(المرأة المسلمة وأحكامها) و(فاطمة الزهراء

(فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين)

(فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين)

احترام الزوج

مسألة: يستحب وقد يجب - كل في مورده - احترام الزوج، ومن مصاديق ذلك ذكر كنيته ولقبه. فإنه كما يجب على الرجل احترام المرأة كذلك يجب على المرأة احترام الزوج، حيث إن بينهما علاقة الصداقة والمحبة والمودة، إلى جوار علاقة الزوجية، بل قبلها، قبلية معنوية لا زمانية، كما هو واضح، فإن الحياة الزوجية في منظار الإسلام تعني (١): تعاون شخصين لبناء حياة مشتركة سعيدة روحياً وجسماً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وتربوياً وغير ذلك لهما أولاً، ثم للأولاد ثانياً، وللأسرة ثالثاً. وقد شاهدنا في أيام الإسلام في العراق - قبل الحرب العالمية الثانية حيث لم تطبق بعد القوانين الغربية هناك - كيف كانت البيوت الزوجية عامرة بأفضل المعاني الإنسانية والعاطفية والعقلية والتربوية وغير ذلك. وقد كان الطلاق نادراً جداً، حتى ان أحد العلماء المتخصصين في إجراء العقود في كربلاء المقدسة قال لي: انه طيلة أيام السنة لم يطلق إلا طلاقاً واحداً، بينما كان عدد سكان كربلاء زهاء: مائة ألف إنسان، وكان المتخصصون في إيقاع صيغة عقد النكاح - وربما الطلاق نادراً - ثلاثة أشخاص فقط، بينما نجد الآن وبعد شيوع المادية في بلاد الإسلام، وقوع الطلاق في مختلف البلاد بكثرة مذهلة بالإضافة إلى المنازعات والمخاضات المنزلية الكثيرة جداً. ولهذا البحث مقام آخر (٢) وانما أردنا أن نلمع إليه إلماعاً وأن المسلمين ماذا خسروا حين تركوا الإسلام وذلك ما أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)) (٣) فإن الإعراض عن ذكر الله سبحانه يشمل كل الأحكام حتى المستحب والمكروه (٤) والمباح، إذ كل حكم له فلسفته الدقيقة وإن لم يكن واجباً أو محرماً، ولذا ورد: (إن الله

(عليها السلام) أفضل اسوة للنساء) للإمام المؤلف (قدس سره).

١- يراجع (الفقه: الآداب والسنن) للإمام المؤلف (قدس سره)، وكتاب العمرة من (بحار الأنوار) و(وسائل الشيعة) وغيرها.

٢- تحدث الإمام المؤلف عن ذلك مفصلاً في كتاب (مذكراتي) وبيجاز في كتاب (بقايا حضارة الإسلام كما رأيت) و(لماذا تأخر المسلمون؟).

٣- طه: ١٢٤.

٤- فعل المكروه، وكذا ترك المستحب (فيما كان الترك مكروهاً) إعراض عن ذكر الله وقوانينه وما ذكر الله به.

يجب أن يؤخذ برخصة كما يجب أن يؤخذ بعزائمه(١).

١- مستدرك الوسائل: ١/١٤٤/ب ٢٣ ح ١.

فقال: يا فاطمة إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي

(فقال: يا فاطمة إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي)

التعرف على حياة المعصومين (عليهم السلام)

مسألة: يستحب - وقد يجب - تتبع حالات المعصومين (عليهم السلام) وأثارهم وخصوصيات سيرتهم وحياتهم (١)، كما يدل على ذلك جملة من الشواهد.

إن التكرار من الحسين ثم الحسن ثم علي (عليهم الصلاة والسلام) (بأنى أشم عندك رائحة طيبة) يدل - هو ونظائره - على أمرين:

الأول: تتبعهم (عليهم السلام) لكل الأحوال والخصوصيات حتى مثل: خصوصية وجود رائحة طيبة في البيت. الثاني: تتبعهم حال الرسول (صلى الله عليه وآله) بكل دقة، وأنه (صلى الله عليه وآله) أين يذهب؟ وأين ينزل؟ وماذا يفعل؟ وما أشبه وذلك ينفع في التأسي به وفي تذكير الآخرين بذلك وغير ذلك. وقد ذكر المؤرخون، إن المسلمين كانوا يتتبعون حال الرسول (صلى الله عليه وآله) لحظة بلحظة ودقيقة بدقيقة، حتى أنهم لما تطرقوا لسفر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الحج، ذكروا عدد من أردفهم خلفه وهو على الناقة، بل ذكروا اسم كل فرد ممن أردفهم، كما أنهم ذكروا أين نزل وأين صلى؟ وذكروا أنه في المكان الفلاني وجدوا حية وما أشبه ذلك من الخصوصيات الدقيقة. والحق معهم في هذا التتبع، لأنه (صلى الله عليه وآله) حجة في كل قول وفعل وتقرير، وحركة وسكون،

١- كتب الإمام المؤلف عن المعصومين (عليهم السلام) الكتب التالية: لأول مرة في تاريخ العالم، باقة عطرة في أحوال خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله)، هكذا حج رسول الله (صلى الله عليه وآله)، تلخيص تاريخ المدينة المنورة، قادة الإسلام، موجز تاريخ الإسلام، فضائل الإمام أمير المؤمنين ((عليه السلام))، الحكومة الإسلامية في عهد الإمام علي (عليه السلام)، محمد (صلى الله عليه وآله) والقرآن، فاطمة الزهراء (عليها السلام) أفضل اسوة للنساء، ثورة الإمام الحسن ((عليه السلام))، الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، الحسين ((عليه السلام)) اسوة، الحسين ((عليه السلام)) مصباح الهدى، جهاد الحسين ((عليه السلام)) ومصرعه، حياة الإمام السجاد ((عليه السلام))، حياة الإمام الباقر ((عليه السلام))، حياة الإمام الصادق ((عليه السلام))، حياة الإمام الكاظم ((عليه السلام))، الإمام الرضا ((عليه السلام)) يقود الحياة، حياة الإمام الجواد ((عليه السلام))، حياة الإمام الهادي ((عليه السلام))، حياة الإمام العسكري ((عليه السلام))، حياة الإمام الحجة ((عليه السلام)) وغير ذلك.

وكلام وسكوت، وما أشبه ذلك.

وقد ذكرنا جملة من هذه الأمور في كتبنا التي نتحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مثل كتاب: (ولأول مرة في تاريخ العالم) وكتاب (باقة عطرة) ومثل: ما ذكرناه من أحواله في كتاب: (حكومة الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)).

وهذا ما وصل إلينا من تاريخه (صلى الله عليه وآله) وأما ما لم يصل إلينا من أحواله (صلى الله عليه وآله) فهو كثير جداً، بل لعل ما وصل إلينا لا يبلغ حتى جزءاً من مائة جزء من أحواله الكريمة، وذلك لأن عمر بن الخطاب منع من الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) واستمر هذا المنع إلى أواخر العباسيين، وإنما رفع المنع مدة قصيرة في حكومة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وفي زمان عمر بن عبد العزيز كما لا يخفى على من راجع التواريخ.

وبذلك خفي علينا الكثير من أحواله (صلى الله عليه وآله)، أما عند السنة فلمنع الحديث، وأما عند الشيعة فلإحراق الجانحين كتبهم مرة بعد مرة، ثم التقية الشديدة للظروف الحرجة التي مروا بها في قضايا مفصلة مذكورة في كتب التواريخ.

ولعل ما ورد في أحوال الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) بأنه يأتي بدين جديد يشير إلى ذلك أيضاً، أي: بالإضافة إلى إحيائه السنة وإماتته البدعة فإنه يظهر (عليه الصلاة والسلام) ما خفي من أحوال الرسول وآبائه الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين).

(وابن عمي رسول الله)

(وابن عمي رسول الله)

إضافة (ابن العم) لدفع توهم الغافل: إن علياً (عليه السلام) أخ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في النسب بمعنى كونهما من أب وأم، أو أحدهما، فهو يفيد أن قوله (عليه السلام): (أخي) إنما هو للإشارة إلى منتهى درجة الأخوة في الله تعالى، ولوثاقه الرابطة الروحية والمعنوية بينهما، وهذا من أكبر فضائل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأما في القرابة فهما (عليهما السلام) أبناء عمومة. (فقلت: نعم ها هو مع ولدك تحت الكساء، فأقبل علي نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟)

التواجد بمحضر أولياء الله

مسألة: يستحب التواجد في محافل ومجالس أولياء الله، لما له من الآثار والثمار - كما سيأتي -. وربما يستدل من مجموعة سياق حديث الكساء ومن بعض القران الداخلية والخارجية، أنهم (صلوات الله عليهم) - وهم على علم بذلك من قبل - كانوا يتتبعون الرسول (صلى الله عليه وآله) ليكونوا معه حتى تحت الكساء، نظراً للحكمة الإلهية التي اقتضت ذلك، إضافة إلى كونهم بمحضره - بشكل عام - سبب للإستفادة المعنوية والعلمية وغيرهما منه (صلى الله عليه وآله)، إذ من الواضح أن الرسول (صلى الله عليه وآله) - حيث ما نزل أو ذهب - تنتزل عليه الفيوضات الإلهية منه جل وعلا دوماً وباستمرار، ومن كان مع إنسان تنتزل عليه اللعنة ستصيبه اللعنة ولو بترشحاتها في الجملة، حسب ما قرر في قوانين الكون مما أشرنا إليه سابقاً. نعم ليس ذلك على نحو الموجبة الكلية، بل يشترط في المحل القابلية والسنخية ولو في الجملة، مثلاً: من يقترب من المريض سيصاب بالعدوى ولو بشكل طفيف غير محسوس، ولذا ورد في الحديث: (فر من المجذوم فرارك من الأسد) (١) إلى غير ذلك.

ورود في عكسه: (إذا رأيتهم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة) (٢) وقد ثبت في العلم الحديث: إن لكل شيء موجات لا مرئية حتى التفكير، مما يسبب تأثير الإنسان المقرب من صاحب الموج خيراً أو شراً، بتلك الأمواج.

١- وسائل الشريعة: ٤٣١/٨ ب ٢٨ ح ٢. ورواه الفقيه ١٨٤/٢.

٢- مستدرک الوسائل: ١٨/٩ ب ١٠٠ ح ١١. ورواه في تحف العقول ص ٢٨٨ - ٢٩٦.

أما تجاور قبر الإمام الرضا (عليه السلام) مع قبر هارون، فذلك مما لا يؤثر لا من هذا الجانب ولا من ذلك الجانب، حيث لا قابلية لهارون إطلاقاً، كي يستفيد من فيوضات الإمام الرضا (عليه السلام) كما أن الإمام الرضا (عليه السلام) في أعلى درجات المناعة والعصمة حيث لا يتأثر بمجاورة هارون إطلاقاً، ولذا قال دعبل الخزاعي:

(قبران في طوس خير الناس كلهم*** وقبر شرهم هذا من العبر)
 (ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا***على الزكي بقرب الرجس من ضرر)
 (هيهات كل امرء رهن بما كسبت***له يداه فخذ ما شئت أو فذر)(١)

١- أمالي الصدوق: ٥٢٦ ح ١٦ ط بيروت. ورواه البحار ١٣٠/٤٩ ح ٦.

قال له: وعليك السلام يا أخي ويا وصيي وخليفتي وصاحب لواني

(قال له: وعليك السلام يا أخي ويا وصيي وخليفتي وصاحب لواني)

الاعتقاد بالولاية

مسألة: يجب الاعتقاد بولاية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه (عليه السلام) أخو الرسول (صلى الله عليه وآله) ووصيه وخليفته والإمام من بعده، كما صرح بذلك الرسول (صلى الله عليه وآله).
ولذلك فوائد كثيرة، فإن الولاية لها آثار معنوية وأحكام شرعية وفوائد اجتماعية وسياسية وقيادية، لوضوح أن ولاية القادة الصالحين المستقيمين توجب إفاضة الله سبحانه وتعالى لطفه ورحمته على من يتبعهم ويتولاهم، كما أنها توجب الاستقامة في سلوك التابعين وتحضهم على مكارم الأخلاق.
والأحكام الشرعية المأخوذة منهم، أحكام الهيئة واقعية توجب خير الدنيا والآخرة.

وهذه التأكيدات الكثيرة من الرسول (صلى الله عليه وآله) على ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إنما تقصد تحريض الأمة في كل مناسبة، على توليه والإهداء بهديه (عليه السلام) حتى يسعدوا في دنياهم وفي آخرتهم، فالفائدة تعود إليهم بالأساس، لا إليهما (صلوات الله وسلامه عليهما) ((قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهَوْا لَكُمْ)) (١) وقد قال هو (عليه السلام) ذات يوم: ما أحسنت إلى أحد وما أساء إلي أحد.

فقالوا: يا أمير المؤمنين وكيف ذلك وقد أحسنت كثيراً إلى الناس وقد أسأؤوا كثيراً إليك؟
فقال (عليه الصلاة والسلام): أما تقرأون قول الله سبحانه وتعالى: ((إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا))؟ (٢)

نعم لا إشكال في الأتباع كلما كثروا، انتفع المتبوع أكثر لقاعدة: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء) (٣) ومن الواضح إن ذلك من سعي الإنسان، القائد والذي يقتضي تفضل الله سبحانه وتعالى أيضاً، فلا يقال: هذا ينافي قوله تعالى: ((وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى)) (٤) وقوله سبحانه: ((كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)) (٥). وما أشبه ذلك مما يحصر الفوائد العائدة إلى الإنسان في

١- سبأ: ٤٧.

٢- الإسراء: ٧.

٣- مستدرک الوسائل: ٢٣٠/١٢ ب ١٥ ح ٨. عن هداية الصدوق ص ١٢.

٤- النجم: ٣٩.

٥- الطور: ٢١.

عمله.

التركيز على الاعتقادات

مسألة: يجب التأكيد على المسائل الاعتقادية وبيانها للناس وتذكيرهم بها، فإن التأكيد على المسائل الاعتقادية مهم جداً، إذ بالاعتقاد ينحرف الإنسان أو يستقيم.

وقد ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) في هذه الجملة: أنه (عليه السلام) أخوه ووصيه وخليفته وصاحب لوائه.

أما الأخوة فقد تقدم الإلماع إليها، وهي أخوة معنوية لا أخوة نسبية. والوصي حيث كان أعم من أن يكون خليفة أكدّه (صلى الله عليه وآله) بهذا القسم من الوصاية أي: الوصاية في حال كون الوصي خليفة أيضاً.

وأما قوله: صاحب لوائي، فيحتمل أن يريد صاحب لوائه في الدنيا، لأنه (عليه السلام) كان حامل اللواء في أكثر حروب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويمكن أن يريد صاحب لوائه في الآخرة ما يسمى في الروايات: بلواء الحمد (١)، ومن المحتمل أن يراد الأعم من المادي والمعنوي والدنيا والآخرة، وليس هذا من استعمال اللفظ في أكثر من معنى حيث أحال الله بعض، بل من باب الكلي الذي له مصاديق كما لا يخفى (٢)، فلا إشكال من هذه الجهة أيضاً.

١- راجع مستدرك الوسائل: ٤٥٩/٧ ب ٢٢ ح ١٣. وفي البحار ٣٥١/٩٦ ح ٣٢.

٢- استعمال اللفظ في الجامع ممكن وواقع بل كثير الوقوع، أما استعمال اللفظ في أكثر من معنى على ان يكون كل واحد منها تمام المراد فهو المحال لا غير، راجع (الأصول) للمؤلف.

قد أذنت لك، فدخل علي تحت الكساء
ثم أتيت نحو الكساء وقلت: السلام عليك يا أبتاه يا رسول اله

(قد أذنت لك، فدخل علي تحت الكساء)
(ثم أتيت نحو الكساء وقلت: السلام عليك يا أبتاه يا رسول اله)

انتقاء الكلمات المحببة

مسألة: يستحب انتقاء الكلمات المحببة في الخطاب، ومن صغريات ذلك خطاب البنت أباها بكلمة (أبتاه) مما يستلزم إدخال السرور على قلبه وفؤاده.

وهذا ليس خاصاً بالبنت بل يشمل كل الأقارب، وكذلك الأبعاد، فإنه من حسن الأخلاق أن يخاطب الإنسان غيره بخطاب يحبه، ولهذا ورد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يكني الناس حتى الأطفال، فقد رأى طفلاً وببده عصفور ثم رآه مرة أخرى وليس بيده العصفور فقال له الرسول (صلى الله عليه وآله) - كما يرويه الرواة -: (يا أبا عمير ما فعل النغير)؟ (١)

هذا بالإضافة إلى أن الرسول (صلى الله عليه وآله) أمر الزهراء (سلام الله عليها) بأن تسير على سيرتها السابقة في خطابها له، بعد ما نزلت آية: ((لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)). (٢) فأطاعت الزهراء (سلام الله عليها) الرسول (صلى الله عليه وآله) لكنها كانت تضم (أبتاه) إلى (رسول الله) أيضاً وتقول: (يا أبتاه يا رسول الله) كما في هذا الحديث.

ما ذكرناه من إنتقاء الألفاظ المحببة إلى قلوب الناس في الخطاب، ليس خاصاً بالخطاب، بل من الأدب أن يستعمل الإنسان الألفاظ المحببة إلى الناس في كل محادثاته لهم، وكذلك في الكتابة وغيرها، فإن من التعقل - الذي حيب إليه الشرع أيضاً - التودد إلى الناس.

إعادة السلام

مسألة: يستحب إعادة السلام وتجديده بتغيير الحالات وتنوعها، كما صنعت (عليها السلام) ذلك.

١- مستدرک الوسائل: ٤٠٩/٨ ب ٦٦ ح ٥. عن المناقب لابن شهر آشوب ١٤٧/١ وفي النهاية ٨٦/٥: النغير تصغير النغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار.

٢- النور: ٦٣.

أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء

(أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء)

الإستئذان مع العلم بالإذن

مسألة: يستحب الإستئذان، حتى مع العلم بوجود الإذن، وذلك للإحترام الأكثر كما استأذنا (عليهم السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أنهم يعلمون برضاه لا بعلم الغيب فقط، بل بشهادة القران. وإن من محاسن الآداب أن يراعي الإنسان حريم الآخرين ثبوتاً وإثباتاً، وذلك ينعكس على نفسه إيجابياً أيضاً.

(فمن هاب الرجال تهيبوه***ومن وهن الرجال فلن يهابا)

وحتى إذا كان الطرف الآخر غير مؤدب فإن الإنسان إذا تعامل معه بأدب، فإنه لا بد وأن يتأدب ولو بقدر، خصوصاً في الأمور المرتبطة باللسان، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة، وقد قال (صلى الله عليه وآله) في حديث له: (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار، إلا حصائد السنتهم)؟ (١) إفادة المبالغة في أن كثيراً من أهل النار، إنما يدخلون النار بسبب ألسنتهم، وقد قال الشاعر:

(جراحات السهام لها التيام***ولا يلتام ما جرح اللسان)

(إحذر لسانك أيها الإنسان***لا يلدغك إنه ثعبان)

وقصة ذلك الخليفة والمعبرين اللذين عبّر أحدهما بموت أقربانه قبله، فعاقبة، وعبّر الثاني بأنه أطول عمراً من أقربانه فأكرمه، مشهورة، مع أن المؤدى كان واحداً.

قال: وعليك السلام يابنتي ويا بضعتي قد أذنت لك.
فدخلت تحت الكساء

(قال: وعليك السلام يابنتي ويا بضعتي قد أذنت لك).
(فدخلت تحت الكساء)

البضعة وأقسام الخطاب

الذي وجدته في الروايات أن الرسول (صلى الله عليه وآله) عبر بكلمة: (البضعة) عن شخصين: (الزهراء والرضا عليهما الصلاة والسلام) مع وضوح إن كلهم (عليهم السلام) كانوا بضعة منه (صلى الله عليه وآله) إلا أن الخطاب بذلك قد يكون لمزيد العناية.

وكان هذه الكلمة تفيد أن المخاطب جزء من المتكلم، لأن بضعة الإنسان جزء منه، وهي ليست على سبيل المبالغة، بل هي صادقة بالنسبة إلى الوالدين والأولاد، ويأتي في هذا المبحث أيضاً ما ذكرناه في المبحث الآنف، حيث إن الرسول (صلى الله عليه وآله) ذكر أفضل كلمة محببة إلى قلب الزهراء (سلام الله عليها).

فهناك عدة أقسام من الخطاب:

خطاب يوجب الإهانة والإيذاء، وذلك حرام كما قال سبحانه: ((وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)) (١).

وخطاب يوجب التحبيب والتحبب وذلك مستحب.

وقد يكون واجباً إذا كانت هنالك ملابسات أو لوازم وملزومات وملازمات وما أشبه، مما يقتضي ذلك.

وقد يكون عادياً، فيكون مباحاً بلا كراهة ولا استحباب، والأفضل أن ينتقي الإنسان الأفضل حتى من المستحب، لأن للمستحبات مراتب.

فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء
أخذ أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطرفي الكساء

(فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء)
(أخذ أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطرفي الكساء)

اجتماع القلوب والأجسام (١)

مسألة: يستحب التجلي في التجمع وإظهاره زيادة على أصل الاجتماع، ولربما لذلك أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطرفي الكساء.

فإن الأخذ بطرفي الكساء، أوجب للتجمع، وأدل على كثرة المحبة، فإنه إذا كان التجمع ألصق بعبه ببعض، كانت القلوب أقرب، ولربما كان لذلك استحباب أكل الجماعة من إناء وصحن واحد، ولعل لهذه الجهة أيضاً عبر القرآن الحكيم عن الزوجين بقوله: ((هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)) (٢) ولذا يستحب ذلك هنا وفي غيره، بالملاك.

ولا يخفى إن تجمع القلوب وتقاربها مبعث كل خير، لأنه يوجب التعاون على البر والتقوى والتقدم في الحياة، وربما يجتنب الإنسان كثيراً من المعاصي، كالجبية والتهمة والنميمة وغير ذلك.

ولتقارب القلوب أسباب ظاهرية وأخرى خفية وباطنية.

فمن الأسباب الظاهرية: الإقتراب من الناس، لأن القرب منهم يوجب (٣) محبتهم، وكثرة الإلتفاف بهم توجب مزيداً من الإحساس بآلامهم وآمالهم، وتستلزم التعرف على مشاكلهم، والتفاهم الأكثر معهم، ولذا نرى الحكومات الإستشارية دائماً تقترب من الناس، بخلاف الحكومات الديكتاتورية حيث تنقطع عن الناس، وتفرض حواجز بينها وبينهم، وهكذا الفرق بين كل استشاري وكل مستبد، أخذاً من رب العائلة إلى ما فوقه من التجمعات.

وأما الأسباب الخفية والباطنة فمنها: الخوف من الله سبحانه، قال تعالى: ((لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا

١- حول هذا المبحث بنقاطه المختلفة يراجع للمؤلف: (الفضيلة الإسلامية)، (الفقه: الاجتماع) (الفقه: السياسة) (الفقه: الدولة الإسلامية) (ممارسة التغيير لإتقاد المسلمين) وغيرها.

٢- البقرة: ١٨٧.

٣- بنحو المقتضي.

أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ)) (١) وقال (صلى الله عليه وآله): (بنيّة صادقة) (٢) وفي الآية الكريمة: ((يَقْلِبِ سَلِيمٍ)) (٣).

والإسلام يأمر بالأمرين معاً، ولذا أوجب بر الوالدين وصلة الرحم، وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بعطف الكبير على الصغير، واحترام الصغير الكبير.

والتجمع المتلاصق تحت الكساء من مظاهر التجمع الظاهري.

وفي كثير من الأحاديث دلالة على أنهم (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يجتمعون - في مناسبات مختلفة - حتى قبل خلق الخليقة في العرش كما ورد في الرواية (٤)، وكذلك كانوا (عليهم السلام) يجتمعون في حال حياتهم وبعد مماتهم، كما اجتمعوا في مصرع الحسين (عليه الصلاة والسلام) ليلة الحادي عشر من المحرم كما ورد في المقاتل (٥).

ومن المعلوم إنهم (عليهم السلام) ((أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) (٦) فلا عجب من ذلك.

١- الأنفال: ٦٣.

٢- أمالي الصدوق: ٦٥ ح ٢ ط بيروت.

٣- الشعراء: ٨٩.

٤- راجع عوالم العلوم للبحراني ٢١/١١ ب ٢ ح ١٠ ط ٢. تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عج) عن فضائل الشيعة. ورواه البحار ١٤٤/١١ ح ٩.

٥- معالي السبطين ٤٥/٢ المجلس ١٢ ط قم.

٦- آل عمران: ١٦٩.

وأوما بيده اليمنى إلى السماء

(وأوما بيده اليمنى إلى السماء)

الإشارة في الأمور الهامة

مسألة: ترجح الإشارة في الأمور المهمة، ومن مصاديق ذلك: الإشارة إلى السماء حين الدعاء، وكذا إلى العظيمة، ورجحانها في الأعم، يستفاد من ملاك هذا الحديث، وله شواهد ومؤيدات أخرى.

فإن في الإشارة تأكيداً للهدف الذي يتوخاه الإنسان، لأنه تنسيق بين العمل والقول، فمن سأل عن الطريق تقول: من الجانب الأيمن وتشير إليه أيضاً، إلى غير ذلك من الأمور خصوصاً إذا كانت لها أهمية.

وكما تستحسن الإشارة في الأمور الحسنة، تستقبح في الأمور السيئة. وقد قال الكفار: ((كذَّابٌ أَشِيرٌ)). (١) وأجابهم سبحانه بقوله ((سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِيرِ)). (٢) وقال الحسين (عليه السلام): (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً) (٣).

ف (الأشير): الفرح، المتكبر، الطاغي. وربما: من يشير استهزاءً، فتأمل.

و (البطر): من بطرته النعمة سببت له غروراً وعدم مبالاة بالحياة وتغييراتها.

و (المفسد): من يفسد المصالح ويحرفها عن طريقها الطبيعي.

و (الظالم): يشمل بإطلاقه، من يظلم نفسه أو الناس أو الحيوان أو الجماد، ولذا ورد: (فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم) (٤).

ثم قد تكون الإشارة لمجرد الدلالة، كما قال سبحانه: ((فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)) (٥).

ولا يخفى إن للإيماء والإشارة أحكاماً متعددة تكليفية ووضعية، مذكورة في مختلف أبواب الفقه، أخذاً من باب (الطهارة) وانتهاءً إلى باب (الديات)، كرفع اليدين إلى الأذان في حال التكبير، ورفعهما قبال الوجه في القنوت، وفي حالة الدعاء، وفي باب الحج، حيث إن من أشار إلى الصيد كانت عليه كفارة، وإشارة الأخرس في

١- القمر: ٢٥.

٢- القمر: ٢٦.

٣- مقتل الحسين ((عليه السلام)) للمقرم: ١٣٩ ط قم.

٤- نهج البلاغة: الخطبة ١٦٧.

٥- مريم: ٢٩.

النكاح والطلاق وسائر المعاملات، والإشارة حين الوصية فيمن لا يتمكن من الكلام، كما في قصة أمامة حيث كانت تشير بالوصية كما ذكره المستدرک(١)، وكذلك إشارة المريض بعينه - مثلاً - تقوم مقام أعضائه في أداء أعمال الصلاة و...

وكذلك بالنسبة إلى غير الأخرس والمريض، فإن الإشارة كثيراً ما تؤدي نفس مؤدى الكتابة والعبارة، مما ذكر مفصلاً في مختلف الأبواب الفقهية.

أنواع الإشارة وأحكامها

مسألة: يرحج كون الإشارة بتمام الكف وشبهها، وتحرم فيما إذا تضمنت استهزاءً وشبهه، وكان من عادة الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يشير بتمام كفه، لأن فيه نوعاً من الإحترام، كما أنه (صلى الله عليه وآله) إذا أراد التكلم مع أحد كان يتوجه إليه بكل بدنه لا برأسه فقط، لأن التوجه بكل البدن فيه نوع من الإحترام. والإشارة في هذه الأماكن مستحبة، وقد تكون واجبة لأسباب عارضة، كما أن الإشارة الموجبة للإيذاء أو الإهانة محرمة.

وقد كان من المحرم على الرسول (صلى الله عليه وآله) الإشارة الخفية بعينه فيما يقصد إخفائه عن جلسائه، كما ورد هذا الإختصاص في قصة الحكم بن العاص، حيث كان الرسول (صلى الله عليه وآله) قد أمر بقتله، لكن الأصحاب لم يقتلوه عندما حضر مجلس الرسول (صلى الله عليه وآله) واعتذروا أنه لم يشر إليهم بعينه فقال الرسول (صلى الله عليه وآله) - حسب الرواية - : ألم تعلموا ان الإشارة بالعين محرمة عليّ؟.

وكذلك فإن من الحرام خائنة الأعين، ومعنى خائنة الأعين: خيانتها في المحرمات؟ مثل: النظر إلى ما يحرم النظر إليه من النساء الأجنبية، وبالعكس في الرجال وشبه ذلك، والفرق بين النظر وبين خائنة العين: إن النظر ليس فيه إخفاء، بينما (خائنة الأعين) يتضمن معنى الإخفاء.

والإشارة بأقسامها السابقة(٢) لا فرق فيها بين الإشارة بالعين أو الرأس أو اليد أو اللسان أو الرجل أو غيرها، إذ أنها كلها مصاديق لتلك الكليات المحكومة بالحرمة أو الإستحباب أو الكراهة، ومن هذا الباب الهمز واللمز، ولذا قال سبحانه: ((وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)) (٣).

رفع اليد حين الدعاء

مسألة: يستحب رفع اليد إلى السماء حين الدعاء.

وقد ورد التصريح بهذا في الحديث الشريف، معللاً بأن الأرزاق والمقادير الإلهية تنزل من السماء.

١- راجع مستدرک الوسائل: ١٢٦/١٤ ب ٤١ ح ١. عن دعائم الإسلام ٣٦٢/٢ ح ١٣٢٠.

٢- المحرمة والمستحبة والواجبة...

٣- الهمزة: ١.

تقديم الميامن

مسألة: يستحب تقديم الميامن في الأعمال، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبدأ بميامنه، كما في الأحاديث (١) نعم ربما يستظهر من حديث تقديم الرجل اليسرى في حالة الخروج من المسجد (٢) وفي حالة الدخول إلى بيت الخلاء، وكما يظهر من معتاد المتشركة من تطهير الموضع باليد اليسرى: إن الأشياء غير الحسنة يكون الأفضل فيها استخدام اليد اليسرى، كما أنه كذلك بالنسبة إلى إعطاء الكتاب باليد اليسرى للمجرمين في الآخرة (٣).

ولعل لتقديم اليمنى في مختلف الأمور (٤) علة ظاهرة وعلّة خفية، والله أعلم بالأحكام والمصالح. أما الظاهرة: فربما لأن اليد اليسرى حيث كانت أقرب إلى القلب لم تحتج إلى الحركة والفعالية التي تحتاج إليها اليد اليمنى البعيدة عن القلب، حيث تحتاج إلى التحرك الأكثر كي تتوازن مع اليسرى في القوة والنشاط والحيوية.

وأما الخفية: فللتفاؤل باليمنى، فإن التفاؤل له شأن كبير في تحقيق الحياة السعيدة للفرد والأمة، بخلاف التشاؤم، ولذا ورد (تفاءلوا بالخير تجدوه) إذ التفاؤل يشجع على الإستمرار والإستقامة والمضي إلى الأمام، بينما التشاؤم والتطير وما أشبهه يوجب العكس، ولذا ورد: (إذا تطيرت فامض) (٥) إلى غير ذلك.

١- راجع وسائل الشيعة: ٣١٦/١ ب ٣٤ ح ٣ ط طهران.

٢- راجع جامع أحاديث الشيعة: ٤٧٦/٤ ب ٢١ ح ٧.

٣- قال تعالى في سورة الحاقة: ٢٥ - ٢٦: ((وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه)).

٤- ومن ذلك التختم باليمين، والمصافحة بها.

٥- تحف العقول: ٥٠ ح ١٢٢ ط طهران.

وقال: اللهم

(وقال: اللهم)

استحباب الدعاء في كل الأحوال

مسألة: يستحب الدعاء في كل حال، فإن الدعاء سلاح المؤمن (١) ومخ العبادة (٢) وقد قال سبحانه: ((وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) (٣) وقال تعالى: ((قُلْ مَا يَدْعُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ)) (٤).

والدعاء استمداد من خالق الكون ومن بيده كل شيء، وهو - بالإضافة إلى أنه أمر واقعي - يعطي الأمل والرجاء الذي يعد من أهم الحلول للكثير من المشكلات.

أما إنه أمر واقعي فواضح، إذ أن بعض الأشياء البسيطة فقط هي - بإرادة الله تعالى - بيد الإنسان، وله بها العلاج، أما غالب الأسباب والعلل والشرائط القريبة والبعيدة، بل أكثر من ذلك، فليس بيد الإنسان، وهو عبر الدعاء يستمد العون منه تعالى في علاجها وحلها، ومن يستكبر فهو بين جاهل ومعاند، لأن الإنسان حتى الطبيعي والدهري يعلم - إذا التفت - أن غيره يدير الكون، وأنه لا حول له ولا قوة.

وأما إن الدعاء يمنح الرجاء، فلأن الأمل بالله سبحانه ورجاء حل المشكلة وقضاء الحاجة يبعث على البهجة والسرور وراحة الأعصاب وطمأنينة النفس، وهي تؤثر في الجسد، وتوجب الصحة والعافية، وكذلك تستلزم الإندفاع نحو الأمام، بعكس اليأس الذي يتخلى عن جهاده وأعماله ومشاريعه، نظراً لتشاومه ولذا قال سبحانه: ((إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)) (٥).

لا يقال: إن كان القضاء قد جرى بالخير، فطلبه طلب لما هو بحكم الحاصل، وإن كان قد جرى بالشر فالدعاء لا يؤثر.

لأنه يقال:

نقضاً: بأنه كما لا يصح أن يقال إن جرى القضاء بالسفر، فلا فائدة في تهينة الوسائل والمقدمات، وإن لم يقض به فلا أثر للتهيؤ والإعداد والإستعداد.

١- وسائل الشيعة: ١٠٩٤/٤ ب ٨ ح ٣.

٢- وسائل الشيعة: ١٠٨٦/٤ ب ٢ ح ٩.

٣- غافر: ٦٠.

٤- الفرقان: ٧٧.

٥- يوسف: ٨٧.

وَحالاً: بأن الدعاء مقتضى لحل المشاكل وقضاء الحوائج، فإن انضمت إليه سائر الشرائط وارتفعت الموانع تحقق المعلول وحصل المقصود.

وبعبارة أخرى: إن الدعاء جزء من العلل التكوينية - وهو جزء خفي وهناك أجزاء جلية ظاهرة - وقضاء الله وقدره جرى بتحقيق المعلول عند تحقق علته، وبعدم تحققه عند انتفاء العلة بما هي علة - ولو بائنتفاء أحد أجزائها - فكما قضي بتحقيق الإحتراق عند وضع المرء يده في النار دون مانع، كذلك قضي بإعطاء كثير من الحاجات عند الدعاء أو الإلحاح بالدعاء لفترة تطول أو تقصر، حسب تقديره جل وعلا.

إن هولاء

(إن هولاء)

الدعاء للغير

مسألة: يستحب الدعاء للغير كالدعاء للنفس، ولذا قال (صلى الله عليه وآله): (عليّ) دعاءً ايجابياً وسلبياً. ويتأكد استحباب الدعاء للأقرباء خاصة، لأنه من مصاديق صلة الرحم أيضاً، فإن الدعاء مستحب لكل مؤمن، ولذا قال (صلى الله عليه وآله) - كما سيأتي -:

فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك علي وعليهم.

(فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك علي وعليهم).

بل الدعاء مستحب حتى للكافر لهديته، ولذا كان (صلى الله عليه وآله) يقول: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)(١).

إلى غير ذلك مما ذكر في كتب الدعاء، وقد ذكرنا جملة منها في كتاب (الدعاء والزيارة).
ثم إن الإنسان إذا دعى لنفسه ولغيره، فالظاهر أفضلية أن يقدم الدعاء لغيره على الدعاء لنفسه لما ورد في دعاء المسلم لأخيه(٢) بل ما ورد من دعاء الملائكة وطلبهم المضاعفة له عندئذ. (إن الملائكة تقول لمن يدعو لغيره: ولك مثله)(٣).

نعم النبي (صلى الله عليه وآله) ربما كان يقدم الدعاء لنفسه أقرب للإجابة فيقدمه تمهيداً لكي لا ترد الصفة الواحدة المتضمنة له ولغيره.

التوجه إلى الله عند اجتماع الأسرة

مسألة: يستحب التوجه إلى الله عز وجل إذا اجتمع أفراد العائلة في مكان واحد، كما صنع النبي (صلى الله عليه وآله) بعدما اكتملوا (عليهم السلام) تحت الكساء، ومن الضروري تحريض الناس على ذلك.
فإن تجمع الأقرباء والأرحام في مكان واحد، قد يكون مثار القال والقال والقييل والكلام بالباطل أو اللغو. فاللزام أن يصرفه الإنسان إلى شيء من الواجب أو المستحب، كبيان المسائل والأحكام والهداية والإرشاد والدعاء وقراءة القرآن والتعليم والتعلم ونحو ذلك، ولا أقل من السكوت حتى لا يوجب ذلك ارتكاب محرم كالغيبة ونحوها.
ومن المعلوم إن دوام التوجه إلى الله سبحانه وتعالى في كل الحالات، يوجب قرب الإنسان إلى الله وقضاء حوائجه وسعة رزقه وارتفاع منزلته، فقد قال سبحانه: ((فَادْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ)) (٤).

والنفس إذا تلونت بذكر الله سبحانه وتعالى كانت مهبط الملائكة، كما أن النفس إذا تلونت بلون الشياطين

١- بحار الأنوار: ٢٠/٢١ ب ١١.

٢- ثواب الأعمال: ١٨٥ ط بيروت.

٣- ثواب الأعمال: ١٨٥ ط بيروت.

٤- البقرة: ١٥٢.

كانت مهبطاً للشياطين، فإن النفس مثلها مثل الإناء، الذي يمكن أن يملأ خمراً أو عسلاً.
وفي القرآن الحكيم إشارة إلى الأمرين معاً، حيث قال سبحانه: ((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ * نَزَّلُوا عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَاذِبُونَ)) وقال تعالى في قبال ذلك: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ)) (١).

أهل بيتي

(أهل بيتي)

معنى (أهل البيت) وإطلاقته

مسألة: يستحب وقد يجب - كل في مورده - ابلاغ الناس بأن الأربعة الأطهار: علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وخاصته وحامته، دون غيرهم. وبين (الخاصة) التي تخص الإنسان، و (الحامة) التي بينها وبين الإنسان الحرارة والألفة، عموم من وجه. ثم لا يخفى إن (أهل البيت) له إطلاقان (١): أحدهما: يشمل الرسول (صلى الله عليه وآله). والإطلاق الآخر: لا يشمل (صلى الله عليه وآله). وفي المقام: لا يشمل الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنه هو القائل: (أهل بيتي)، أما في آية التطهير (٢) فيشمل الرسول (صلى الله عليه وآله) أيضاً، وهذا متعارف عند العرب. ومثله: آل، فقد يقول: آل الرسول ويراد به غير الرسول، وقد يراد به حتى الرسول أيضاً، ويؤيده قوله سبحانه: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)) (٣) مع وضوح ان إبراهيم وعمران (عليهما السلام) كانا داخلين أيضاً. وفي آية أخرى: ((ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) (٤) حيث يشمل فرعون أيضاً. ولقد صرح الرسول (صلى الله عليه وآله) في موارد متعددة بأن هؤلاء الأربعة (عليهم السلام) هم أهل بيته، كي لا يتوهم شموله لنسائه أو سائر من كان في تلك البيوت كالخدم. كما أن أهل البيت يشمل سائر المعصومين إلى الحجة المهدي (صلوات الله عليهم أجمعين) بدلالة متواتر الروايات، والتي منها ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة التي تقرأ عند مرقد كل إمام: (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة).

وحال ذلك حال قوله سبحانه: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

١- وهنالك إطلاق ثالث ستأتي الإشارة إليه.

٢- الأحزاب: ٣٣ ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)).

٣- آل عمران: ٣٣.

٤- غافر: ٤٦.

وَهُمْ رَاجِعُونَ)) (١) حيث إن الأدلة دلت على أن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) أيضاً أولياء للمؤمنين، فلا ينافي ذلك الحصر (٢)، والكلام في هذا المبحث طويل موكول إلى كتب الكلام (٣).

ولا يخفى إن مثل زينب وأم كلثوم أو إبراهيم بن رسول الله، وعلي الأكبر والعباس (عليهم الصلاة والسلام) وأمثالهم داخلون في (أهل البيت) بالمعنى العام، لا بالمعنى الخاص الذي ينحصر في المعصومين (عليهم السلام) فقط.

١- المائدة: ٥٥.

٢- إذ الحصر إضافي.

٣- يراجع: كفاية الموحدين، حق اليقين، إحقاق الحق، كشف الحق، ونهج الصدق، عوالم العلوم والمعارف والأحوال، البحار مبحث الإمامة، العبقات، شرح التجريد وغيرها.

وخاصتي وحامتي

(وخاصتي)

تعميم الأدعية

مسألة: يستحب تعميم الصلوات وغيرها من الأدعية على أهل بيته (صلى الله عليه وآله) أجمعين، لأنهم خاصته (صلى الله عليه وآله) كما قال (صلى الله عليه وآله): (وخاصتي) والمتعارف أن الهدايا تبعث للرجل وخاصته.

(وحامتي)

من هم الحامة؟

حامة النبي (صلى الله عليه وآله) الواقعيون وبالمعنى الدقيق للكلمة هم: علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) حيث خصهم بالذكر في هذا المقام الهام، وهو مقام مناجاته (صلى الله عليه وآله) ربه، ولو كان آخر معهم للزم ذكره، مع ملاحظة أهمية المقام وكون المناجي هو النبي (صلى الله عليه وآله) والمناجي هو الله سبحانه وتعالى.

ومن المعلوم إن: (حمي) غير (حم) وهذه المادة من: (حمم) لا من (حمي) وقد ذكرنا وجه ذلك، وإن الحامة هم الذين بينهم علاقة خاصة (١)، ومنه (الحميم) حيث يطلق على القريب الذي له علفة وحرارة خاصة مع صديقه، لا على كل صديق.

١- في لسان العرب: (الحامة): خاصة الرجل من أهله وولده، و(الحميم): القريب الذي توده ويودك.

لحمهم لحمي ودمهم دمي

(لحمهم لحمي ودمهم دمي)

التذكير بوشائج القربى

مسألة: يستحب التذكير بوشائج القربى، مما يوجب تزايد المحبة بين الأقرباء، كما قال (صلى الله عليه وآله): (لحمهم لحمي ودمهم دمي).

وإنما كان لحمهم (عليهم السلام) لحمه (صلى الله عليه وآله) ودمهم (عليهم السلام) دمه (صلى الله عليه وآله) لأنهم خلقوا نوراً واحداً ومن أصل واحد، ثم فرقوا بهذه الصورة، كما يدل على ذلك جملة من الروايات كقوله (صلى الله عليه وآله): (خلق الله الناس من أشجار شتى وخلقني وأنت [يا علي] من شجرة واحدة) (١). واللحم والدم من باب المثال، وإلا فالعظم والعصب والعرق وسائر الأجزاء أيضاً كذلك، للملاك وللقطع، حسب الروايات.

هذا بحسب المعنى ويلحظ أصل الخلقة، وأما بحسب المادة والتسلسل الجسمي الظاهري، فإن لحمهم (عليهم السلام) ودمهم أيضاً، نابت من لحم الرسول (صلى الله عليه وآله) ودمه، لأن الولد من الماء المتكون من الدم الجاري في العروق والممتزج باللحم، وهو منشؤه أيضاً، فكلهم (عليهم السلام) منه (صلى الله عليه وآله). كما يدل على ذلك روايات أخرى، مثل قول الصادق (عليه السلام) لأبي حنيفة، حيث قبل عصا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مثييراً إلى يده (عليه السلام) قانلاً: (هذا لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله)).

يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم

(يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم)

دفع الأذى عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يجب دفع ما يؤلم، ودفع ما يوجب الحزن عن أهل بيته (صلى الله عليه وآله) لقوله: (يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم).

وإطلاقه يشمل حال حياته ومماته كحال حياتهم ومماتهم، إذ لا فرق بين الحاليتين فيهم (عليهم صلوات الله وسلامه) (١).

ومما يوجب حزنهم وأذاهم، دون شك، انتهاك حرمة الله والتجري على معصيته وخرق قوانينه ودماسيره. والإيلام والأحزان بالنسبة إلى الروح واضح، لأن الجماعة الواحدة، والذين توجد بينهم أواصر قرابة أو صداقة، يؤلمهم ما يؤلم أحدهم، ويحزن أحدهم ما يحزن الآخرين، نظراً للرابطة العاطفية والمشاركة الوجدانية التي جعلها الله سبحانه وتعالى في أمثال هذه الموارد.

ولكن هل الإيلام شامل لأجسادهم أيضاً، بأن يكون ألم أحدهم (عليهم السلام) موجباً للألم في جسم الرسول (صلى الله عليه وآله)؟

ذلك محتمل، فإن الارتباط القوي بينهم حسب الخلقة يقتضي ذلك (٢)، كما أن الارتباط بين البدن الواحد يقتضي تألم سائر الأعضاء بألم عضو ذلك، لكنه خلاف الإصراف، إذ المنصرف من التألم، التألم الروحي والنفسي، فتأمل.

مشاطرة العائلة همومهم وأحزانهم

مسألة: يستحب أن يشارك كبير العائلة أفراد أسرته في آلامهم وأحزانهم لقوله (صلى الله عليه وآله): (يؤلمني... وكذلك بالنسبة إلى الأفراح للملاك).

١- إذ لاشك مثلاً في أن قتل الإمام الحسين ((عليه السلام)) أوجب أشد الحزن والألم على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وذلك لما دلت عليه الروايات بل والآيات ((بل أحياء عند ربهم يرزقون)).

٢- وقد ثبت علمياً بل شوهدت في الخارج موارد كان شدة الارتباط العاطفي بين الطرفين سبباً لتألم أحدهما بتألم الآخر جسدياً.

ولم يصف (صلى الله عليه وآله) (ويفرحني ما يفرحهم) ههنا، لأنه (صلى الله عليه وآله) في مقام دفع الآلام عنهم (١)، وفي بعض الأحاديث حيث لم يكن الكلام في هذا المقام، فقد تم ذكر الأمرين معاً، حيث قال الإمام الصادق (عليه السلام): (شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولا يتنا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا)(٢).

ما هو ماء الولاية؟

ولا يخفى إن الخلقة من فاضل طينتهم (عليهم السلام) حقيقي، كما صرحت بذلك الروايات (٣)، وهل الأمر كذلك بالنسبة إلى ماء الولاية، أو أن ذلك من المجاز تشبيهاً للولاية بالماء الذي جعل الله منه (كل شيء حي)؟ احتمالان.

فإذا كان من الثاني فهو من قبيل قول الشاعر: (لا تسقني ماء الملام)

ومن قبيل قوله سبحانه: ((وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)) (٤).

ويؤيد ذلك ما دل على: إن الأرواح جنود مجندة (٥)، وما دل على: إن القلب يهدي إلى القلب.

وقد اكتشف العلم الحديث إن للقلب (٦) والفكر تموجات تؤثر سلبياً أو إيجابياً على الآخرين - في ظروف معينة - (٧).

ولهذا أسست مدارس في يومنا هذا للإيحاء النفسي وغسل الأدمغة بسبب الأمواج الفكرية والإيحاء وشبه ذلك، كما لا يخفى على من راجع بعض الكتب الصادرة في هذا المجال.

١- ربما يعلل أيضاً بكون ذلك تمهيداً لطلبه منه سبحانه (الصلوات والرحمة والبركات عليهم) فهو أدعى لذلك عرفاً، وربما يكون السبب الإشارة الرمزية إلى أن حياتهم مستغرقة عادة بالآلام والأحزان (المؤمن مبتلى) [وسائل الشيعة: ٢٥٥/١٤ ب ١٨ ح ٨] و(إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه) [تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٤ ط قم] و(حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) [بحار الأنوار: ٧٨/٧٠ ب ٤٦ ح ١٢] وكذلك حياة الذين نذروا أنفسهم في سبيل الله سبحانه يضحون بالغالي والرخيص في سبيله تعالى.

٢- صدر الرواية في بحار الأنوار: ٣٠٣/٥٣ الحكاية ٥٥ ط طهران.

٣- راجع عوالم العلوم: ج ١١ ص ١٨ ب ٢ ح ٦ ط ٢. تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عج).

٤- الإسراء: ٢٤.

٥- نهج الفصاحة: ٢١٣ ح ١٠٥٢ ط طهران.

٦- قد يكون المراد به مركز العاطفة، لا هذا العضو الصنوبري.

٧- فهي كأموج الإذاعة مثلاً في كونها غير مرئية وبحاجة إلى جهاز استقبال، وبذلك يفسر أيضاً توارد الخواطر.

أنا حرب لمن حاربهم

(أنا حرب لمن حاربهم)

مواجهة أعداء آل الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: تجب محاربة من حارب أهل البيت (عليهم السلام)، كما يستفاد من هذا المقطع، حيث إن من حارب علياً أو فاطمة أو الحسن أو الحسين (عليهم الصلاة والسلام) فقد حارب رسول الله، لقوله (صلى الله عليه وآله): (أنا حرب لمن حاربهم) ومن الواضح حكم محاربة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد قال (صلى الله عليه وآله): (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) (١).
وكما تجب محاربة من حارب أهل البيت (عليهم السلام) بأجسادهم، تجب محاربة من حاربهم في أفكارهم ومناهجهم.

١- تفسير القمي ٥٣٣: في تفسير الآية ٥٧ من سورة الأحزاب ط حجرية ١٣١٣.

وسلم لمن سألمهم

(وسلم لمن سألمهم)

مناصرة أولياءهم (عليهم السلام)

مسألة: يجب أن يكون الإنسان مسلماً لمن سالم أهل البيت (عليهم السلام) كما كان الرسول (صلى الله عليه وآله) كذلك.

تحقيق في معنى العداة والمسالمة

والمراد المسالمة لهم - أي من سالمهم (عليهم السلام) - من حيث هو مسالم لهم وبهذا اللحاظ، فلا يقتضي ذلك عدم وقوع التنازع بحيث آخر، ومن جهة ثانية (كالتنازع في دين أو ميراث أو شبه ذلك). كما أن إطلاق الجملة السابقة، يقتضي وجوب أن يحارب الإنسان من حارب أهل البيت (عليهم السلام) من غير فرق بين من حاربهم عسكرياً أو إعلامياً أو سائر أقسام الحروب، وكذلك في السلم، لإطلاق الجملتين ولا انصراف، ولو فرض فالملاك والقرانن المقالية والمقامية تقتضي التعميم. ومن المعلوم إن من حارب بعضهم (عليهم السلام) كان كالمحارب لكلهم، ولكن المسالم لجميعهم يكون مسلماً لهم، فليست الجملتان على غرار واحد في المحاربة والمسالمة. والالتزام بأن حرب بعضهم، حرب لجميعهم، لما دل على أنهم نور واحد، فمن أنكر أحدهم، فقد أنكر جميعهم، وكذلك حال الأنبياء (عليهم السلام) فمن أنكر نبياً من الأنبياء كان كالمنكر لجميعهم، وهكذا حال صفات الله سبحانه وتعالى، حيث إن من أنكر صفة واحدة كان كإنكار الجميع. وبذلك يظهر الجواب عن سؤال السائل: ما هو الفرق بين الحرب والسلم؟ حتى عدت الحرب لبعضهم أو في جهة من جهات أحدهم حرباً لهم، لكن السلم لا يكفي فيه إلا السلم لجميعهم في جميع الخصوصيات؟ ونضيف توضيحاً لذلك مثلاً:

فإن الحرب كالحالة المرضية، والحالة المرضية تتحقق ولو بتسرب جرثومة خبيثة واحدة إلى الجسم، بينما السلم كالحالة الصحية، والصحة لا تتحقق إلا بتوفر كافة العوامل وطرده كل الأوبئة والجراثيم، وكذلك (الحصن) فإنه يسلم من فيه بسد كل ثغوره وخلله وفرجه، بينما يهلك من فيه فيما إذا استطاع العدو فتح ولو ثغرة واحدة فيه.

وعدو لمن عاداهم

(وعدو لمن عاداهم)

معاداة أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة: تحرم معاداة أهل البيت (عليهم السلام).

ولا يخفى إن العداء غير الحرب، لأن العداء حالة نفسية قلبية، وإن تعدت إلى الجوارح، أما الحرب فلا تطلق إلا على حركة الجوارح، بطريقة معينة، ولذا قال (صلى الله عليه وآله) في مقابل ذلك: (ومحب لمن أحبهم)، حيث إن الحب أمر قلبي وإن تعدى إلى الجوارح أيضاً. وحيث كانت العلاقة بين العداوة والمحبة علاقة الضدين اللذين لهما ثالث، وكان من الممكن أن لا يكون إنسان بالنسبة إلى إنسان معادياً ومع ذلك لا يكون محباً، لذلك أضاف (صلى الله عليه وآله): (ومحب لمن أحبهم).

تعاضد الأرحام

مسألة: يلزم أن يكون الأقرباء - من باب أنهم من أجلى المصاديق وأهمها - يداً واحدة على أعدائهم فيما كانت العداوة بحق، كما قال (صلى الله عليه وآله): (أنا حرب لمن حاربهم... وعدو لمن عاداهم). وذلك من مستلزمات نصرته المسلم وهو من لوازم الإيمان، سواء كانت العداوة لأمر ديني أو لحق شخصي، كمن غصب مال أحدهم، فيكونوا يداً واحدة عليه حتى يرد المال، وهكذا وهلم جرا. ومن الواضح إنه لا يصح نصرته القريب أو نحوه بالباطل، وقول النبي (صلى الله عليه وآله): (انصر أخاك ظالماً ومظلوماً) (١) ويراد بالأول: كفه عن الظلم، لأنه نصرته له في الدنيا (٢) والآخرة، كما فسر بذلك في بعض الروايات.

وخصوصية الأقرباء أنهم أولى بالمعروف، وإلا فالمسلمون ينصر بعضهم بعضاً وإن كانوا بُعداء. إضافة إلى أن العائلة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإذا غرست فيها معاني التعاضد والتعاون بالحق كان سبباً لتربية المجتمع على ذلك أيضاً.

١- نهج الفصاحة: ١١١ ح ٥٦١ ط طهران.

٢- لما للظلم من الأثر الوضعي والعواقب الوخيمة على الظالم وذريته في هذه الدنيا.

(ومحب لمن أحبهم)

(ومحب لمن أحبهم)

محبة أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة: تجب محبة أهل البيت (عليهم السلام) (١) تحصيلاً لحب النبي (صلى الله عليه وآله) لقوله (صلى الله عليه وآله): (ومحب لمن أحبهم).

كما يلزم حبهم (عليهم السلام) أيضاً لذواتهم، فأحدى المحبتين طريقتية والأخرى موضوعية ذاتية، ويوضح ذلك ما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) بالنسبة إلى عقيل: (إني أحبه حبين: حباً له وحباً لحب أبي طالب له) (٢).

ثم لا يخفى إنه لا يصح الاكتفاء بمحبتهم (عليهم السلام) عن الإمتثال لأوامرهم، والتي هي أوامر الله سبحانه وتعالى، فإن المحب الحقيقي هو الذي يتوخى رضى المحبوب ويلتزم بمنهجه ويطيع سيده في كل أعماله، ولذلك ورد:

(تعصي الإله وأنت تظهر حبه*** إن المحب لمن أحب مطيع)

ولا ينفع حبهم (عليهم السلام) بدون الإطاعة والعمل إلا نفعاً في الجملة، كما ذكر في الروايات، ففي الحديث: (إن وليّ محمد (صلى الله عليه وآله) من أطاع الله وإن بعدت لحمته وإن عدو محمد (صلى الله عليه وآله) من عصى الله وإن قربت قرابته) (٣) و (أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه) (٤).

وفي ذلك بحث مفصل في علم الكلام، فإن الإيمان مركزه الجوارح واللسان والقلب، ويجب أن يتجلى عليها كلها - حسب المقرر في الشريعة - وهكذا أمثال الحب.

المحبة ودورها في التكوين والتشريع

مسألة: يستحب، وقد يجب، تكوين وإنما المحبة السلمية المشروعة، فإن المحبة هي المحرك الأكبر نحو

١- الأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، فليراجع: إحقاق الحق والغدير والعوالم وكفاية الموحدين وغير ذلك.

٢- بحار الأنوار: ٢٢/٢٨٨ ب ٥ ح ٥٨.

٣- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٢٤ ط قم.

٤- وسائل الشيعة: ١١/٢٤٦ ب ٤٣ ح ٦.

الفضائل، فمحبة الله سبحانه هي التي تبعث على إطاعة أوامره ((وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)) (١)، وكذلك محبة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وكذا الصالحين، ومحبة الدخول في الجنة، ومحبة الذكر الحسن ((وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)) (٢) وهكذا.

ولذلك ورد في الحديث الشريف: (الدين الحب) و (هل الدين إلا الحب)؟ (٣) وغير ذلك.

إضافة إلى أن الحب تدور عليه رحى الحياة، فالأم والأب يعتنيان بالأولاد وتربيتهم نتيجة للمحبة، وكذلك اكتساب التاجر معلول لمحبتة لنفسه وأسرته، وكذلك الزراع يزرع، والطالب يكتسب العلم، إلى غير ذلك، كله للحب، حتى إذا فقد الحب من العالم انهدم العالم.

فاللزام أن يكون الإنسان الحب وينميه، حتى يكون في خط الكون - الذي خلق بالحب وللحب - وحتى يكون في خط الدين.

لكن ما معنى إن الكون خلق للحب وبالحب؟ وأن به قوامه؟

يتضح ذلك بمثال: فكما أن النور والجاذبية ونحوهما قوام الكون، فإذا فقدنا انهدم الكون، قال سبحانه: ((إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)) (٤) كذلك - بل وفي رتبة سابقة - المحبة، فإنها هي الباعث لإيجاد هذا الكون، وأعني: محبة الله سبحانه لإظهار ذلك الكنز الخفي (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) (٥) ومحبتة جل وعلا لهؤلاء الخمسة (صلوات الله عليهم أجمعين) كما سيأتي قريباً في قوله تعالى: (إني ما خلقت سماءً مبنية و... إلا في محبة هؤلاء الخمسة...): ويدل عليه كثير من الروايات الأخرى.

وحب الله تعالى معناه ما ذكره من (خذ الغايات واترك المبادئ) كسائر ما ينسب إليه من الصفات من أمثال الغضب والسمع والبصر وشبه ذلك، فالكون كمائدة يهينها المضيف للضيف، من جهة حب المضيف للضيف. ولماذا هذا الحب من الله تعالى؟

لأنهم (عليهم السلام) أكمل خلق الله سبحانه، ولأن المخلوق محبوب للخالق، ولأنهم أكثر خلق الله له طاعة وحباً (٦).

وقد اتضح بذلك إن الكون يدور على رحى المحبة، كما اتضح في صدر هذا البحث أن الدين أيضاً كذلك (٧).

ونضيف أن كون (الدين الحب): باعتبار أن محبة الله وأوليائه (٨) هي النواة المركزية للدين، حيث إن العلة

١- البقرة: ١٦٥.

٢- الشعراء: ٨٤.

٣- مستدرک الوسائل: ٢١٩/١٢ ب ١٤ ح ٥.

٤- فاطر: ٤١.

٥- بحار الأنوار: ١٩٩/٨٧/ب ١٢ ح ٦ (بيان).

٦- سيأتي بعض الكلام حول ذلك في مبحث (الغاية من الخلقة).

٧- حيث ذكر (إن المحبة هي المحرك الأكبر نحو الفضائل).

٨- بالإضافة لها معنيان ههنا، وكلاهما مفيد ومراد ولو بنحو الجامع، فد (محبة الله) أي محبة الإنسان - مثلاً - لله تعالى (محبة الله) أي محبة الله للإنسان، إذ بالإضافة تكون تارة للفاعل وأخرى للمفعول، فمحبة الله للإنسان

الغاية للدين هي ذلك، وحيث شرعت الأحكام كلها حول هذه النواة، قال سبحانه: ((وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ))
(١) وقال تعالى: ((إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) (٢) وهي العلة الأساسية للتمسك بالدين، ومن أراد المزيد فعليه
بالمفصلات.

سبب لتشريعه الأحكام التي توجب سعادته في الدنيا والآخرة، ومحبة الإنسان لله لالتزامه بدساتيره جلّ وعلا،
وهناك معنى ثالث: محبة الإنسان ليكون محبوباً لله، فليتأمل.

١- البقرة: ١٦٥.

٢- الشورى: ٢٣.

إنهم مني وأنا منهم

(إنهم مني وأنا منهم)

توثيق الترابط بين الأقرباء

مسألة: يستحب توثيق عرى الترابط بين الأقرباء، ومن طرق ذلك تعريفهم وتذكيرهم دوماً بأن بعضهم من بعض، خاصة إذا كانت لبعضهم منزلة رفيعة، فإن ذلك فيما إذا كانوا جميعاً على الدين والإيمان، يوجب تماسكهم وتعاونهم على الخير والتزامهم بصلة الرحم، وبالتالي يستلزم قوة هذا التجمع الصغير بل والمجتمع الأكبر نظراً لتشكله منه.

فإن التجمع قوة وكلما كان تماسكه أكثر كانت قوته أكثر، والمعرفة مقدمة للتجمع والتمسك والتعاون بشكل أقوى.

أما خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لله سبحانه: أنهم (عليهم السلام) منه، فإن ذلك من التخصع والأستعطاف والإلتماس، مثل أن يقول الفقير للغني: هؤلاء أولادي فتكرم عليّ وعليهم بالمال.

هذا بالإضافة إلى أن الأقرباء إذا عرفوا أنهم ينحدرون من كبير في العلم والفضيلة، حفزهم ذلك على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فإن الإنسان مندفع إلى طلب المعالي والترفع بذاته خصوصاً إذا عرف إن المنسوب إليه رفيع.

وهذا من أسباب ابتعاد أولاد الأئمة (عليهم السلام) وذويهم عن الدنيا وترفعهم عنها، بخلاف أولاد أمية والعباس ومن إليهما، إذ نجد في أولاد الأئمة (عليهم السلام) وإخوتهم وذويهم، إن معرفتهم بنسبهم أوجبت أن يرتفعوا عن الدنيا، ويتصفوا بكثير من المزايا.

وقد ذكرنا في بعض الكتب أن نسبة بعض الأمور الشاننة إلى أولاد الأئمة (عليهم السلام) لم يثبت منها ثبوتاً شرعياً، بحيث يبرأ الناسب شرعاً، وما ذكر في بعض الكتب لا سند له، نعم الثابت قصة ولدي آدم ونوح (عليهم السلام)، وذلك استثناء، إذ ما ذكرناه ليس على نحو العلية بل الإقتضاء الغالب ولذا ورد: (الولد سر أبيه).

الإحتمالات في معنى (إنهم مني وأنا منهم)

يمكن أن يكون المراد من قوله (عليه السلام): (إنهم مني وأنا منهم) أحد أمور (١): منها: إن خلقتهم (عليهم

١- قد يكون المقصود: إن كل واحد منها تمام المراد، وقد يكون المقصود كون كل واحد منها بعض المراد وأحد

السلام) كانت بسببه (صلى الله عليه وآله) كانت بسببهم (١)، كما قد يدل على هذا حديث (لولاك...)(٢) وتقريره: ان لولا النبي (صلى الله عليه وآله) لم يخلق الله تعالى الأفلاك ونظائرها، فلم يتيسر لأحد أن يحيا هذه الحياة، ولولا علي وفاطمة (سلام الله عليهما) لم يخلق الله تعالى النبي (صلى الله عليه وآله).

وبعبارة أخرى: إن الكون كمجموعة، بدون خلقته (صلى الله عليه وآله) وخلقتهم (صلى الله عليه وآله) ناقص، والله سبحانه لا يخلق إلا الكامل - كل في حده - بل لغو ونقض للغرض فليدقق، فلولا (صلى الله عليه وآله) لكان الكون ناقصاً، فلم يكن الله له ولهم (عليهم السلام) خالقاً، وبالعكس.

ومنها: المعنى الذي ربما يستظهر من قوله (صلى الله عليه وآله): (حسين مني وأنا من حسين)، لذا قالوا: الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، وكذلك قد يراد بـ (إنهم مني وأنا منهم) ذلك.

ومن المحتمل أن يراد بـ: (حسين مني وأنا من حسين)، المعنى الأول المذكور في قوله (صلى الله عليه وآله): (إنهم مني وأنا منهم) من التسبب في أصل الخلقة.

ومنها: إن الإعتبار الدنيوي والمكانة الدنيوية في القلوب والأفكار وغيرها لأهل البيت (عليهم السلام) من النبي وكذا ما للنبي (صلى الله عليه وآله) في الدنيا من المنزلة والذكر الحسن فهو من تضحيات أهل البيت (عليهم السلام) ونتيجة تفتانهم في سبيله وسبيل دينه.

ومنها: ما سبق، ولكن بلحاظ الآخرة.

ومنها: بالناظرين معاً وغيرهما أيضاً، ويؤيد هذا المعنى: الجمل السابقة على هذه الجملة (ان هؤلاء).

ومنها: إن هذه عبارة عرفية، تدل على شدة الترابط والتماسك بينه (صلى الله عليه وآله) وبينهم (عليهم السلام)، وترمز إلى إن ما يصيبه يصيبهم وما ينفعه ينفعهم وبالعكس، ونظيره ما يقوله الملك أو الحاكم لشعبه: أنا منكم وإليكم.

فقوله (صلى الله عليه وآله): (إنهم مني وأنا منهم) يأتي مؤكداً للجمل السابقة، وشدة الارتباط والقرب بينه (صلى الله عليه وآله) وبين أهل بيته (عليهم السلام) أوضح من الشمس، وهي تتجلى في القرب المادي النسبي والقرب الروحي والمعنوي والفكري والقرب في المنشأ لأنهم كلهم (عليهم السلام) من نور واحد، ولذا قال (صلى الله عليه وآله): (خلق الله الناس من أشجار شتى وخلقني وأنت [يا علي] من شجرة واحدة)(٣).

ومنها: إن الخلقة لولا خلقة النبي (صلى الله عليه وآله) لم تدل على كمال الخالق، فلولا (صلى الله عليه وآله) (صلى الله عليه وآله) لم يخلق الله تعالى الخلق، إذ أنه حينئذ سيدل على عدم كمال قدرته، كالبناء الماهر لا يبني الدار الناقصة لدلائها على عدم كماله(٤).

المصاديق وهذا أرجح بالنظر إلى سياق الحديث كله وإلى إطلاقه، وإلى القرانن المقامية والمقالية الأخرى، إضافة إلى أن نظر المصنف هو ذلك كما يظهر من استنباطه اللاحق.

١- قد يكون المقصود: بنحو الدور المعني، وقد يمثل لذلك بالمتضايقين كالمتوازيين والأخوين (متوافقين كانا أم متخالفين).

٢- عوالم العلوم: ٢٦/١١ ب ٣ ح ١.

٣- بحار الأنوار: ١٩/١٥ ب ١ ح ٣٠.

٤- الفرق بين هذا وما سبق، إن هذا بلحاظ مرحلة الإثبات، وذلك بلحاظ مرحلة الثبوت.

الولاية التشريعية والتكوينية (١)

يستنبط (٢) من قوله (صلى الله عليه وآله): (إنهم مني وأنا منهم): ثبوت الولاية التشريعية والتكوينية لأهل البيت (عليهم السلام)، إضافة إلى وجود الأدلة الكثيرة الدالة على ذلك.

فالولاية التشريعية بمعنى: أن بأيديهم (عليهم السلام) التشريع. والتشريع فيهم يعني نفس ما يعنيه الحديث الشريف الوارد فيه (صلى الله عليه وآله): (إن الله أدب نبيه على أدبه ففوض إليه دينه) (٣)، على تفصيل ذكره السيد عبد الله الشبر (قدس سره) وغيره في كتبهم (٤) وقد ألمعنا إليه في بعض الكتب الفقهية.

وأما الولاية التكوينية فبمعنى: أن لهم (عليهم السلام) أن يتصرفوا في الكون بإذنه سبحانه، بل هم (عليهم السلام) يتصرفون بإذنه تعالى، كما يتصرف عزرائيل بإذنه سبحانه في الإمامة، وكذلك بالنسبة إلى بعض الملائكة حيث قال سبحانه: ((فالمُذَبَّرَاتِ أُمَرَاءُ)) (٥).

وفي الحديث القدسي: (عبدني أطعني تكن مثلي أو مثلي، أقول للشيء: كن فيكون وتقول للشيء: كن فيكون) وهذا يمكن تحققه بالنسبة إلى الطبقة العادية من الناس، فكيف بهم (عليهم السلام) وهم من المعدن الأسمى والجوهر الأعلى؟ كما قال (صلى الله عليه وآله): (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة) (٦)، وفي قصة عيسى (عليه السلام) دلالة على ذلك حيث كان يبرأ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله سبحانه وتعالى، وهم (عليهم السلام) أفضل من عيسى (عليه السلام) لما ورد من أن عيسى (عليه السلام) يصلي خلف الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) (٧)، بالإضافة إلى الروايات المتعددة والتي تعد من ضروريات مذهبنا، وقد أشرنا إلى هذا المبحث في مقدمة الكتاب.

- ١- حول هذا المبحث راجع (الفقه: البيع الجزء الرابع) و(شرح التجريد) للمؤلف.
- ٢- نظراً لإطلاقها، بل ودلالاتها على (الوحدة)، وإذا تعذرت الحقيقة (الوحدة الذاتية) فستكون بلحاظ الصفات والآثار جميعاً باعتباره أقرب المجازات.
- ٣- بحار الأنوار: ٣٤٢/١٠٤ ب ٥ ح ٤.
- ٤- يراجع: نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي (قده)، وكفاية الموحدين، وإحقاق الحق للتستري (قده) وغيرها.

٥- النزاعات: ٥.

٦- الكافي: ١٧٧/٨ ب ٨ ح ١٩٧.

٧- راجع الخصال: ٣٢٠/١ ح ١ باب الستة ط قم.

(فاجعل)

(فاجعل)

التمهيد للدعاء

مسألة: يستحب أن يقدم على الدعاء ما يوجب الاستجابة، كذكر أسماء المعصومين (عليهم السلام) والتوسل بهم، كما قدم الرسول (صلى الله عليه وآله) ما قدم ثم قال: (فاجعل صلواتك...) فإن التوسل بأهل البيت (عليهم السلام) وجعلهم شفعاء بين يدي الدعاء، يوجب استجابة الدعاء، كما دل على ذلك جملة من الأدلة، وفي بعض الأحاديث، إن تقديم الصلاة عليهم (عليهم السلام) على الدعاء والحاقها به أيضاً (أي الصلاة قبل الدعاء وبعده) يوجب الإستجابة، وفي رواية: (الصلوات ثلاث مرات كما ذكرنا ذلك في كتاب (الفقه: الآداب والسنن)).

فإن ذكر المحبوب مع طلب الحاجة، يوجب إقبال الغير على السائل، والله سبحانه وتعالى يقبل على عبده، إذا افتتح دعاءه بالصلاة على محمد وآل محمد، واقباله تعالى ليس بالمعنى العرفي الحسي وشبهه، بل من باب: (خذ الغايات وارك المبادئ)، كما ذكروا بالنسبة إلى صفاته سبحانه التي هي من قبيل الغضب والرضى والحب والسمع والبصر أو ما أشبه ذلك، وقد روي أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يفتتح دعاءه بالصلاة عليه وآله، إذ لا منافاة بين رفعة المقام وبين جريان سنن الله التشريعية على الرسول (صلى الله عليه وآله) كما تجري السنن التكوينية عليه.

(صلواتك)

(صلواتك)

الصلوة على النبي والله (عليهم السلام)

مسألة: يستحب الصلاة على النبي وأهل بيته (عليهم السلام) كما قال (صلى الله عليه وآله): (فاجعل صلواتك عليّ وعليهم).

والمراد بالصلوات: العطف والحنان، ولذا يسمى أحد المتسابقين بالمصلي، فإن الإنسان يعطف إلى نحو الله سبحانه وتعالى في صلواته (١) والله سبحانه وملائكته يعطفون على الإنسان في صلواتهما عليه. ومن الواضح أن عطف الله سبحانه وتعالى إنزال فضله ولطفه. قال الشاعر:

(صلت على جسم الحسين سيوفهم* فغدا لساجدة الظبي محرابا)(٢)

ولعل قوله (صلى الله عليه وآله): (فاجعل صلواتك) حيث جاء بالجمع ولم يقل: (صلاتك) كان من جهة اختلاف أنحاء العطف، كالعطف المعنوي والعطف المادي والعطف في الدنيا والعطف في الآخرة إلى غير ذلك.

١- فالصلاة لله بمعنى العطف والميل نحوه تبارك وتعالى.

٢- أي: نزلت على جسمه ((عليه السلام)) وعطفت نحوه.

وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك

(وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك)

التنوع في الدعاء

مسألة: يستحب تنوع الدعاء وتعدد ما يطلبه من الحوائج وعدم الإقتصار على دعاء واحد، ولذا لم يكتف النبي (صلى الله عليه وآله) بواحدة منها، لاختلاف معاني هذه الكلمات.

فالصلاة: هي العطف.

والبركة: الثبات والإستمرار.

والرحمة: هي الإفاضة.

والغفران: الستر، لأن للممكن - بما هو ممكن - نواقص وقصوراً، ولذا ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (وإنه ليُران على قلبي) (١) مما هو لازم الممكن والأفهم (عليهم السلام) في أرفع درجات العصمة والكمال، ومن هذه الجهة كان النبي (صلى الله عليه وآله) يستغفر كل يوم سبعين مرة من غير ذنب. والرضوان: عبارة عن رضاه سبحانه وتعالى، وقد ذكرنا: إن الرضا عبارة عما ذكره بقولهم: خذ الغايات واترك المبادئ، لأن الله سبحانه وتعالى ليس محلاً للحوادث.

ولعل الإتيان بالجمع في بعض الجمل، والإفراد في بعض الجمل - مع إمكان تصور كل واحد من الجمع والإفراد في كل الجمل - للتعفن في العبارة فإنه من أقسام البلاغة كما نجد ذلك بوفرة في القرآن الحكيم وفي كلماتهم (صلوات الله عليهم) وفي كلمات البلغاء.

وخطاب الله سبحانه وتعالى بصيغة المفرد لا بصيغة الجمع لنلا يتوهم اشتراك غيره معه في ذلك المقام (٢) كما في الإنسان حيث إنه يشاركه غيره وإنما قال سبحانه: ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) (٣) بصيغة

١- بحار الأنوار ٤٤/١٧ ب ١٥.

٢- ربما يكون المراد بـ(في هذا المقام) الإشارة إلى دفع توهم (إن الملائكة أيضاً يصلون على النبي (صلى الله عليه وآله)) (إن الله وملائكته يصلون على النبي)) [الأحزاب: ٥٦].. فأجاب بقوله: (في هذا المقام) إلى أن خصوصية مقامهم (عليهم السلام) وهم تحت الكساء، كان مقام الإفاضة المباشرة منه تعالى وقد طلب الرسول (صلى الله عليه وآله) في مقامه ذلك أسمى مراتبها وأعلى درجاتها، فافتضى ذلك طلب ما هو منه جل وعلا مباشرة، إضافة إلى أن بعض الدعوات الأخرى قد يقال باختصاص طلبها منه تعالى فتأمل.

٣- الحجر: ٩.

الجمع إشارة إلى إشراكه سبحانه وتعالى الملائكة في إنزال الكتاب، ويمكن أن يكون وجهه غير ذلك مما ذكر في علم الكلام والبلاغة.

عليّ وعليهم

(عليّ وعليهم)

الدعاء لأهل البيت (عليهم السلام)

مسألة: يستحب الدعاء لأهل البيت (عليهم السلام) بهذه الكلمات التي دعى بها (صلى الله عليه وآله) (فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعليهم).

ولا يخفى إنهم (عليهم السلام) يمتازون بصلوات ورحمة وبركة وغفران ورضوان، خاص من الله سبحانه لا يشاركونهم فيها أحد من الأولين والآخرين.

والرسول (صلى الله عليه وآله) خصهم (عليهم السلام) بهذا الدعاء، مع أنه يستحب الدعاء للجميع لذلك، ولأن المقام يقتضيه، إذ هناك فرق بين المقامات وهذا المقام الذي اجتمع فيه هؤلاء الأطهار (عليهم السلام) يقتضي الاختصاص (١).

وتقديم (علي) باعتبار أنه (صلى الله عليه وآله) أفضلهم، ومن المعلوم إن تقديم الأفضل أولى (٢). وقد قلنا في مبحث آنف: إن الإتيان بلفظ (علي): (دون) اللام للنفع - من جهة إفادة انغماسهم (عليهم السلام) من الرأس إلى أخصم القدم في هذه البركات.

ويمكن أن يكون الوجه، لأن الرحمة وأشباهاها تنزل من فوق، وقد سئل عليّ (عليه الصلاة والسلام) لماذا يرفع الإنسان يده إلى السماء في الدعاء؟ فأجاب (عليه السلام) بأحد المصاديق قائلًا: لقوله سبحانه: ((وفي السماء رزقكم وما تُعدّون)) (٣) والسماء محل نزول الرحمة والعذاب.

ومن الواضح أن الله تعالى ليس له مكان أو جهة، إلا أن التوجه إلى الأعلى لذلك، وربما يضاف: إن التوجه للأعلى أدعى للخشوع والخضوع وأكثر دلالة على الإجلال والإكبار والاحترام (٤) كما يجد الإنسان ذلك من نفسه وفي تصرفاته وتصرفات غيره.

١- لأنه لذلك أوجد، ولاجله تكوّن.

٢- وقد سبق من الإمام المؤلف بيان جهة أخرى لذلك أيضاً.

٣- الذاريات : ٢٢.

٤- وربما لذلك جعل الله السماء محل نزول الرحمة والتقدير، ولكي ينسجم مع طبيعة الإنسان وفطرته.

وأذهب عنهم

(وأذهب عنهم)

علّة تخصيصهم بالدعاء هنا

قد يكون السبب في قوله (صلى الله عليه وآله): (عنهم) دون (عني وعنهم) مع أنه (صلى الله عليه وآله) بالنسبة إلى (صلوات الله وبركاته ورحمته و) قال: (عليّ وعليهم) الإشارة إلى أسبقية اتصافه (صلى الله عليه وآله) بالعصمة ولو رتبة. (١)

وربما يكون السبب إرادة تلاوة شبه الآية الشريفة والتي لا يبعد أن يراد بها الأعم.

ومن المحتمل أن يكون وجه عدم ذكر نفسه (صلى الله عليه وآله) وذكرهم (عليهم السلام): أنهم محل توهم وتشكيك بعض الأمة دونه (صلى الله عليه وآله)، حيث إن كثيراً ممن لا يشك في عصمته (صلى الله عليه وآله) يشك في عصمتهم (عليهم السلام) إذ لا يعرف الجميع إن أهل البيت (عليهم السلام) معصومون إلا من كلماته (صلوات الله وسلامه عليه)، فكان ذلك مدعاة للتركيز عليهم.

١- ومن فوائد ذلك: كون هذا الطلب والدعاء صادراً عن المعصوم الذي لا ينطق ولا يصمت ولا يتحرك إلا بأمره سبحانه وإذنه، فيكون أقوى في الدلالة على عصمتهم (عليهم السلام) طلباً واستجابة.

الرجسَ

(الرجسَ)

بحث في معنى الرجس والعصمة

مسألة: يجب الإجتنب عن الرجس حدوثاً ورفعاً بقاءً، وقد يكون مستحباً، كلُّ في مورده، بالنسبة لكل فرد، واستفادة ذلك من هذه الجملة ((وأذهب عنهم الرجس)) لفهم الملاك منه (١) بل الأولوية من وجه، ولقرينة دليل الأسوة وغير ذلك.

و (الرجس) عبارة عن: القذارة والوساخة، سواءً القذارة المعنوية أم المادية، الشرعية منها والعرفية، مما يستقذره العرف ولا يعد في الشرع من النجاسات، وكذلك الوساخة في النفس نوعان: وساخة محرمة يجب إزالتها كوساخة الشرك.

وساخة مكروهة من الأفضل إزالتها كالجبن وما أشبه ذلك.

فاللام للجنس (في قوله (صلى الله عليه وآله): الرجس) فيكون دعاؤه (صلى الله عليه وآله) طلباً لإذهاب كل أنواع الرجس عنهم (عليهم السلام) الظاهر منه والباطن، الروحي والجسمي، المادي والمعنوي المحرم منه والمكروه (٢).

وهذا يدل على ما فوق العصمة، لأن العصمة عبارة عن الإعتصام عن الذنب والسهو والخطأ والنسيان والجهل وما أشبه ذلك، والإطلاق يدل على ما فوق ذلك، ويشمل حتى ترك الأولى، وقد ذكرنا في بعض الكتب الكلامية أنهم (عليهم الصلاة والسلام) منزهون عن ترك الأولى أيضاً.

بل قلنا ببراءة الأنبياء (عليهم السلام) من ترك الأولى، وإن نسب اليهم على قول مشهور، لكننا هناك نفينا ترك الأولى بالنسبة إلى الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً، وبيننا أن ما ظهر منهم من بعض الأعمال والآثار فإنما هو باب المقتضيات المخفية، مثلاً: في قوله سبحانه: ((عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)) (٣) المراد به المعنى المجازي (٤) لا

١- لتتقيح المناط القطعي.

٢- سواء كان رجساً في الفاعل (الرجس الفاعلي) أم في الفعل (الرجس الفعلي) كما عبر في نظيره بالمعصية الفعلية والفاعلية.

٣- طه: ١٢١.

٤- ربما يكون المراد: نظير الأوامر الإمتحانية، أو المراد: إن ما جرى كان شيئاً سورياً تمثلياً، وقد يكون مراده من (المقتضيات المخفية) ذلك.

الحقيقي، فإنه لم يكن عصيانياً - على ما حققناه - لا بالمعنى اللغوي ولا معنى ترك الأولى، وإنما كان مقدرًا من الله سبحانه وتعالى أن يفعل ذلك، حتى ينزل إلى الأرض، لأن آدم (عليه السلام) خلق للأرض (١) كما في قوله سبحانه: ((إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) (٢) وإنما أسكن أولاً في الجنة، فلما خرج منها فيتذكر محله فيها ويبكي وينقطع إلى الله سبحانه وتعالى أكثر فأكثر، ويكون ميله وميل ذريته إلى الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى في جنته أكثر فأكثر (٣)، وهكذا بالنسبة إلى كل نبي.

وعلى أي حال فهذا بحث كلامي لا يرتبط بالمقام، وإنما ذكرناه استطراداً وإلماً فقط.

١- وفي حديث الإمام الرضا (عليه السلام) ... (فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنة ...)مجمع البحرين مادة عصا.

٢- البقرة: ٣٠.

٣- وهناك جواب آخر في حديث الإمام الرضا ((عليه السلام)) في حديث طويل جواباً على شبهة رجل قال ((عليه السلام)): ... أما قوله عز وجل في آدم ((وعصى آدم ربه فغوى)) [طه: ١٢١] فـ..كانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض، وعصمته تجب أن تكون في الأرض، ليتم مقادير أمر الله عز وجل، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة، عصم بقوله عز وجل: ((إن الله اصطفى آدم ونوحاً...)) [آل عمران: ٣٣] مجمع البحرين مادة عصا.

وطهرهم تطهيراً

(وطهرهم تطهيراً)

الطهارة والتطهير

مسألة: يستحب أو يجب الطهارة والتطهير مطلقاً، ودليل التعميم قد سبق، وحيث إن للطهارة مراتب، فيكون الرجس وما عدا المرتبة الدنيا من الطهارة، واسطة بأن لا يكون رجس ولا تكون طهارة برتبتها ودرجاتها الرفيعة، فلا يكون - على هذا - (وطهرهم تطهيراً) من باب التأكيد، وإنما يفيد معنى جديداً وهو ارتفاعهم (عليهم السلام) إلى غاية مراتب الطهارة، فإنه لو اكتفى النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله (أذهب عنهم الرجس) لتوهم الإكتفاء بإذهاب الرجس فقط بدون الإرتفاع إلى أسمى مراتب الطهارة.

وبذلك يظهر أن قوله (عليه الصلاة والسلام): (تطهيراً) يفيد أيضاً هذا المعنى، فهناك إذهاب الرجس، وهناك التطهير في أعلى درجاته، وهناك (تطهيراً) الذي هو أقصى درجات الطهارة (١).

هذا وإن كان من الممكن أن يكون (تطهيراً) للتأكيد.

ثم إن أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) خلقوا أطهاراً، فليس المراد بطلب الإذهاب: الرفع، بل الدفع (٢) إذ لم يكن فيهم (عليهم السلام) رجس حتى يطلب إزالته.

وكذلك المراد بـ (التطهير) خلقه طاهراً، وقد يكون المراد بذلك الإستمرار، كما قال علي (عليه الصلاة والسلام) بالنسبة إلى قوله سبحانه: ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)) (٣) بمعنى: طلب استمرار الهداية، فإن ممكن الوجود بما هو هو، في كل لحظة معرض للطرفين، وإنما يميل إلى الطرف الأرفع، بلطف الله سبحانه وتعالى، كما يميل إلى الطرف الأتزل بخذلانه، فالإنسان في كل لحظة بحاجة إلى هداية وتسديد جديد من الله تعالى، فالمطلب ابتدائي في بعض، واستمراري في بعض، سواء أخذ جانب الطهارة أم جانب النجاسة، الأول في المعصومين (عليهم السلام) وفي المؤمنين، والثاني في الكفار والمنافقين والفساق.

وقد ذكروا أن مثل الكون بالنسبة إلى الله سبحانه، كمثّل الصور الذهنية بالنسبة لنا في كل لحظة تحتاج إلى

١- يستفاد إرادة الدرجات العليا من الطهارة: من الإطلاق، ومن السياق، ومن القرانين المقامية والخارجية الأخرى.

٢- الرفع: إزالة ما هو موجود. والدفع: الحيلولة دون وجوده، فلو تمرض زيد وعولج كان هذا رفعاً، أما لو كان في معرض التمرض والوباء، فلقح بالمضادات من قبل، كان هذا دفعاً.

٣- الفاتحة: ٦.

عناية وإفاضة، وإلا انهدمت واضمحت، إذ البقاء بالغير لا بالذات كالحديث.

اتصافهم عليهم السلام بجميع الفضائل

مسألة: يجب الاعتقاد بأن أهل البيت (عليهم السلام) متصفون بجميع الفضائل والكمالات وأعلى مراتب الطهارة.

فقال الله

(فقال الله)

كلام الله سبحانه (١)

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الله تعالى متكلم بالمعنى الصحيح لذلك، وقد ثبت في علم الكلام: إن الله سبحانه وتعالى لا يتكلم كتكلمنا بغم وشبهه لاستحالة ذلك في حقه لأنه تعالى ليس بجسم، ولا هواء هناك، إلى غير ذلك من شرائط الكلام المعهود المفقودة في ساحته المقدسة.

بل يراد بالقول: إما خلق الصوت كما التزموا بذلك في قوله سبحانه ((وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)) (٢) وإما إيجاد علامة دالة على ذلك في اللوح بسبب القلم، وقد روى الصدوق (قدس سره) أ! (اللوحة والقلم ملكان) (٣) أو ما أشبه ذلك.

وقد ألمعنا سابقاً إلى أن القول في اللغة العربية يطلق على اللفظ وعلى الفعل (٤)، ولذا يقولون: (قال بيده كذا) فيما أشار بيده، و (قال برأسه كذا) فيما أشار برأسه، و (قال برجله) إذا مشى، وكذا بالنسبة إلى الكتابة ولذا يقولون: قال المفيد (قده) وقال الصدوق (قده)، مع أنهما إنما كتبا ذلك المنقول عنهما في كتبهما، ولا لفظ ولا إشارة بإحدى الجوارح ههنا.

والفاء في (فقال الله) تكشف عن مدى قرب الرسول (صلى الله عليه وآله) من الله سبحانه وتعالى، حيث استجاب له دعاءه دون إبطاء، إذ الفاء للترتيب باتصال.

لا يقال: أحياناً لا يؤتى حتى بالفاء، كما في قوله سبحانه: ((ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) فلم يقل هناك: فأستجب لكم (٥)، فلماذا جاء بالفاء هنا؟ (٦)

١- حول هذا المبحث راجع شرح التجريد وشرح المنظومة للإمام المؤلف (قدس سره).

٢- النساء: ١٦٤.

٣- اعتقادات الشيخ الصدوق: ٤٤ ب ١٢ ط قم.

٤- ولو فرض كون هذا الإطلاق مجازياً للتبادر، ولعدم الالتزام بالوضع التعيني اللاحق فإنه لا بد منه ههنا بعد تعذر الحقيقة كما لا يخفى.

٥- غافر: ٦٠.

٦- مع دلالتها على نوع من الترتيب أو التعقيب والمكث، وإن كان قليلاً جداً، إذ هي في قبال ثم، للترتيب باتصال، لا في قبال عدم الفصل بشيء أبداً (بين المقدم والتالي).

لأنه يقال: لعل الوجه في الإتيان بالفاء ههنا، الإشارة إلى تعقب طلبه ودعائه (صلى الله عليه وآله) بإحضار الله سبحانه وتعالى الملائكة - ولو إحضاراً قلبياً وإفاتياً - وبعدها كان تكلمه تعالى بهذا الكلام، فتكون الفاء للإشارة إلى هذا الإحضار، مع وضوح أن الملائكة بكثرة هائلة بحيث لا يعلم أعدادهم ومواقعهم وخصوصياتهم النفسية وغيرها، إلا الله سبحانه وتعالى، فإنه وإن كان من الممكن بالنسبة إليه سبحانه وتعالى أن يلفتهم إلى ذلك في جزء من لحظة، إلا أنه ربما يكون قد أشار بالفاء إلى هذا الإحضار المتوسط بين الدعاء وبين الإستجابة(١).

عَزَّ وَجَلَّ

(عزَّ وجلَّ)

معنى العزة والجلالة

مسألة: يستحب أن يردف اسم الجلالة، بما يدل على التجليل والتعظيم، مثل كلمة (عز وجل) كما قالت (سلام الله عليها): (فقال الله عز وجل).

وكذا كلمة: (تبارك اسمه) و (تعالى جده) و (عز من قائل)، وما أشبه ذلك.

وهل كلمة (عز وجل) أقوى دلالة من تلك الكلمات، أو أنها متساوية، وإنما ذكرت (عليها الصلاة والسلام) هذه الكلمة من باب أحد المصاديق؟ احتمالان.

ثم إن العزة عبارة عن قلة الوجود (١) وكثرة الفائدة والرفعة والقوة والغلبة (٢) ولذا لا يقال للماء: عزيز فيما إذا كان متوافراً أو قليل الفائدة (٣)، وكذلك لا يقال للهواء أو الشمس ذلك، وحيث إن الله سبحانه وتعالى متفرد ليس كمثله شيء، ورفيع وقوي وغالب فهو العزيز الأوحد، ولذا قال سبحانه: ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً)) (٤) لوضوح أن كل عزة في الكون فمن فضل الله تعالى، حتى العزة الظاهرية لمن لا يستحق العزة الحقيقية كالمملوك الجبارة.

ومعنى (جل): إنه عظم عن إدراك الإنسان له بالعين أو بالظن أو بالوهم وشبه ذلك، إذ من الواضح أن ذلك من المحال، إذ لا يمكن استيعاب الإنسان المحدود لغير المحدود، وهو الله سبحانه وتعالى، فلا يعقل أن يستوعب المتناهي اللامتناهي.

وهذا أبعد من استيعاب الصغير للكبير كاستيعاب الآتية لماء البحر، إذ كلا الطرفين محدود، وما نحن فيه، أحدهما غير محدود، وكلا القسمين وإن كان محالاً إلا أن للمحال أيضاً مراتب، فبعضها أشد (أو أوضح) استحالة من بعض (٥)، كما أن للممكن أيضاً مراتب (١) وإن كان هذا الكلام من ضيق اللفظ وإلا فالمحال محال، والممكن

١- عز: قل فلا يكاد يوجد، والعزيز النادر.

٢- (العزيز): القوي الغالب على كل شيء والممتنع فلا يغلبه شيء والذي ليس كمثله شيء و(العزة): الشدة، الغلبة، الرفعة، الامتناع، القوة، قلة الشيء حتى لا يكاد يوجد، قال في لسان العرب: وهذا جامع لكل شيء.

٣- قد يكون هذا بلحاظ المتفاهم العرفي أو بلحاظ الدلالة الإلزامية.

٤- فاطر: ١٠.

٥- يمكن التمثيل له بتسلسل الأحاد والعشرات فكلاهما لا متناهي إلا أن أحدهما أكثر من الآخر وكلاهما محال،

ممکن علی أي حال، فليتأمل.

وكذا تسلسل المتناقضين - أي سلسلة حلقاتها عبارة عن نقيضين مجتمعين - وتسلسل غيرهما إذ الأول محال في محال.

١- ربما يكون المراد الإمكان الوقوعي، وربما يكون مبنياً على أصالة الوجود، فيكون الإمكان فقرياً ذا مراتب، أما على أصالة الماهية وتفسير الممكن بالمتساوي النسبة للطرفين، فلا محيص عن الالتزام بكون المراد الوقوعي، فتأمل.

يا ملائكتي

(يا ملائكتي)

بيان الحقائق

مسألة: يستحب أو يجب - كل في مورده - بيان الحقائق التكوينية والتشريعية للآخرين كما بين الله سبحانه لملائكته الحقيقة الآتية.

ولا يبعد أن يكون المراد بالملائكة كل الملائكة لا الرسل منهم فحسب، وإن كان لفظ (الملك) مشتقاً من (الألوكة) التي هي الرسالة، لكن ذلك بحسب الأصل، ثم غلب استعماله على كل ملائكة الله سبحانه وتعالى، ممن ليسوا من جنس الإنس أو الجن، فاللفظ من باب (العلم بالغلبة)، فتأمل.
(وقد يكون علماً بالغلبة***مضاف أو مصحوب ال كالعقبة)

ويا سكان سماواتي

(ويا سكان سماواتي)

سكان السماء

وهذا يكون من باب عطف الخاص على العام، باعتبار أن سكان السماوات منهم لهم خصوصية خاصة. ولا يصح أن يكون (سكان سماواتي) بمنزلة عطف بيان لـ (الملائكة) - من باب عطف المساوق على المساوي - لعدم انحصار الملائكة بسكان السماوات، إلا أن يقال: إن كل الكون - مقابل الآخرة - سماوات، لأن الأرض أيضاً كوكب في السماء.

ومن الممكن أن يكون من باب عطف المباين، إذا كان المراد بسكان السماوات، سائر من سكن السماوات من المخلوقات غير الملائكة، لأن الله سبحانه وتعالى مخلوقات كثيرة جداً لا نعرفها حتى بالإسم، فكيف بالكُنه أو الصفة والخصوصية، فإذا كانت علومنا بالنسبة إلى الإنسان والنبات والحيوان محدودة جداً، حتى أنها لا تبلغ جزءاً من ألف مليون من الواقع، فكيف بما هو غائب عن حواسنا؟

وقد ذكر العلماء أن ما اكتشفوه من أنواع الموجودات في الكرة الأرضية قد بلغ الثلاثين مليون قسمياً وهذا هو مبلغهم من العلم وأغلبه بنحو الإجمال الشديد، أما ما لم يطلعوا عليه، فلعله أضعاف أضعاف ذلك، خصوصاً مما في البحار مما لا يخفى كثرة، وقد ورد في الدعاء: (يامن في البحار عجائبه) (١)، وكذلك في عالم الجراثيم وشبهها.

وربما كانت هناك عوالم أخرى على أرضنا - في أبعاد أخرى أو لا - لا نعلم عنها أي شيء إطلاقاً، أو لا يمكن لنا معرفتها أبداً إلا بحواس أخرى أو شرائط مجهولة.

فإذا كان هذا حال الأرض، فما حال السماوات ومجاهيلها، والتي قال عنها تعالى: ((وَأِنَّا لَمُوسِعُونَ))؟ (٢)

١- دعاء الجوشن الكبير.

٢- الذاريات: ٤٧.

إني ما خلقت سماءاً مبنية

(إني ما خلقت سماءاً مبنية)

التذكير بعظمة الله

مسألة: من اللازم التفكر والتذكير بعظمة الله تعالى في ذاته وأفعاله، في كل موطن مناسب. ولعل التعبير عنها بوصف (مبنية) بلحاظ بنائها بنحو خاص، حيث يعتمد نظام الكواكب والأقمار والمجرات وثباتها وديمومتها على (الجاذبة) بين الأجرام و (الدافعة) الناتجة من الحركة وغيرها على ما هو مفصل في محله، ولذلك خصها الله تعالى بوصف (مبنية)، وربما يكون إشارة إلى قوله سبحانه: ((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)) (١).

و (بأيد) أي: بقوة، لأن اليد مظهر القوة، ووسيلة ظهورها، ولهذا تشبّه كل قوة باليد. ومعنى ((إِنَّا لَمُوسِعُونَ)): إنا نوسع في السماء، كما دل على ذلك العلم، فقد ثبت في العلم الحديث (٢) إن السماء في حالة توسع مستمرة، وذلك كما أن الإنسان مثلاً في توسع مستمر في مختلف أبعاده في العلم والقوة والصناعة وغير ذلك.

وقد ذكر العلماء: إن عدداً من الأنجم والمجرات التي تستوعب ملايين الملايين من الأنجم، والبعيدة عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية تتباعد بعضها عن بعض بسرعة كبيرة جداً. (٣)

التأنيث في (مبنية)

ثم إن (السماء) يذكر ويؤنث، كما ذكره أدباء علم العربية، ومن الممكن أن يكون باعتبار أن (السماء) بمنزلة الجمع معنى، وذلك مثل: (حسنة) في قوله سبحانه: ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً)) (٤)، ومن المعلوم إنه ليس المراد حسنة واحدة وإنما المراد جنس الحسنه، فقد ذكرنا في (الأصول) إن المفرد حتى بدون اللام قد يأتي للجنس مثل قولهم: تمرة خير من جرادة، فليس المراد إن تمرة خاصة أو جرادة خاصة، بل

١- الداريات: ٤٧.

٢- راجع كتاب بصائر جغرافيا وغيره.

٣- قد تبلغ أحيانا المائة وخمسين ألف كيلو متر في الثانية الواحدة بل أكثر. [راجع التكامل في الإسلام.

٤- البقرة: ٢٠١.

هذا الجنس وهذا الجنس، ومثل: مؤمن خير من كافر، إلى غير ذلك من الأمثلة الواردة في الكتاب والسنة واللغة العربية.

والمراد بالسماء: السماوات، والتعبير بالسماوات في قوله سبحانه: (يا سكان سماواتي) وبالسماء في قوله: (اني ما خلقت سماءً مبنية) إما للتفنن وإما لبعض الخصوصيات، كما أشرنا إليه في البحث الأنف.

ولا أرضاً مدحية

(ولا أرضاً مدحية)

دحو الأرض وحركاتها

مسألة: من اللازم تعلم العلوم الطبيعية بالمقدار الذي ينفع لفهم آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التي تشير إلى تكلم الحقائق الكونية في مختلف الأبعاد.

ويدل هذا الحديث على ما دلت عليه الآيات والروايات الأخرى من (دحو الأرض)، فإن الأرض دحيت من تحت الكعبة (١)، ومعنى (الدحو): البسط والقذف (٢)، وفي الدعاء: (اللهم سامك المسموكات وداحي المدحوات) (٣)، وهذه الجملة تدل على أن الأرض في حالة دحو وحركة (٤)، وقد ذكروا: إن للأرض حركة وضعية وحركة انتقالية، إلى غير ذلك.

وهل المراد بالأرض أرضنا أو كل أرض في قبال كل سماء فقد سنل علي (عليه الصلاة والسلام) عن النجوم، فقال: إنها مدن كمدنكم.

يحتمل الأمران، فالانصراف يشهد للاحتمال الأول، وإرادة العموم كما يظهر من كونها نكرة في سياق النفي، وكذلك سياق الحديث يدل على الإحتمال الثاني، والقرينة مع الثاني على الأول، فيكون المراد بالأرض، كل الأراضي على ما ذكرناه في كلمة: السماء لا أرضنا فقط.

١- ثواب الأعمال: ١٠٦ ح ١ ط بيروت.

٢- ((الأرض بعد ذلك دحاها)) [النازعات: ٣٠] أي بسطها، والدحو: الرمي بقهر. مجمع البحرين مادة دحا.

٣- مستدرک الوسائل: ٣٤٢/٥ ب ٣٢ ح ١.

٤- الإستدلال قد يكون بلحاظ سياق ما سبق وسيأتي (لكون كلها للإستمرار) أو بلحاظ دلالة هذا الوصف على الإستمرار، فتأمل.

ولا قمرأ منيراً ولا شمسأ مضية

(ولا قمرأ منيراً)

(ولا شمسأ مضية)

التفصيل عند الخطاب

مسألة: من الراجح التفصيل عند الخطاب إذا كان مناسباً، وعدم الاكتفاء بالإشارة الإجمالية، كما قال الله سبحانه: (إني ما خلقت سماءً مبنية) إلى قوله تعالى: (ولا فلأ يسري) ولم يقل: (إني ما خلقت شيئاً) أو شبه ذلك.

وهل المراد بالقمر قمرنا الكائن في مدار الأرض أم كل قمر في الكون فقد ثبت في العلم الحديث إن لجملة من الأنجم أيضاً أقماراً.

الإحتمالان المذكوران آنفاً يردان هنا أيضاً، ولعل الفرق بين المنير وبين المضية: إن النور هو الإنعكاس والضوء هو الأمر الطبيعي، وإن كان يطلق كل واحد منهما على الآخر، إذا أفرد بالذكر، والإحتمالان واردة أيضاً في كلمة (شمساً مضية) فهل هي شمسنا أم كل الشموس؟ لأن الله سبحانه وتعالى خلق شمساً كثيرة جداً، كما ثبت ذلك في العلم الحديث.

ولا فلماً يدور

(ولا فلماً يدور)

معنى الفلك

الفلك ليس بجسم (١) وإنما هو عبارة عن مدارات قررها الله سبحانه وتعالى حسب موازين خاصة تدور فيها الأقمار وشبهها من الأجرام السماوية، وأما ما ورد من أن السماء الأولى كذا والسماء الثانية كذا وهكذا، فالمراد تشبيهات دقيقة، وقد فصل جملة منها السيد الشهرستاني (قدس سره) في كتابه: (الهيئة والإسلام).
ومن معاني الفلك: المستدير (٢) ولو أريد به ذا، كان المراد به ما عدا الشمس والقمر، أو الأعم، ولربما أشعر بحركة كل الأفلاك، ويكون وصفه بـ (يدور) مؤيداً لهذا المعنى، فتأمل.

١- كان بعض قدماء المنجمين، يرى إن المدارات هي أجرام ركبت فيها النجوم!

٢- مجمع البحرين: مادة فلك.

ولا بحراً يجري

(ولا بحراً يجري)

جريان البحر

يدل هذا الحديث على وجود جريان وحركة خاصة للبحار، ولعله جريانها بين الصعود باتجاه السماء ثم الهبوط، إن لم يكن خلاف المنصرف.

وربما يكون المراد بالجريان: جريانها حسب المد والجزر، لكنه قد يكون خلاف ظاهر (الجريان) الذي يقتضي: حركة غير موضعية (١) وربما يكون المراد وجود جريانات خاصة كجريان الأنهار (٢) فليتأمل.

ثم إن ذكر الصفات (كمبئية، ومدحية، ومنيراً، ومضيئة، ويدور، ويجري) إنما هو لأجل التأكيد على القدرة، لأن ذوات هذه الأشياء برهان على قدرة عظمى، وصفاتها دليل على قدرة عظيمة أخرى.

١- في المصباح: الماء الجاري: هو المتدافع في انحدار واستواء.

٢- ثبت علمياً وجود تيارات قوية وكثيرة تحت سطح الماء، كما ثبت وجود أنهار عديدة - بعضها عذبة - تتحرك تحت البحار، وربما يكون (فليتأمل) إشارة لملاحظات على الاحتمالات الثلاثة.

ولا فلماً يسري

(ولا فلماً يسري)

المؤثر في الوجود هو الله (١)

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه ليس المؤثر حقيقة في الوجود سواء تعالى، ولا فاعل واقعي عداه، ولذلك قال تعالى: (إني ما خلقت سماءً مبنية... ولا فلماً يسري) حيث الأصل والوصف (٢) مخلوقان له تعالى، فإن الفلك لا يسري في البحر بسبب السقان والرَبان وشبههما، وإنما الله سبحانه وتعالى هو المسير والميسر، والفلك وما أشبهه من الأسباب الظاهرية التي قدرها جل وعلا.

وقد تقدم الإلماع إلى أن كل شيء ظاهر في هذه الحياة الدنيا، له واقع بيد الله سبحانه وتعالى، ومثل إرادته مثل تيار الكهرباء - ولا مناقشة في الأمثال - حيث إن التيار الكهربائي لو انقطع ولو أنا ما، انعدم الضياء وتعطل كل ما يتحرك بالكهرباء، وقد مثل جماعة من الحكماء إرادة الله سبحانه وتعالى في الخلق، بالصورة الذهنية الجزئية، والمعاني الجزئية التي تكون في الذهن (٣)، حيث إن انصراف الذهن، ولو لحظة عن تلك الصور، يوجب انعدامها فوراً. كما أشرنا إليه سابقاً.

١- يراجع (شرح التجريد) وشرح (المنظومة) للمؤلف.

٢- المراد بالأصل: (الفلك) وبالوصف: (يسري).

٣- الصور الذهنية وليدة القوة المتخيلة (بمعنى إنها تدرك الصور الحسية) والمعاني الجزئية وليدة القوة المتوهمة على اصطلاحهم.

الإلا في محبة هؤلاء

(الإلا في محبة هؤلاء)

الغاية من الخلقة (١)

السبب في الإفاضة والخلقة، هو محبة النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) كما يشهد له هذا الحديث: (الإلا في محبة) (٢) هؤلاء الخمسة) ونظائره.

وذلك كما أن رب البيت يقوم بدعوة العديد من الناس، عند دعوته عظيماً من العظيمة إكراماً له فـ (لأجل عين، ألف عين تكرم) بمعنى أن الله سبحانه وتعالى لما أحبهم (٣) خلق الخلق لأجلهم (عليهم السلام) وقد قال سبحانه: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) (٤) ومن الواضح إن محبة الله لكي يعرف، ليس لأجل نقصه، لأنه ليس يناقص حتى يكمله شيء، وإنما لأجل العطاء والإعطاء.

ويدل على كونهم (عليهم السلام) العلة الغائية للخلقة وأنه لولاهم لما خلق الله تعالى العالم، روايات عديدة من كتبنا ومن كتب العامة أيضاً.

فعن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (لما خلق الله تعالى آدم أبو البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمناً العرش، فإذا في النور خمسة أشباح سجدوا وركعوا، قال آدم: يارب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسماني، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن... يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أنجيهم وبهم أهلكهم...). (٥) وعن ابن مسعود: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم، وقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى إليه: حمدني عبدي،

١- راجع بحث (المحبة ودورها في التكوين والتشريع).

٢- (في) تأتي للظرفية والسببية أيضاً كما في الحديث: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها...) [مستدرک الوسائل: ٣٠٣/٨ ب ٤٤ ح ٤].

٣- حيث إن الصفات النفسية التي تسند إلى الله سبحانه، يراد بها نتائجها وغاياتها، فالمراد بمحبته لهم ترتيب آثارها ومنها: العناية والإفاضة على المحبوب بشتى أنواع الإفاضة بإعطائه قصوى درجات الكمال وتوحي رضاه ولذا ورد: (إن الله يرضى لرضا فاطمة) [راجع آمالي المفيد: ص ٩٥ ط قم]. وقبول شفاعته و.

٤- بحار الأنوار: ١٩٩/٨٧ ب ١٢ ح ٦ (بيان).

٥- فرائد السمطين ٣٦/١ نقلاً عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٣٩ وعن العوالم ص ١٦ - ١٧.

وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك، قال: الهي فيكونان مني؟ قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك وانظر، فرفع رأسه، فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله، محمد نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكى وطاب... (١). وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

(يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما) (٢).

وهنا يمكن أن يقال (٣): العلة الغائية - وهي الداعي لفاعلية الفاعل - لخلقتنا: هي محبة الأئمة (عليهم السلام) ومعرفتهم، والعلة الغائية لمحبتهم ومعرفتهم هي معرفة الله سبحانه، إذ هم (عليهم السلام) الأدلاء على الله، وهي الكمال الأكبر، فمعرفتهم (عليهم السلام) طريق الكمال والتكامل، وبذلك يجمع بين الروايتين (٤).

محبة أهل البيت (عليهم السلام)

مسألة: من الضروري بيان الغاية من الخلقة للناس، كما تجب محبة أهل البيت (عليهم السلام) للآيات والروايات المتواترة، ومنها مقاطع عديدة من هذا الحديث، وفي هذا المقطع أيضاً دلالة على ذلك، إذ من الواضح أنه لو كان السبب في الخلقة هو محبة هؤلاء (عليهم الصلاة والسلام) كان حبهم لازماً لدلالة الإقتضاء العرفي على ذلك، وقد ذكرنا في بعض المباحث الفرق بين الإقتضاء العرفي والإقتضاء الأصولي الذي هو ما يتوقف صدق الكلام أو صحته عليه.

ولا يخفى إن حبهم (عليهم الصلاة والسلام) على نوعين:

حب ناقص وهو: مجرد المحبة القلبية بدون عمل.

وحب كامل وهو: المحبة القلبية مع عمل الجوارح.

١- المستدرک للحاکم النیسابوری ١/١٤١ وینابیع المودة ص ١١ من دون الذیل نقلاً عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٦٢٥ - ٦٢٦.

٢- كشف اللآلي لصالح بن عبد الوهاب بن العرنس، على ما ذكره السيد مير جهاني في الجنة العاصمة، وأورده العلامة المندي في ملتقى البحرين ص ١٤ (نقلاً عن فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ص ٩) والحديث مذكور في مستدرک سفينة البحار ٣/٣٣٤ عن مجمع النورين (نقلاً عن العوالم ص ٢٦). ومما يشير إلى ذلك قوله (صلى الله عليه وآله): (أنا شجرة وفاطمة أصلها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها) [ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٣٤ على ما في احقاق الحق ج ٩ ص ١٥٢] (نقلاً عن بهجة قلب المصطفى ص ٢٠٥).

٣- الفرق بين هذا وسابقه: إن الأول باعتبار إضافة المحبة إلى الله، والثاني باعتبار إضافتها للخلق (إلا في محبة) أي محبة لهؤلاء أو محبة الخلق لهم أي السبب في الخلقة، إرادة محبة الخلق لهم ومعرفتهم بهم (عليهم السلام) فليدقق.

٤- أي بين (الأ في محبة هؤلاء الخمسة) التي تقتضي أن سبب الخلقة، محبتهم (عليهم السلام) و(فخلقت الخلق لكي أعرف) [بحار الأنوار: ١٩٩/٨٧ ب ١٢ ح ٦ بيان] التي تدل على أن السبب معرفة الله.

فمن أحبهم (عليهم السلام) بلا عمل جوارحي كان فاسقاً، ومن لم يحبهم كان منحرفاً زائغاً، وقد قال سبحانه: ((إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) (١) ومن المعلوم إن مودتنا للقربي تنفع أنفسنا وليست تنفعهم (عليهم الصلاة والسلام) إذ هم في غنى عن ذلك.

محبة ذويهم (عليهم السلام)

ثم لا يخفى إن محبة ذويهم، كأولادهم وإخوانهم ومن أشبهه، فرع محبتهم، ومشتقة من محبتهم (عليهم الصلاة والسلام) فلها فضل أيضاً، ولذا روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (أكرموا ذريتي الصالحين لله والطالحين لي)، وليس المراد بالطالحين الكفرة منهم - إذا فرض أن فيهم كفرة - منهم وهم براء منه، كما تيرأ إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) من عمه آزر، وكما تيرأ الرسول (صلى الله عليه وآله) من أبي لهب، بل المراد بالطالحين من لهم بعض المعاصي والموبقات.

وهذه المحبة لهم ترجع إلى محبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما قالوا: (لأجل عين ألف عين تكرم). كما أن لأهل البيت (عليهم السلام) إطلاقاً آخر أشمل وأوسع، من الإطلاق الأخص المختص بالمعصومين (عليهم السلام)، فمثلاً: زينب بنت علي (عليهما الصلاة والسلام) والعباس بن علي (عليهما الصلاة والسلام) وفاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر (عليهما الصلاة والسلام) ومن أشبههم من أهل البيت لكن غير المعصومين، ولذا تلا الحسين (عليه الصلاة والسلام) حين برز علي الأكبر (عليه السلام) إلى القتال قوله سبحانه: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (٢).

وقد ذكر بعض الفقهاء: إن هناك عصمتين:

عصمة كبرى وهي الخاصة بالمعصومين (عليهم الصلاة والسلام).

وعصمة صغرى، بمعنى أنهم لا يذنبون ولا يفكرون في الذنب أبداً، وهي بالنسبة إلى أمثال العباس وعلي

الأكبر وزينب ومن أشبههم من أولادهم وإخوانهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

١- الشورى: ٢٣.

٢- آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

الخمسة

(الخمسة)

امتداد أصحاب الكساء (عليهم السلام)

مسألة: يستحب ذكر العدد فيما إذا تضمن الفائدة، تأكيداً أو لدفع وهم أو شبه ذلك.
ومن المعلوم إن سائر الأئمة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) امتداد لهؤلاء الخمسة، بل كلهم نور واحد، كما ذكرنا في بعض المباحث السابقة، بالنسبة إلى آية: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)). (١)
فلا يقال: إن الكون خلق لأجل المعصومين (عليهم السلام) جميعاً، لا لأجل هؤلاء الخمسة فقط، فإن الشيء قد ينسب إلى الرأس، وقد ينسب إلى المجموع، وإذا كانت النسبة إلى الرأس فالمراد بذلك المجموع أيضاً، مثل قوله سبحانه: ((خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)) (٢) باعتبار أن النفس الواحدة وهي آدم (عليه السلام) أول الخليفة وهي الأصل، وإلا فمن الواضح إن الخلق من آدم وحواء (عليهم السلام) معاً.

١- المائدة: ٥٥.

٢- الأعراف: ١٨٩.

الذين هم تحت الكساء

(الذين هم تحت الكساء)

اتباع الموضوع بذكر وصفه

مسألة: من الراجح اتباع الموضوع بذكر وصفه، إذا كانت فيه الفائدة، مثل الإعلام أو احترام الطرف أو التلذذ أو التحريض على الاستجابة كما تقول فلان (زيد بن عمرو) العالم أكرمه أو ما أشبه ذلك مما ذكره في علم البلاغة،

فقال الأمين جبرائيل

(فقال الأمين جبرائيل)

الاعتقاد بأمانة جبرائيل

مسألة: يجب الاعتقاد بكون جبرائيل أميناً، ولذلك من ضروريات الدين ((مُطاع ثم أمين)) (١) وعليه الروايات ومنها قولها (عليها الصلاة والسلام) ههنا (فقال الأمين جبرائيل) وبمقتضى مناسبة الحكم والموضوع فإن المراد الأمانة في الوحي وشبهه.

لكن لا يبعد عدم انحصار أمانته في هذا المجال، بأن يكون أميناً في مجالات أخرى من عالم التكوين، فإن الملائكة لا يتحددون بزمان خاص أو مكان خاص أو جهة خاصة. (٢)

وإنما هم رسل الله سبحانه وتعالى في مختلف شؤونه جل وعلا، حيث إن الملائكة هم الوسطاء في تنفيذ كثير من الأعمال، ولذا قال سبحانه وتعالى: ((فَالْمُدَبِّرَاتِ أُمْرًا)). (٣)

وبما أن معرفتنا بالملائكة محدودة، لذلك لا نعلم المهام التي يقومون بها والمسؤوليات التي يتحملونها، سوى ما جاء في الأحاديث الشريفة عن المعصومين (عليهم السلام).

نعم لا شك في إنهم يقدسون الله ويسبحونه ويهللون، وما إلى ذلك مما أشارت إليه الروايات الشريفة.

استحباب النعت بالفضائل

مسألة: يستحب التوصيف والنعت بالفضائل، ولذلك ولغيره (٤) كان وصفها (عليها السلام) جبرائيل بـ (الأمين).

والإستحباب عام لكل شيء أو شخص جدير بالتقدير والإحترام سواء كان إنساً أم جنأً أم ملكاً أم حوراً أم ولداناً مخلدين، فإن الإحترام قد يظهر أدب المحترم - بالكسر - وقد يظهر فضيلة المحترم - بالفتح - وقد يكون فيه فائدة بالنسبة إلى ثالث.

١- التكوير: ٢١.

٢- بشكل مطلق على القول بتجردهم أو بشكل نسبي على غير ذلك.

٣- النازعات: ٥.

٤- مثل: كون المقام ضرورة التوصيف بالأمانة.

وبما أن المقام مقام الأمانة، لذلك قدّم على جبرائيل ولم يقدم جبرائيل عليه، كما قالوا بالنسبة إلى الأوصاف والموصوفات، إن المقام إذا كان مقام الوصف قدم وإذا كان مقام الموصوف قدم، حيث إن مقصودها وعنايتها (صلوات الله عليها) على أن صاحب هذا المقال أمين في كلامه موثوق في حديثه.

يارب ومن تحت الكساء

(يارب ومن تحت الكساء)

الإذن في السؤال والدعاء

مسألة: لا يحسن السؤال من دون الإذن وقد يحرم.
والله سبحانه كما أذن لنا بالسؤال والدعاء، أذن كذلك للملائكة في الجملة.
ويظهر وجود الإجازة لسانر الملائكة إجمالاً، ولإبليس، من قصة خلق آدم (عليه السلام) وسؤال الملائكة وإبليس.

كما يظهر من سؤال جبرائيل ههنا (ومن تحت الكساء) الإذن له من ذلك.
ولولا إذن الله سبحانه وتعالى، لم يحق له وللملائكة السؤال، ولذا ورد في دعاء الإفتتاح: (أذنت لي في دعائك ومسألتك).

وقد ذكر بعض شراح دعاء كميل عند قوله (عليه الصلاة والسلام): (فكيف أصبر على فراقك) إنه يأتي النداء إلى مالك جهنم أن يمنع أهل النار من ذكر الله سبحانه وتعالى إذ أنهم يتضرعون إليه ليخرجهم من النار.
لا يقال: إن ذلك ينافي رحمة الله سبحانه.

لأنه يقال: يجرى العاصي نظراً لا استحقاقه العقوبة، والعقوبة أثر تكويني طبيعي للمعصية، فهي كبذرة الحنظل أو الورد، التي لا بد أن تثمر حنظلاً أو ورداً لا غير، وكذلك حال الدنيا والآخرة والمعصية والعقوبة، وقد ذكرنا ذلك في جملة من كتبنا الكلامية (١) وفي كتاب (الأصول) بالمناسبة، إضافة إلى ما أشار إليه تعالى بقوله: ((وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)) (٢).

وهل كان سؤال جبرائيل: (ومن تحت الكساء؟) من باب تجاهل العارف من قبيل: ((وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)) (٣) أم كان على وجه الحقيقة؟
احتمالان.

١- راجع شرح المنظومة وشرح التجريد وتقريب القرآن إلى الأذهان.

٢- الأنعام: ٢٨.

٣- طه: ١٧.

العلم والإستعلام

مسألة: يستحب الإستعلام عن المجهول، وذلك كما سأل جبرائيل (عليه السلام) عن تحت الكساء، وكما سأل غيره من الملائكة والرسول (عليه السلام) عن غيره، فإن العلم كمال والسؤال طريق التكامل، ولذا قال سبحانه لأكمل مخلوقاته: ((وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)) (١) وقال علي (عليه السلام): (ولا يستحيين أحدكم إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه) (٢) فإن العلم بحر عميق، لا يعلم مداه إلا الله وحده وقد حبي أوليائه الذين اختصهم به بقدر منه، أما ما في أيدي الناس، فليس مثله إلا كمثل رطوبة رأس إبرة بالنسبة إلى ((الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ)) (٣) بل النسبة أبعد وأبعد عن هذا بكثير.

وقال علي (عليه السلام): (علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف ألف باب) (٤) كما في بعض الأحاديث، وربما يكون (الباب) إشارة إلى كل علم بأكمله، فالرياضيات باب والطب باب ثان، وهكذا إلى مليون باب، أو تكون (الألف باب) الأولى إشارة إلى ألف علم جامع لمجموعة علوم هو كالجنس لها.

وفي حديث آخر: (إنهم (عليهم السلام) يزدادون علماً كل ليلة جمعة) (٥).
وبعد كل ذلك فإن مجموعة ما يعلمه البشر جزء ضئيل من ضلع واحد من أضلاع العلم الأربعة التي أشار إليها قوله سبحانه: ((يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)) (٦).
فلكل من الدنيا والآخرة ظاهر وباطن، أما الآخرة فلا يعلم البشر منها شيئاً إطلاقاً، لا ظاهراً ولا باطناً، ولذا روي إن الإنسان في الآخرة يرى (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (٧).
وأما الدنيا: فلا يعلم من باطنها شيئاً أيضاً - إطلاقاً - وإنما يعلم قدرأ محدوداً جداً عن ظاهرها، وفي بعض أبعادها فقط وهي المحسوس بالحواس الخمسة وشبهها، ولربما كانت هناك منات الأبعاد الأخرى في هذه الدنيا مجهولة لنا تماماً، حتى بالإسم.

تقديم أكبر القوم

مسألة: يستحب أن يتقدم في السؤال ونحوه أكبر القوم، كما سأل جبرائيل (عليه السلام) دون سائر الملائكة.

- ١- طه: ١١٤.
- ٢- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٥١ ح ٢٣ ط.م.
- ٣- لقمان: ٢٧.
- ٤- الخصال: ٢٤٣/٢ ح ٢٢ ط.م: [إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علمني ألف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب].
- ٥- راجع بحار الأنوار: ٣٥/١٧ ب ١٧ ح ١٥.
- ٦- الروم: ٧.
- ٧- وسائل الشيعة: ٣٥٤/٧ ب ٢٦ ح ١٠.

وذلك لأنه نوع احترام بالنسبة إلى الكبير.

ولا يخفى إن التعلم والتعليم، ينقسم إلى الأحكام الخمسة، فمنه واجب ومنه مستحب، ومنه محرم، ومنه مباح، ومنه مكروه، حسب الملابس واللوازم والملازمات والملزومات (١) كما ذكروا شبه ذلك في باب التكسب.

ولا يعلم هل كان سؤال جبرائيل من قسم الواجب أو من قسم المستحب؟ والقرينة المقامية تدل على أصل الرجحان.

ومن الواضح أن الملائكة لا يرتكبون الحرام، بل الظاهر أنهم لا يرتكبون المكروه أيضاً، ذلك إن في المكروه حزاة على ما ذكره جمع، منهم الأخوند (قدس سره) وإن كان لنا رأي آخر (٢)، والملائكة لعصمتهم بعيدون عن مثل ذلك.

أما ما ورد في الآية الكريمة من اختصاصهم، فالظاهر أنه لاختلافهم في الآراء لا أنه من الإختصاص المكروه فكيف يكون من الإختصاص المحرم؟

١- راجع: (الفقه: العقل) للإمام المؤلف (قدس سره).

٢- راجع (الأصول) حيث ذكر أن المكروه قد يكون بمعنى الأقل ثواباً لا ما فيه الحزاة كما لو زاحمه أمر آخر.

فقال عز وجل: هم

(فقال عز وجل: هم)

الجواب على مقتضى الحال

مسألة: تستحب الإجابة على الأسئلة فيما إذا كانت في الجواب فائدة، كما أجاب الله سبحانه سؤال جبرائيل (عليه السلام)، وقد يجب الجواب حسب الموازين، إذ فيه - بالإضافة إلى ذلك - نشر للعلم وقضاء للحاجة فيشمله دليلهما، أما إذا كان هناك وجه أهم يقتضي عدم الإجابة أو تأخيرها أو إجمالها أو إبهامها فلا استحباب، ولذا قال سبحانه في جواب الملائكة: ((إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (١).

ومن الواضح أن الجواب قد يكون مفصلاً، وقد يكون مجملاً حسب اقتضاء المقام، ومنه مدى فهم السائل وتحمله، وقوله سبحانه: ((مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)) (٢) وقوله (صلى الله عليه وآله): (إنا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس بقدر عقولهم) (٣) يشير إلى ذلك أيضاً، ولذا ورد أنه: (ما كلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) العباد بكنه عقله قط) (٤) لوضوح أن عقول البشر لا تبلغ مستوى عقل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وفي البحار: سأل شخص الإمام علي (عليه السلام): لماذا لا يرى الله؟ فقال الإمام (عليه السلام): - ما معناه - لأنه إذا روي، زالت هيئته. فإن الجواب كان على حسب فهم السائل، وإلا فمن المعلوم إن الله تعالى تستحيل رؤيته، كما برهن في علم الكلام، وقوله سبحانه: ((لَنْ تَرَانِي)) (٥) نظير لباب السالبة بانتقاء الموضوع (أي لا يمكن رؤيته) لا أنها ممكنة غير واقعة.

ثم لا يلزم أن يكون السائل هو المستفيد من الجواب، بل يجاب ولو كان غيره هو المستفيد منه، سواء علم السامع أم لا؟ وفي الحديث: (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (٦).

١- البقرة: ٣٠.

٢- إبراهيم: ٤.

٣- أمالي الطوسي: ٤٨١ ح ١٩ (المجلس السابع عشر) ط قم.

٤- سفينة البحار: ٢/٢١٤ ط نجف.

٥- الأعراف: ١٤٣.

٦- مستدرک الوسائل: ٥/١١ ب ١٨ ح ٤.

أهل بيت النبوة

(أهل بيت النبوة)

أهل البيت أم الدار؟

لا يخفى إن نسبة (الأهل) إلى (البيت) دون الدار لأعميته وتطابقه مع الأهل، لأن كثيراً من الناس لا يملكون الدور، وإنما يملكون البيوت، فإن (البيت) يطلق على بيت الحجر والمدر والقصب والخشب والطين وما أشبه ذلك، بينما كل ذلك لا تسمى داراً. وهناك فرق آخر بين البيت والدار، وهو أنه يسمى بيتاً لمبيت الإنسان فيه، بينما تسمى الدار داراً لأن الحائط يدور حوله، أو لكثرة تحرك الناس فيه (١)، ويقال: دار النشر ولا يقال: بيت النشر لأنه لا يتعارف المبيت في دار النشر، فنسبة الأهل وهم خاصة الرجل إلى البيت - المتضمن لمعنى المبيت - أنسب والترابط بينهما أوثق.

١- هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها، لسان العرب.

وموضع الرسالة

(وموضع الرسالة)

فاطمة (عليها السلام) حجة الله

مسألة: يستفاد من إطلاق (موضع الرسالة) على جميعهم (عليهم السلام) (١) إن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) حجة الله، فيكون قولها وتقريرها حجة.

وذلك لأنه يظهر من قوله تعالى: (وموضع الرسالة) إن جميع أصحاب الكساء - عند صدور هذا القول من الله تعالى - هم موضع للرسالة، إلا أن النبي (صلى الله عليه وآله) رسول بالمعنى الإصطلاحي (٢) والباقون بالمعنى الأعم ولو مجازاً الشامل لرسول الرسول أو لمن ينكت في قلبه، أو له عمود النور أو ما أشبهه، كما أن الملائكة رسل كما في الآية الكريمة.

ويمكن أن يكون الوجه في إطلاق (موضع الرسالة) عليهم جميعاً باعتبار أنهم (عليهم السلام) نور واحد بعضهم من بعض، فإذا كان أحدهم موضع الرسالة وهو الرسول (صلى الله عليه وآله) كان المجموع يستحق هذا الوصف بالإعتبار.

وكونها (صلوات الله عليها) حجة الله، إضافة إلى كونه ضروري المذهب، يدل عليه روايات عديدة (٣) ومنها: رواية عن الإمام العسكري (عليه السلام) التي تنص على أن الزهراء ع (عليها السلام) حجة على الأئمة

١- ورد في أحاديث عديدة ذلك، ومنها: ما ورد عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن أبيه، عن علي (عليه السلام) قال: دخل: رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي وفاطمة (عليهما السلام) وأخذ بعضادتي الباب، وقال: (السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة وموضع الرسالة ومنزل الملائكة...) [مقتل الخوارزمي ص ٦٧ ط قم].

٢- المعنى الإصطلاحي هو: المرسل الذي يأتيه جبرائيل (عليه السلام) قبلاً وبكلمة. مجمع البحرين مادة رسل. \$والرسول - بالمعنى الأعم - حامل الرسالة بأية طريقة بلغت الرسالة بالقول أو الكتابة أو الإشارة، عبر جبرائيل (عليه السلام) أو الإلهام أو النكت في القلب أو عمود النور أو عبر الرسول (صلى الله عليه وآله) نفسه.

٣- راجع عوالم العلوم والمعارف والأحوال كتاب فاطمة الزهراء (عليها السلام) تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عج) وغيره.

(عليهم الصلاة والسلام) (١) أي يحتج الله بها عليهم، فيدل بالملاك الأولوي على أنها حجة على سائر الخلق.

هم فاطمة وأبوها وبعلمها...

(هم فاطمة وأبوها وبعلمها...)

لماذا جعلها الله محوراً

مسألة: يستحب بيان مكانة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عند الله تبارك وتعالى، وأنه تعالى جعلها (سلام الله عليها) هي المحور في تعريفهم (عليهم السلام).

وعند إرادة الحديث عن أفراد عائلة واحدة، يحسن اقتضاء تسمية واحد منهم - لاعتبارات معينة - كمركز، ثم إدارة أسماء الباقيين عليه، كما قال سبحانه: (فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها).

ولعل السر في جعلها (صلوات الله عليها) محوراً، إن الملائكة كانوا قد عرفوا فاطمة (عليها السلام) حين كانوا في الظلمة ثم ببركة نور فاطمة (عليها السلام) خرجوا إلى النور. وفي الحديث: عن جابر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: لم سميت فاطمة الزهراء، زهراء؟ فقال (عليه السلام): لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاعت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري (١).

ولربما كان السر نفس مفاد حديث: (لولاك لما خلقت الأفلاك...) (٢) أو لأجل أن فاطمة (سلام الله عليها) تصلح أن تكون محوراً مباشراً بلا واسطة بينما سائر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) إنما يتصل بعضهم ببعض بواسطة، ففاطمة وأبوها، وفاطمة وبعلمها، وفاطمة وبنوها، بينما إذا أريد إبدال اسمها باسم الرسول (صلى الله عليه وآله) فاللزام أن يقول: محمد (صلى الله عليه وآله) وابن عمه، ويقول محمد وأحفاده وكذلك بالنسبة إلى علي والحسين (عليهم السلام) فربما لهذه الجهة اقتضت البلاغة جعل (فاطمة) (عليها الصلاة والسلام) المحور.

الحركة الدورانية للمخلوقات والمحور الرئيسي لها

وربما يكون السبب هو ما ورد في الحديث الشريف عن الصادق (عليه السلام): (هي الصديقة الكبرى وعلي

١- عوالم العلوم: ٦١/١١ ب ٣ ح ٢ ط ٢.

٢- عوالم العلوم: ٢٦/١١ ب ٣ ح ١ ط ٢.

معرفتها دارت القرون الأولى(١).

ولا يخفى إن الله سبحانه قرر للمخلوقات حركة دورانية بمعنى العودة إلى المبدأ، كما جعل لاجزاء وجزئيات عالمي المادة والماورائيات محاور وأقطاب رحي، فالشمس والقمر والكواكب والأرض يدور بعضها حول بعض، وتدور على القرون، وماء البحار وغيرها تبخره الشمس فيصعد إلى السماء، ثم ينزل منها إليها على شكل أمطار وهكذا دواليك(٢).

والأشجار والحيوانات كذلك تنشأ من الأرض ثم تعود إليها كما كانت.

قال سبحانه: ((وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا)) الآية(٣).

وقال تعالى: ((مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ)) (٤) إلى غير ذلك من الأمور، حتى أن العلماء قالوا: كما أن المادة تتحول إلى (طاقة) وإحدى سبل ذلك الانفجار الذري، بل ذلك حادث بشكل طبيعي في أجهزة بدن الإنسان والحيوان... دوماً كذلك الطاقة يمكن أن ترجع إلى الـ (مادة) وإنما الأمر بحاجة إلى أجهزة متطورة تتمكن من استرجاعها كما كانت.

هذا في الماديات.

أما المعنويات: فلها مدار وقطب ومركز أيضاً، ولذا يقال: يدور المجتمع السليم على محور الدين، بمعنى أن الأخذ والعطاء والمعاملات والنكاح وغيرها تكون على محور الدين، وحتى الماديون يرون إن برامجهم ومناهجهم ومجتمعهم، تدور على محور أوامر ماركس مثلاً، فمنه تستمد وإليه ترجع، فإن المجتمع لا تكفي فيه المادة فقط، بل يحتاج إلى قوانين تقوم بتنظيم حياته في مختلف الأبعاد، فلا بد أن يكون له قانون، يكون هو عماد الحياة ومحورها، يدير شؤونه ويحول دون الفوضى والهرج والمرج.

إن فالحياة المادية تدور هي بدورها على محور البعد المعنوي سليماً كان أم سقيماً. وحيث إنهم (عليهم السلام) محور الكون والكانات، حيث كانوا هم السبب في إفاضته سبحانه وتعالى: المادة والمعنى(٥)، وكانوا هم الطرق والوسائط في هذه الإفاضة، لذلك فهم (عليهم السلام) قطب رحي الوجود، وعليهم تدور القرون والأزمان بقول مطلق، وفاطمة (عليها الصلاة والسلام) هي محور هذا المحور.

وإنما خصص بـ (الأولى) في قوله (عليه السلام): (وعلى معرفتها دارت القرون الأولى) كما في رواية البحار، عن الإمام الصادق (عليه السلام)(٦)، لأن الأولى إذا كانت على كيفية، فالأخرى تكون على تلك الكيفية.

١- بحار الأنوار: ١٠٥/٤٣ ح ١٩. وفي أمالي الطوسي بإسناده عن إسحاق بن عمار وأبي بصير عن أبي عبد الله الصادق ((عليه السلام)) أيضاً.

٢- ألف والنشر مشوش فـ(الشمس والقمر...) مثال لـ (كما جعل... محاور وأقطاب رحي) و(ماء البحار...) مثال لـ (حركة دورانية) وكذلك المثال اللاحق (والأشجار...) وما بعده أيضاً، وأما المعنويات فأمثلة الإمام المصنف هي للقسم الثاني فقط أي (كما جعل... محاور) فليلاحظ.

٣- نوح: ١٧.

٤- طه: ٥٥.

٥- سبق هذا المبحث وسيأتي تفصيلاً أيضاً.

٦- عوالم العلوم والمعارف: ٣٦/١١ ب ٦ ح ٦ ط ٢.

عرفاً - بخلاف ما إذا كانت الأخرى كذلك، حيث لا تستلزم أن تكون الأولى مثلها أيضاً، وإذا أطلق بأن قال: (دارت القرون) كان المنصرف منه قروننا فقط من قبيل قوله سبحانه في مريم (عليها السلام): ((على نساء العالمين)) (١) حيث المنصرف منه (عوامل زمانها). مثل أن يقال: (الدولة الفلانية أقوى الدول) حيث إن المنصرف منه: (الدولة المعاصرة لها).

معادن الثروات المعنوية

وكما أن الله سبحانه جعل للماديات مخازن تستمد منها، مثل الشمس التي هي مخزن ومنبع النور والحرارة والدفء، والبحار وهي مخزن الماء والأسماك و.. والهواء وهو مصدر ومخزن الاوكسجين الذي به يتنفس الإنسان والنبات والحيوان، إضافة إلى ما يحمله من أمواج - بشتى أنواعها - وغيرها، والأرض وهي مخزن التراب وما ينشأ منه من النباتات والأشجار وغيرها.

وكذلك جعل للمعنويات مخازن ومعادن، يتم الإستمداد منها بالمباشرة أو بواسطة القدوة والأسوة، فالأنبياء (عليهم السلام) خزنة علم الله سبحانه ورسالاته، وكذلك الأوصياء والسيدة الزهراء (عليهم السلام)، والناس يستمدون منهم مختلف العلوم والمعارف، إذ كل المعارف والعلوم البشرية تعود إليهم بشكل أو بآخر. وكذلك للشجاعة والكرم والعاطفة وغيرها من الفضائل، منابع ومعادن فإن تلك الصفات في الكبار من الناس تحتذى بالأسوة والإتباع.

العلّة في بكاء يعقوب والزهراء (عليهما السلام)

ولعل بكاء يعقوب (عليه السلام) تلك المدة الطويلة كان من ذلك، حيث يستمد الناس منه العاطفة بالأسوة والإقتداء.

وكذلك بكاء الصديقة الطاهرة والسجاد (عليهما السلام)، إلى غير ذلك.

فلا يقال: كيف بكى يعقوب (عليه السلام) وهو يعلم إن ولده حي وسيرجع إليه ملكاً؟ وكيف بكى السجاد (عليه السلام) والزهراء (عليها الصلاة والسلام) وهما يعلمان بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) والحسين (عليه السلام) وأهل بيته والمستشهادين بين يديه (عليهم السلام) ذهبوا إلى جنان الله الوسيعة؟ وكان علمهم بذلك عين اليقين بل حق اليقين.

هذا بالإضافة إلى أن بكاءهما (عليهما السلام) كان سياسياً أيضاً، حيث أرادوا فضح المخالفين، فإن كلاً من الهجوم والدفاع يكون عاطفياً بالبكاء ونحوه، وسياسياً بالحوار والمعاهدات ونحوهما، كوضع الرجل المناسب في المكان المناسب وعكسه، واقتصادياً وغير ذلك مما سنذكره في مقدمة الخطبة إنشاء الله تعالى.

لا يقال: إذا كانوا (عليهم السلام) يعلمون بأن ذويهم في روح وريحان وجنة ورضوان وفي كمال الراحة، فلماذا كانوا يبكون؟ وهل يتأتى البكاء لمن يرى ذويه في راحة ونعيم؟

لأنه يقال: قد ذكرنا في بعض مباحث الكلام إن علمهم وإحساسهم الغيبي لا يؤثر في شؤونهم الدنيوية، وإلا

لم يكونوا أسوة، وكذا بالنسبة إلى القدرة الغيبية ولذا لم يستخدموها لدحر العدو أو للتوقي من القتل وشبه ذلك على تفصيل ذكرناه هناك.

وبنوها

(وبنوها)

الجمع، والجماعة

(بنوها) وإن كان صيغة جمع، إلا أن المراد به أولاً: اثنان هما الحسن والحسين (عليهما السلام) وهذا ما يسمى بالجمع المنطقي والعرفي، بل قال بعض الأدباء: إن الجمع مصدر جمع وهو يصدق على الاثنين فما فوق، فهو جمع لغوي وأدبي أيضاً.

أما قول النبي (صلى الله عليه وآله) فيما روي عنه: (المؤمن وحده جماعة) (١)، فالمراد أنه في بأسه وشدته واستقامته وصلابته كالجماعة، حيث إن (يد الله مع الجماعة) (٢) وإن قوة الجماعة أقوى من قوة الفرد، فالمؤمن حاله حال الجماعة في قوة نفسه وصلابته ذاته. وهو كما قال (عليه السلام): (لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة من يسلكه) (٣)

١- وسائل الشيعة: ٣٧٩/٥ ب ٤ ح ٢.

٢- نهج الفصاحة: ٦٤٦ ح ٣٢١١ ط طهران، وفيه (يد الله على الجماعة).

٣- مستدرک الوسائل: ١٩٤/١٢ ب ٤ ح ٣.

فقال جبرائيل: يا رب أتأذن لي

(فقال جبرائيل: يا رب أتأذن لي)

الاستئذان من ذي الحق

مسألة: يستحب استئذان الداني من العالي، فيما يرتبط به نظراً لتلك الكلية، وكما استأذن جبرائيل (عليه السلام) من الله سبحانه، وكما استأذنوا (عليهم السلام) منه (صلى الله عليه وآله) وكما استأذن جبرائيل (عليه السلام) منه (صلى الله عليه وآله) أيضاً، مع أنه كان لهم الدخول بلا استئذان، لأنه من قبيل بيت تضمنته الآية الشريفة، بل بالملاك الأولوي هنا، ولعل استئذان جبرائيل (عليه السلام) كان من ذلك أيضاً.

نعم في بعض الموارد يحرم الدخول بدون الإذن لكون الحق للسابق، ولا يجوز الدخول في ما هو من حقه إلا بإذنه، أو العلم برضاه وعدم المحذور، كما في مورد العورات الثلاث.

ومن قبيل المستحب استئذان الزائر من الإمام المزور (عليه السلام) في المراقد المطهرة. والظاهر استحباب أن يأذن من ليس في إذنه محذور، كما أذن النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم (عليهم السلام).

ويؤيده أنه قضاء حاجة، وهو مستحب مطلقاً في غير المحرمات.

وهل يستحب إذن السابق، في الموارد المكروهة؟

الظاهر أنه من باب التزام بين ترجيح قضاء الحاجة وترجيح الكراهة، فإن علم أهمية أحدهما قدام، وإلا تخير، وكذلك الإذن عند الاستئذان لأي عمل مكروه، فلو فرض أن إتيان المرأة من الخلف مكروه فاستأذنها الزوج في ذلك فهل يستحب لها القبول أم لا؟ أم يكره؟ إلى غير ذلك من الأمثلة. ثم إن الإذن ليس مما إذا ثبت دام لزوماً، بل للسابق أن ينقض إذنه بعد زمان.

أن اهبط إلى الأرض

(أن اهبط إلى الأرض)

نوعية الهبوط

ربما يستفاد من الحديث، إن جبرائيل (عليه السلام) أقرب الملائكة أو أذكاهم أو أفهمهم أو أبصرهم أو أقواهم أو أسرعهم أو ما أشبهه، لأنه بادر لاستئذان الرب تعالى، وطلب الدخول معهم (عليهم السلام) دون سائر الملائكة، مع إن الكل سمعوا نداء الرب تعالى.

فإن ذلك يفهم بدلالة الاقتضاء على المعنى المذكور سابقاً.

ثم لا يعلم هل كان الهبوط مادياً أم معنوياً؟ حقيقياً أم مجازياً؟ وإن كان لا يبعد كونه حقيقياً، وذلك مثل قوله سبحانه: ((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ)) (١) إلا أن يقال إن الحديد أيضاً منزل من السماء، على ما يقوله بعض علماء الفلك، من أن الأرض انفصلت من الشمس قبل ملايين السنين، فالحديد أنزل إنزالاً حقيقياً مكانياً لا معنوياً بسبب أمر الله سبحانه وتعالى بتكوّنه.

لأكون معهم سادساً

(لأكون معهم سادساً)

الإلتحاق بركب المتقدمين

مسألة: يستحب الإلتحاق بركب المتقدمين وأولياء الله الصالحين، والحضور في مجالسهم ومجامعهم، لينال الملتحق درجات من التقدم والكمال، كما استأذن جبرائيل (عليه السلام) ليكون معهم، بل والمعصومون الأربعة (عليهم السلام).

أما أصل استحباب نيل التقدم والتكامل والتعرض له، فلا إشكال فيه، قال سبحانه: ((سارِعُوا)) (١) وقال تعالى: ((فَاسْتَبِقُوا)) (٢) وقال جل اسمه: ((فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)) (٣) إلى غير ذلك.

وأما إن المقام من صغرياته، فلأن التواجد في محضر العظيم تترتب عليه فوائد دنيوية وأخروية. وذلك لأن الرحمة والبركة والخير والإفاضة النازلة باستمرار عليه تشمل الذي معه - بشكل أو بآخر، بدرجة أو بأخرى - قال سبحانه: ((فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)) (٤) وقال تعالى: ((لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (٥) إلى غير ذلك ولا أقل من الملاك.

إضافة إلى أن كون الإنسان مع عظيم الهي، يوجب الإستضاءة بنور هدايته وأخلاقه وآدابه والاستفادة من نعيم علومه، وفي كليهما فائدة كبرى أخروية بل ودنيوية أيضاً، هذا مع قطع النظر عن بلوغه درجات سامية لا يمكن للأشخاص الوصول إليها عادة، إلا بالإلتحاق بركب عظيم من العظماء.

والأشياء كما تعرف بأمثالها، كذلك تعرف بأضدادها، فكما أن كون الإنسان مع الظالم والفاسق والمنافق نقص - في حد ذاته وبلحاظ لوازمه أيضاً - كذلك طرفه كمال.

ولا يقال: ليس كل مستحب طرفه مكروه، ولا العكس.

لأنه يقال: ليس الإستدلال بذلك، بل بما سبق وبالفهم العرفي، كما ألمعنا إليه في مقدمة هذا الكتاب - في مثل المقام - وإن لم يكن له إطلاق.

١- آل عمران: ١٣٣.

٢- يس: ٦٦.

٣- المطففين: ٢٦.

٤- إبراهيم: ٣٦.

٥- الأعراف: ١٥٠.

أهمية هذا الإجتماع الرباني

مسألة: يستحب بيان مدى أهمية هذا الإجتماع المبارك عند الله تعالى، فإن استنذان جبرائيل (عليه السلام) كي يكون واحداً من أهل الكساء، وأن يكون معهم ولو للحظات - إضافة إلى سائر القرانن والأدلة التي سبقت، وستأتي في هذا الحديث وغيره - دليل على الأهمية القصوى لهذا الإجتماع الفريد عند الله سبحانه وتعالى، فإن للاجتماعات المعنوية أهميتها البالغة، فكيف باجتماع من هم وسائط الله وحججه؟

وإذا كانت للاجتماعات المادية، كاجتماع رؤساء الدول لأجل اتخاذ قرار إقتصادي أو سياسي أو اجتماعي أو ما أشبه ذلك أهمية، كبرى لما تتركه من آثار سلبية أو إيجابية على مستقبل البلاد، فكيف باجتماع خطط له اله الكون، وقد ضم من بسببهم خلق الكون كله؟ وقد بين فيه الله سبحانه سر الخلقة وحقائق كونية أخرى في غاية الأهمية كما سيأتي، كما ترتبت عليه ثمار وآثار وضعية للبشرية - كما سيوضح ذلك إن شاء الله تعالى -.

قال الله: نعم قد أذنت لك

(فقال الله: نعم قد أذنت لك)

الإذن من ذي الحق

مسألة: يستحب الإذن من ذي الحق، إذا كان في تلبية طلب المستأذن، فائدة له أو لذاك أو لغيرهما، بل مطلقاً، ولو باعتبار كونه قضاء حاجة، وقضاء الحاجة إلا في المحرم - وأحياناً المكروه - مستحب، وقد أذن سبحانه لجبرائيل (عليه السلام) بالهبوط لما استأذنه.

هل الأصل التخلق بأخلاق الله؟

لا يقال: أعمال الله لا يقاس عليها، لأن الله يعمل الخير والشر، قال سبحانه: ((وَيَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)) (١).

وقال تعالى: ((طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)) (٢) وقال سبحانه: ((مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)) (٣) وقال تعالى: ((كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)) (٤) إلى غير ذلك من الإحياء والإماتة والأمراض وترك الظالم وظلمه ونحوها. لأنه يقال:

أولاً: في الحديث: (تخلقوا بأخلاق الله) (٥)، والمراد بالأخلاق: الإطلاق لا خصوص المعنى المصطلح، كما هو (٦) المراد بـ: (إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق) (٧) وقالت إحدى زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) لما سئلت عن أخلاقه (صلى الله عليه وآله): (كان خلقه القرآن) (٨) ونحوهما، والإستثناء يحتاج إلى الدليل، فالأصل

١- الأنبياء: ٣٥.

٢- التوبة: ٩٣.

٣- غافر: ٣٣.

٤- النساء: ٧٨.

٥- بحار الأنوار: ١٢٩/٦١ ب ٤٢، الحجة السادسة.

٦- أي: الإطلاق، والمعنى الأوسع.

٧- مستدرک الوسائل: ١٨٧/١١ ب ٦ ج ١.

٨- نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ٣٤٠/٦ ط بيروت.

هو التخلق إلا ما خرج.

وثانياً: انه سبحانه يعمل حسب المصلحة التي ألزم بها نفسه في التكوين والتشريع، فإن الأقسام خمسة: ما هو خير محض، وما خيره أكثر، وما هو شر محض، وما شره أكثر، والمتساوي الطرفين.

وقد ثبت في الكلام (١) إن الله سبحانه لا يعمل إلا الأولين، فيكون التعبير بالشر مسنداً له، إلى الله تعالى مجازياً بنحو المجاز في الإسناد بل والكلمة أيضاً (٢).

ولو فرضنا أن إنساناً استطاع أن يدرك مصالح الأمور ويحيط بها جميعاً، بأن علم إن الإماتة في مورد معين خير محض، أو خيره أكثر إلى حد المنع من النقيض، كان له ذلك أيضاً من حيث المقتضي - مع قطع النظر عن كونه تصرفاً في ملك الغير، أعني: الله سبحانه وتعالى - وذلك كما في قتل المسلم إذا تترس به الكفار، لأنه في اللازم لا إشكال، وفي الثاني تأتي مسألة الأهم والمهم.

وأما (الابتلاء) فهو بمعنى الإمتحان، والأمر في نظائره كذلك على ما فصل في علم الكلام.

إضافة إلى جواب آخر ذكره البعض كالطوسي (قده) والعلامة (قده) والسبزواري (قده) من أن الشر اعدام، فالأمر من قبيل باب السالبة بانتفاء الموضوع (٣) ويكون التعبير به في الآيات والروايات مسنداً إلى الباري تعالى مجازياً بنحو المجاز في الكلمة (٤)، والإماتة والإمراض وشبهها - على هذا القول - كلها خير وإن خفي علينا ذلك.

ثم عمله الشر، لو فرض فلأنه مالك حقيقي له أن يتصرف في ملكه، فلا يصح التخلق في ما ثبت أنه شر فقط، فليتأمل.

١- راجع المنظومة للسبزواري والتجريد للطوسي وشرحهما للإمام المؤلف.

٢- إذ اطلاق (الشر) على ما خيره أكثر مجاز في الكلمة.

٣- المراد كما يبدو أن قولك (خلق الله الشر) أو (الشر مخلوق الله) غير تام، من جهة أن الشر عدم محض غير قابل للخلقة، لا أنه ممكن الخلقة لكنه تعالى لم يخلقه، من جهة المصلحة التي ألزم بها نفسه كما هو مقتضى الجواب السابق.

٤- بأن يكون إطلاق الشر على (ما يتوهم شراً) وإن كان خيراً حقيقة، أو على الشر بالقياس النسبي.

فهبط الأمين جبرائيل وقال: السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى.

(فهبط الأمين جبرائيل)

(وقال: السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى)

وصف الله بالعلي الأعلى

مسألة: يجوز خطاب الله تعالى بالعلي الأعلى، حتى بناءً على أن أسماء الله توقيفية، استناداً لهذا الحديث الشريف.

ولعل جبرائيل (عليه السلام) إنما قال (العلي) باعتبار أنه قد هبط من أعلى، وكلما هبط الإنسان وكان من موقع أعلى فأعلى، تجلى علو العالني له أكثر فأكثر، ويكون أظهر بالنسبة إليه، ولهذا ورد أنه (لما نزلت ((فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ))، قال لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ((سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)) قال لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجعلوها في سجودكم(١).

وحيث إن العلو يمكن اتصاف غير الله سبحانه وتعالى به عرفاً - وإن كان بمعناه الحقيقي وبقول مطلق منحصراً جل وعلا - قيده جبرائيل (عليه السلام) بالأعلى، فإنه أعلى من كل عال، وهذا من ضيق التعبير، إذ أين المحدود من اللامحدود والفقر المحض من الغني ذي القوة المتين؟

ثم إن جمعاً من أهل الذكر والدعاء، قالوا: إن الإنسان إذا كرر وأكثر من ذكر أحد أسماء الله سبحانه وتعالى أفاض الله عليه مفاد ذلك الاسم، فمثلاً: من يريد العلو: إذا أكثر من ذكر (يا علي) ومن يريد الغنى إذا كرر (يا غني) ومن يريد الجاه إذا لازم ذكر: (يا ملك) وهكذا، فإن الله سبحانه وتعالى يفيض عليه مصاديق تلك الألفاظ، وهذا من المجربات وإن لم أجد به رواية.

تعظيم الله سبحانه

مسألة: يستحب تعظيم الله سبحانه عند ذكر اسمه دائماً، كما قال جبرائيل (عليه السلام): (العلي الأعلى). وكذلك تعظيم كل من عظمه الله تعالى، فإذا ذكر الإنسان الرسول (صلى الله عليه وآله) وإذا سمى علياً (عليه السلام) أو الحسن (عليه السلام) أو غيرهم من المعصومين (عليهم السلام) عقب الاسم بوصف أو دعاء دال على العظمة والرفعة مثل: (عليه السلام) و (صلوات الله عليه) و (روحي له الفداء)، وما أشبه ذلك.

يُقرئُك السلام

(يُقرئُك السلام)

إرسال السلام عبر الوسطة وأحكامه

مسألة: يستحب إرسال السلام، كما أرسل الله تعالى السلام بواسطة جبرائيل (عليه السلام) وقد صدر ذلك من الأئمة (عليهم السلام) أيضاً كثيراً، حسب الروايات، والإرسال يصح أن يكون إلى فرد أو إلى جماعة، بواسطة فرد أو جماعة، وفي الحديث: (أقرئ موالينا السلام) (١) وفي حديث (فاطمة سلام الله عليها) إبلاغ السلام إلى ذريتها، إلى غير ذلك.

والظاهر أن رد مثل هذا السلام ليس بواجب، لاتصريف أدلة الوجوب عن مثله.

نعم يستحب قطعاً، للملاك، ولأنه من الخلق الكريم.

وهل يجب إبلاغ الوسطة لمثل هذا السلام؟

لا إشكال في عدم الوجوب إن لم يتعهد بالإبلاغ، أما إن تعهد فيحتمل الوجوب لأنه من الأمانة، كما يحتمل عدم لأنه ليس إلا وعداً، والمشهور عدم وجوب الوفاء، والثاني أقرب إلى الصنعة وإن احتملنا في الفقه: وجوب الوفاء بالوعد في الجملة، والأول إلى الاحتياط.

ثم لو قال جماعة لزيد: أبلغ فلاناً سلامنا، يكفي الموجز بأن يقول: إن جماعة أبلغوك السلام، لسيرة المتشرعة من غير تكبير، بالإضافة إلى إن المستفاد من الأدلة لا دلالة له من حيث التنصيص.

والسلام المرسل عبر الكتاب، حاله حال السلام المرسل بواسطة الرسول، ومثلهما السلام في التسجيلات الصوتية ونحوها، نعم لا يجب رد السلام على وسائل الإعلام العامة بلا إشكال (٢).

جواز حذف بعض الحديث المنقول

مسألة: من المحتمل أن يكون جبرائيل (عليه السلام) قد سلم على النبي (صلى الله عليه وآله) فقط - على ما ربما يستظهر من اقتصار الزهراء (عليها الصلاة والسلام) في النقل على ذكر (يقرئك السلام) - فيعمل ذلك بأنه

١- بحار الأنوار: ٢٠٠/١ ب ٤ ح ٧.

٢- راجع في هذا المبحث: (ألف مسألة متجددة)، (الفقه: المسائل المتجددة)، (الفقه: الواجبات والمحرمات)، (الفقه: الآداب والسنن).

من جهة أنه (صلى الله عليه وآله) أعظم الموجودين تحت الكساء، فاقتضى إجلاله وإعظامه، تخصيص الخطاب والسلام به.

ومن المحتمل أن يكون جبرائيل (عليه السلام) قد سلم عليهم (عليهم السلام) - بعد سلامه على الرسول (صلى الله عليه وآله) - وإنما ذكرت الزهراء (عليها الصلاة والسلام) بعد كلام جبرائيل، احتراماً واجلاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث إن تشريك غيره معه في النقل، ليس بذلك التعظيم له فيما إذا ذكر وحده. ومن الواضح أن حذف ما يعلم وما هو بمنزلة جاز، كما نجد ذلك في كثير من الروايات، حيث لا تتعرض صراحة لكثير من المطالب والحوادث الواقعة، وذلك لوجود القران الحالية أو المقالية الأخرى، فيمكن استكشافها كثيراً من أماكن أخرى.

كما أن الزهراء (عليها السلام) حين نقلها كلام الله تعالى، لم تقل (بأن الله أمر جبرائيل (عليه السلام) أن يُقرئ نبيه السلام، ويخصه بالتحية والإكرام، ويقول له وعزتي وجلالي) وقد استنبط ذلك بالملازمة العرفية من كلامه.

وهذا جار عند البلغاء، حيث يكتفون بذكر بعض الكلام في الكثير من المواقع، كما هو شأن القرآن الحكيم في نقله للقصاص فإنه يذكر بعضاً ويترك بعضاً آخر، ويعلل ذلك - فيما يعلل به - بـ: لكي يحدث في النفس منطقة فراغ، لتذهب النفس في ذلك الفراغ كل مذهب، من قبيل ما ذكره في قوله سبحانه: ((وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا)) (١) حيث إن الفراغ محل لتجول الخواطر، وتقليب وجوه الرأي، والتعود على التدبير والإستنباط، بينما إذا كان ممثلاً لم يكن له إلا وجه واحد وهو ما ملأه.

وقد يكون ذلك السبب - أو جزء السبب - أحياناً في تقطيع بعض المحدثين الأحاديث وذكرهم بعضها دون بعض، وإن كان الغالب في التقطيع: كونه لأجل الإقتصار على محل الحاجة.

وَيَخْصُكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ

(وَيَخْصُكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ)

التحية والتكريم

مسألة: يستحب تحية وتكريم من كان أهلاً لهما.
و (التحية) من الحياة، والمراد بها: الحياة السعيدة.
و (الإكرام) جعل الإنسان كريماً، أي ربيعاً مرضياً، فسلامة وحياة وكرامة، وهذا غاية التجليل، ودعاء بأهم عوامل السعادة، فإن كل واحد وإن كان يطلق على الآخر أحياناً، ولذا أريد بـ ((حَيِّثُمُ بِتَّحِيَّةٍ)) (١) الأعم من السلام، إلا أن الجمع بينها كان للدلالة على مزيد التجليل والتبجيل.
فإن ألفاظ لغة العرب - وإن كانت مترادفات في الصورة - إلا غنها لدى الدقة مختلفة باختلاف الخصوصيات، مثلاً الجواد والسخي والكريم كلها تعطي معنى البذل والعطاء، لكن بينها فرقاً:
فالأول: من يعطي ولا يريد بذلك شهرة، ولا كمالاً لنفسه، عبر الجود.
والثاني: من يريد كمالاً أو شهرة بذلك، ولذا لا يطلق على الله سبحانه: السخي.
والثالث: من يعطي وهو كريم، وقد ظهرت منه محاسن عديدة (٢) أو يقصد التكريم.
والتحية إذا كانت بغير لفظ السلام لا تجب الردّ على المشهور، وإن كان ذلك مقتضى سمو الخلق ورفع الأدب.

ثم إن السلام من الله سبحانه، معناه: السلام لعبيده مع قطع النظر عن التحية، أما السلام نسبة إلى الله تعالى، كما ورد في أعمال مسجد الكوفة: (اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام) (٣)، وكون الله سلاماً كما قال سبحانه: ((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ)) (٤)
فمعناه: أنه باعث السلام وخالقه أو أنه لا نقص فيه ولا عيب ولا تغير.
مسألة: يستحب بيان إن الله تعالى قد أقرأ رسوله (صلى الله عليه وآله) السلام وخصه بالتحية والإكرام.
فإن معرفة ذلك وأشباهه، توجب مزيداً من ربط وتعلق الإنسان بربه وبرسوله كما لا يخفى، إضافة إلى

١- النساء: ٨٦.

٢- راجع لسان العرب.

٣- مفاتيح الجنان: ٣٠٩ (أعمال جامع الكوفة) ط بيروت.

٤- الحشر: ٢٣.

العموميات التي تشمل المقام وأمثاله، ومنها ما سيأتي في هذا البحث من (ما ذكر خبرنا هذا...).

(ويقول لك: وعزتي وجلالي)

(ويقول لك: وعزتي وجلالي)

القسم وموارده

مسألة: يستحب الحلف، وقد يجب، إذا كان الأمر المحلوف عليه مهماً، كما حلف الله سبحانه، وإنما يجب إذا كان المحلوف عليه شرفاً وعرضاً ينتهك بترك الحلف، كما في المرافعات، أو مال صغير وهو متوليه، أو ما أشبه ذلك.

وهذا لا ينافي كراهة مطلق الحلف، ولذا لم يحلف الإمام زين العابدين (عليه السلام) وأعطى المهر لمن ادعت عليه عدم إعطائه لها المهر، معللاً بأن الله سبحانه أجل شأناً من أن يحلف عليه لأجل المال.

والحلف من الله سبحانه في هذا الأمور تأكيداً للأمر، لا لهم (عليهم السلام) بل للناس حينما يبلغهم الخبر.

وقد أكثر الله سبحانه من القسم في القرآن الحكيم.

أما قوله تعالى: ((لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ)) (١) وما أشبهه، فالظاهر أنه إلماع إلى الحلف، بدون أن يحلف، جمعاً

بين التجليل والحلف، لا أن (لا) زائدة كما قاله بعض الأدباء.

وقوله سبحانه: ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ)) (٢) حلف بالعمر بالضم، لكن صيغة الحلف تأتي بالفتح، ولعل

(الكاف) لمن يتأتى منه الأمر مثل: ((وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ)) (٣) حيث قال الأدباء: إنه يريد به من تتأتى منه الرؤية.

وقد ذكرنا في (الفقه) صحة إحلاف كل إنسان بما يعتقد به من كتاب ونحوه، كاليهود والنصارى ومن

أشبههم، بل لا يستبعد صحة الإحلاف بمثل العباس (عليه السلام) بالنسبة إلى من يخشاه ويهابه، حيثما توقف

ظهور الحق على ذلك دون ما عداه، وتفصيل الكلام في ذلك في باب الأيمان (٤).

أما الحلف بما هو باطل محض كالصنم ونحوه، فلا يجوز إلا إذا اضطر إليه، حيث إن الضرورات تبيح

المحظورات، وقد ورد في الحديث: (ليس شيء مما حرم الله إلا وقد أحله لمن اضطر إليه) (٥) إلا أن تراحمه

١- البلد: ١.

٢- الحجز: ٧٢.

٣- السجدة: ١٢.

٤- راجع (الفقه: كتاب الجعالة، الأيمان، النذر).

٥- وسائل الشيعة: ١٦/١٣٧ ب ١٢ ح ١٨.

جهة أخرى كما لو استلزم ذلك ترويجاً.

إني ما خلقت سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلماً يدور ولا بحراً يجري
ولا فلماً يسري

(إني ما خلقت سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلماً يدور ولا بحراً يجري
ولا فلماً يسري)

النقل باللفظ أو بالمعنى

مسألة: يستحب، وقد يجب، النقل بالنص، فإن جبرائيل (عليه السلام) بلغ نص ما قاله الله سبحانه وتعالى وهو: (إني ما خلقت سماءاً مبنيةً) إلى آخره، وذلك يدل على أفضلية أن يذكر الإنسان نص ما صدر عن الله تعالى والمعصوم (عليه السلام)، وإن جاز النقل بالمعنى أو التقديم والتأخير إذا أريد المعنى، كما وردت بذلك الروايات وأفتى به الفقهاء، وذلك لتعسر أو تعذر النقل باللفظ عادة، أما لغير العرب فواضح، لأنهم لا يحسنون اللغة، وأما العرب فإنه من المتعسر جداً الضبط الكامل، وإن كانت الألفاظ بخصوصياتها ذوات مزايا لا توجد في النقل بالمعنى، حتى لو كانت باللغة العربية وبمرادفاتها أيضاً.

والحاصل إن الأمر من باب الأهم والمهم، وإلا فاللفظ له مدخلة لا توجد في ألفاظ أخرى تفيد ذلك المعنى بتلك اللغة أو بلغة أخرى، ولعل بعض الاختلاف في الروايات نشأ من ذلك.

التذكير بالتكرار

مسألة: يرجح التذكير بالتكرار بالمهم من الأمور والتأكيد عبر التكرار، فإن تكرار هذا المقطع في كلام الزهراء (عليها الصلاة والسلام) إنما كان لأهميته، إذ أنه كان بإمكانها الإشارة إلى أن جبرائيل (عليه السلام) أدى الرسالة الإلهية إلى النبي (صلى الله عليه وآله).

ولا يخفى إن الله سبحانه وتعالى، خلق كل الكون دنيماً وآخرة لأجلهم (عليهم الصلاة والسلام) كما دل على ذلك متواتر الروايات، وذكر السماء والأرض والشمس والقمر والبحر في حديث الكساء - إنما هو لارتباطها بالشؤون الأرضية التي هم فيها.

إلا لأجلكم ومحبتكم

(إلا لأجلكم ومحبتكم)

المعصومون (عليهم السلام) أجل وأعظم من الكون

مسألة: يستحب دعوة الناس إلى التمسك بمن ينفعهم في دينهم ودنياهم وقد يجب، كما وجّه سبحانه الناس إلى الخمسة الأطياب مرات عديدة، ببيان أن الكون خلق لأجلهم. إذ يجب في الواجبات - كالمقام - ويستحب في المستحبات توجيه الناس إلى ما ينفعهم، ولأنهم (عليهم السلام) العلة الغائية (١) للكون، فهم أجل وأكبر وأعظم منه، وغير خفي إن كونهم (عليهم السلام) أجل وأكبر وعظم من الكون، لا يراد به البعد المادي (٢)، بل المقصود الجانب المعنوي، فكما أن مثقالاً من الألماس قد يكون أعلى من مليون مثقال من الفحم - في القيمة والمعنى - كذلك في المقام.

وقد رأى النبي (صلى الله عليه وآله) في المعراج قافلة من الأبل لا يعلم أولها ولا آخرها وهي محملة بفضل الإمام علي (عليه السلام)، وقد يكون ذلك من باب تشبيه المعقول بالمحسوس (٣) وربما يكون حقيقياً كأن تكون فضائله (عليه السلام) مسطرة في صحائف وكتب حملتها ملايين الإبل، كما تشهد به بعض القران، أو بكون فضائله (عليه السلام) حقيقة وبما هي هي، محمولة، ويكون المجاز في (الإبل) فليدقق.

فإن معنوية الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أكبر من الكون وهو المصدق الأتم بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) للشطر الثاني من قوله (عليه السلام):

(أترعم انك جرم صغير***وفيك انطوى العالم الأكبر)

وهو كذلك بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنما كان الإمام علي (عليه السلام) كنافذة لتلك النفس الرفيعة الكبيرة، مثل نبع تحته بحار من المياه.

والمراد بالمعنوية: سعة وعمق علمه حلمه وسمو خلقه وآدابه، وقوة إمكانياته في التصرف في الكون، إلى

١- قد سبق في الكتاب الحديث عن ذلك تفصيلاً.

٢- اللهم إلا على التوجيه الآتي آخر هذا البحث فيشمّل البعدين.

٣- بفرض تحول المعنى إلى المادة، كما تتحول الطاقة إليها وذلك كما فرضنا حمل الإبل للكرة الأرضية - أو المشتري الذي هو أكبر من الأرض ألف مرة، كما يقول علماء الفضاء - لاستدعى ذلك الملايين من الإبل كما هو واضح.

ما أشبه ذلك (١).

وذلك كقوله سبحانه: ((لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)) (٢).

فإنه إذا قيست معنوية القرآن بمادية الجبل، تكون معنوية القرآن أضعاف أضعاف مادية الجبل، فإنه قد يلاحظ المادي في قبال المادي، وقد يلاحظ المعنوي في قبال المعنوي، وقد يلاحظ في قبال المادي وقد يكون العكس، وهذه الآية من القسم الثالث.

ومن المعلوم إن المادي قد يتحول معنوياً، كما في تحول المادة إلى الطاقة في الإنفجار الذري مثلاً، وفي تحول الأغذية في بدن الإنسان إلى قوة وطاقة.

وقد يبادل المادي ويعوض بالمعنوي، كصرف المال لأجل العلم، فإن العلم معنوي والمال مادي، وقد يكون العكس كصرف العلم في تحصيل المال، وقد يصرف العلم لتحصيل علم آخر، أو المال لتحصيل مال آخر، فلو فرض أن القرآن المعنوي تحول إلى شيء مادي، لكان الجبل خاشعاً متصدعاً بسبب ذلك الشيء المادي، الذي تحول القرآن المعنوي إليه، وهناك معنى آخر لتوضيح الآية الشريفة نذكره في محله.

ولكونهم (عليهم السلام) أكبر وأعظم من الكون، توجيه آخر هو ما قد ذهب البعض إليه، من الإلتزام بالسعة الوجودية والإحاطة الشمولية، والكلام في المقام طويل وعميق، نكتفي منه بهذا القدر.

١- إلى جانب من ذلك يشير الشاعر بقوله: \$(له هم لا منتهى لكبارها***وهمته الدنيا أجل من الدهر).-

٢- الحشر: ٢١.

وقد أذن لي أن أدخل معكم فهل تأذن لي يا رسول الله

(وقد أذن لي أن أدخل معكم فهل تأذن لي يا رسول الله)

الإستئذان طويلاً

مسألة: يستحب الإستئذان المجدد من العظيم - وإن حصل الإذن من الله تعالى من قبل - احتراماً لذلك العظيم، كما استأذن جبرائيل (عليه السلام) من النبي (صلى الله عليه وآله).
ولربما توقف الجواز (١) على الإذن الثاني، فيما لو كان إذن الله سبحانه وتعالى متوقفاً على إذنه (صلى الله عليه وآله)، كإذنه سبحانه وتعالى في التصرف في أموال الناس طويلاً، إذ يتوقف حينئذ على إذن المالك، فإن إذن الله سبحانه وتعالى إذا كان جزمياً، لم يتوقف على شيء آخر، وإن كان تعليقاً وعلى نحو الإجازة توقف على شيء آخر، فإنه أيضاً بأمر الله سبحانه وتعالى الذي جعله مالكاً، وهكذا في أمثال ذلك.
وهل دخول جبرائيل (عليه السلام) معهم (عليهم السلام) كان معنوياً أو مادياً، بمعنى أنه تمثل في صورة البشر ودخل معهم، كما كان أحياناً يتمثل بصورة دحية الكلبي وغيره، أم أنه بنفس روحه وواقعيته وكما هو هو دخل معهم؟
احتمالان، ولم يظهر من هذا الحديث ما يؤيد أحد الاحتمالين، ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وأولياؤه.

١- أي: جواز التصرف وشبهه.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وعليك السلام يا أمين وحي الله إنه نعم

(فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): وعليك السلام يا أمين وحي الله إنه نعم)

سلام غير الإنسان

مسألة: يجب رد سلام غير الإنسان كالملائكة، كما رد (صلى الله عليه وآله) سلام جبرائيل (عليه السلام)، والفعل وإن كان أعم إلا أنه يدل على الجامع، واستفادة الوجوب من الإطلاقات.

التأكيد

مسألة: يرجح التأكيد في مقام الجواب والإنذار إذا كان فيه الفائدة، حيث قال (صلى الله عليه وآله) (إنه نعم قد أذنت لك).

ومن الواضح أن التأكيد في مثل المقام، يفيد مزيد اشتياق الأذن للمستأذن، فليس تأكيداً لفظياً فحسب، ويحتمل أن يكون رد الرسول (صلى الله عليه وآله) معنوياً في قبيل المعنوي، أو مادياً ظاهرياً في قبيل الظاهري، فإن النفس قد توحى إلى النفس دون وساطة الجوارح.

قد أذنت لك فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء

(قد أذنت لك)

(فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء)

التجمع قوة وفائدة (١)

والظاهر أن جبرائيل (عليه السلام) كان يريد بذلك الطلب، الاستفادة المعنوية من معنوياتهم (عليهم السلام)، فكما يستفيد المادي من المادي، كاستفادة الشجر والحيوان والإنسان من الماء والطعام وما أشبه ذلك، كذلك يستمد المعنوي من المعنوي، كما يستفيد الإنسان من علم العالم وأخلاق الخلق وأدب الأديب وما أشبه ذلك، ولا شك إنهم (عليهم السلام) أفضل من جبرائيل (عليه السلام)، فدخله معهم سبب لاكتساب الخير منهم. وكما إن التجمع في الماديات، يوجب القوة، كذلك التجمع في المعنويات، يوجب قوة ذلك البعد أيضاً، ومن ذلك: (ما حار من استخار ولا ندم من استشار) (٢) و (أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله). وقد ورد عنهم (عليهم الصلاة والسلام): (يد الله مع الجماعة) (٣) أي: قوته وعزته وبركته، كما نشاهد ذلك في الماديات، فإن القطرات تتجمع حتى تكون بحراً وسيلاً يجرف القطيع أو المدن وغيرها. وكذلك الذرات تتجمع حتى تكون صحراء، والخلايا الحية تتجمع حتى تكون إنساناً أو حيواناً إلى غير ذلك، فكما أن التجمع في الماديات يُفيد قوة ومضياً، كذلك التجمع في المعنويات.

-
- ١- للتفاصيل راجع: (الفقه: السياسة)، (الفقه: الاجتماع)، (الفقه: الدولة الإسلامية)، (السبيل إلى إنهاض المسلمين)، (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام).
 - ٢- تحف العقول: ٢٠٦ ح ٤٨ ط طهران.
 - ٣- نهج الفصاحة: ٦٤٦ ح ٣٢١١، وفيه: (يد الله على الجماعة).

فَقَالَ لِأَبِي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ يَقُولُ:

(فَقَالَ لِأَبِي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ يَقُولُ:)

التمييز بين القرآن وغيره

مسألة: يرجح أن تمتاز الآيات القرآنية في الكلام أو في الكتابة، عن سائر الكلمات بميزة ظاهرة كما قال جبرئيل (عليه السلام): (قد أوحى إليكم يقول).

ولقد كان ما جاء به جبرائيل (عليه السلام) وحياً من الله سبحانه وتعالى، وإنما لم يذكر الوحي، في أول الكلام، وذكره هنا لأن الوحي باعتبار أنه قرآن وتحدّ، بخلاف المقطع الأول من الكلام حيث لم يكن من القرآن. ويمكن أن يفهم من الفرق بين الكلامين، إن من المستحسن تمييز القرآن عن غيره من أنحاء الوحي، إذا كان في ضمن كلام بعضه قرآن وبعضه حديث قدسي، بما يدل على أن هذه القطعة من القرآن، وحيث إن الخطاب هنا كان بصيغة: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ)) (١). قال جبرئيل (عليه السلام): أوحى إليكم بصيغة الخطاب للجمع، بينما في السابق كان يخاطب النبي (صلى الله عليه وآله) بصيغة المفرد.

ومن الواضح أنه يمكن الوحي بالنسبة إلى غير النبي (صلى الله عليه وآله) كما قال سبحانه ((وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)) (٢) وقال سبحانه: ((إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى)) (٣) إلى غير ذلك.

أما الوحي بالمعنى الأخص وهو ما كان يتوسّط جبرئيل (عليه السلام) بالنحو الخاص، فهو خاص بالأنبياء (عليهم السلام).

١- الحزاب: ٣٣.

٢- النحل: ٦٨.

٣- طه: ٣٨.

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) (١).

عصمة المعصومين (عليهم السلام)

مسألة: يجب الاعتقاد بـ: عصمة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وقد سبقت الإشارة إليه.

إشارة لآية التطهير

ولعل الإتيان بلفظ (إنما) لإفادة أن إرادة الله سبحانه وتعالى، منحصرة في ذلك، فلا يمكن أن يحيد عنه، كما أن لفظ (يريد) يدل على أنه فعل مع الإرادة، لإمكان انفكاك الإرادة عن الفعل، أو الفعل عن الإرادة في الممكن (٢) دون الواجب تعالى، إذ إرادته التكوينية تلازم فعله وهي العلة التامة لتحقيق المراد، فـ (إرادته فعله).

و (يريد) أولى من يذهب كما لا يخفى، و (يذهب) يراد به: الإذهاب حدوثاً وبقاءً ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، للقرائن الكثيرة الحالية والمقالية، ومنها أنه كان المجيء بالمضارع في (يريد) و (ليذهب) لإفادة الاستمرارية، حيث ذكروا أن الفعل المضارع يدل على الاستمرار، أما الماضي فإنه يدل على الحدوث فقط دون دلالة على البقاء، فلو قال: طهر نفسه، دل على حدث في الماضي فقط، ولذلك عدل سبحانه عن (أذهب) إلى (ليذهب)، فهذا وبغيره تكون هذه الجملة دليلاً على ارتفاع الرجس بأبلغ لفظ، ولو قال: أنتم طاهرون مطهرون، وما أشبه ذلك، لم تكن في الجملة تلك الفائدة البلاغية الرفيعة، والتفصيل في كتب الكلام والتفاسير (٣).

ولعل ذكر الآية في أثناء الآيات المرتبطة بنساء النبي (صلى الله عليه وآله) كان لإخفائها، حتى لا تمد إليها يد التحريف من المخالفين. و ((إنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ)) (٤) لا يدل ولا يقتضي أن يكون كله غيبياً، بل بالأسباب أيضاً.

لا يقال: إذا كان معنى (الإذهاب) التطهير، فما معنى ((وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) (٥)؟

لأنه يقال: واسطة بين الأمرين، وليس من الضدين اللذين لا ثالث لهما، فإن (الرجس) قبح و (التطهر) جمال، وبينهما ما لا قبح له ولا جمال، وللتقريب نمثل بإذهاب السواد عن شيء حيث لا يلزم كونه أبيض، إذ من

١- الأحزاب: ٣٣.

٢- التقييد بـ(الممكن) لدفع توهم إمكان الإنفكاك في الواجب، إذ إرادته تعالى علة تامة لحدوث المراد، وفعله بالإرادة كما ثبت بالبرهان.

٣- راجع شرح التجريد وتقريب القرآن إلى الأذهان للإمام المؤلف، والعبقات للسيد مير حامد حسين، والبحار للعلامة المجلسي وإحقاق الحق للتستري ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي.

٤- الحجر: ٩.

٥- الأحزاب: ٣٣.

الممكن أن يكون لون آخر، وكذلك من يُذهب عن نفسه الجبن، لا يستلزم أن يكون شجاعاً، بل أمكن أن يصبح إنساناً عادياً وكذا الأمر في البخل والكرم، وما إلى ذلك.

وربما كان ((وَيُطَهَّرُكُمْ تَطْهِيراً)) (١) للإشارة إلى عليا مراتب الطهارة.

إذهاب الرجس عن النفس

مسألة: يستحب للإنسان أن يسعى لإذهاب الرجس المعنوي والمادي عن النفس، ويكون ذلك واجباً في موارده.

ويستفاد من آية التطهير، بضميمة الملاك في بعض المراتب، والفحوى من وجه، وأدلة التأسي وغير ذلك، فضل إذهاب الرجس المعنوي عن النفس من الشرك والعقائد الباطلة والملكات الرذيلة، وكذلك الرجس المادي عن البدن وسائر ما يتعلق بالإنسان عبر المطهارات، إلى غير ذلك.

تطهير الباطن والجوهر

مسألة: ينبغي التطهير والتطهر، مادياً ومعنوياً، استحباباً ووجوباً، كل في موارده.

وقد ظهر مما تقدم ذلك، ولا شك إن تطهير القلب والباطن أهم من تطهير البدن والظاهر، لأن الباطن هو المحور للإنسان، وهو الجوهر وهو محطة الإيمان والشرك وسائر اصول الدين، فإذا طهر باطنه من المعتقدات الفاسدة، والملكات الرذيلة، والنوايا السيئة ونحوها، يكون إنساناً كاملاً وإلا كان منحرفاً عن منهج الله سبحانه، فإذا كانت عقيدته فاسدة أوجب له الهلاك في الآخرة، بل وفي الدنيا أيضاً في كثير من الأحيان ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الثُّرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمُ)) (٢)، وإذا كانت ملكاته رذيلة كالحسد والبخل وحب الدنيا وما أشبه ذلك، أورثت له نكالاً ووبالاً في الدنيا والآخرة.

والإنسان ذو النية السيئة تترتب على نيته آثار وضعية، كما سينكشف أمره أيضاً، قال علي (عليه السلام): (ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه) (٣). فيفتضح بين الناس، كما أنه مفضوح عند الله سبحانه، وقد قال (صلى الله عليه وآله): (فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة) (٤).

وكما تكون الطهارة عن الرذائل، تكون عن الدنيا أيضاً، مثل الكسل والضجر وحب الدنيا غير المحرم، والشهوات الجائزة ونحو ذلك، فإن كل ذلك يوجب سقوط الإنسان أو تأخره ونقصان حظه. وقد قال (صلى الله

١- الأحزاب: ٣٣.

٢- الأعراف: ٩٦.

٣- نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٦.

٤- وسائل الشيعة: ٢٢٧/٧ ب ١٨ ح ٢٠.

عليه وآله): (من وقى شر ثلاث فقد وقى الشر كله: لقلقه وقبقيه وذنبه)(١). والمراد الأعم من الحرام والمكروه ك: لغو الكلام - من غير أن يكون محرماً والإفراط في الأكل وفي قضايا الجنس، فإن كل ذلك يوجب الانحطاط والإفراط في أمر البطن والفرج يوجب الأمراض كما هو معلوم(٢).
ف: (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء)(٣).

١- مستدرك الوسائل: ٣٢/٩ ب ١٠٣ ح ١٦.

٢- راجع: (الفقه: الواجبات والمحرمات)، (الفقه: الأدب والسنن)، (الفقه: الأطعمة والأشربة) و(الفقه: النكاح).

٣- مستدرك الوسائل: ٤٥٢/١٦ ب ١٠٩ ح ١٠.

فَقَالَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَام) لِأَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي

(فَقَالَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَام) لِأَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي)

استحباب السؤال لتعليم الغير

مسألة: يستحب السؤال لتعليم الغير، كما يستحب السؤال عن فضائل أهل البيت (عليهم السلام) خاصة. وقد كان علي (عليه الصلاة والسلام) يعلم ذلك، لكنه سأل كي يُظهر ذلك للآخرين على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبذلك يُستدل على استحباب سؤال العالم للتعليم، كما يدل على استحباب السؤال عن فضائل أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) بصورة خاصة.

والظاهر أن كلام علي (عليه الصلاة والسلام) كان بعد كلام جبرئيل (عليه السلام) لأن كلام جبرئيل (عليه السلام) كان دليلاً على وجود فضل لهذا الاجتماع، لوضوح أن تجمع المعنويات يوجب قوة واثراً تكوينية في المعنويات، بل وفي الماديات أيضاً، كما أن تجمع الماديات يوجب قوة واثراً في الماديات على ما سبق الإلماع إليه، فلا يقال: إن جلوس جماعة في مكان لا فضل له، كما أن مشي جماعة معاً لا فضل له، فما معنى سؤال علي (عليه الصلاة والسلام): ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله.

هذا إضافة إلى ما كان لهذا الاجتماع من تعليم البشرية على مر العصور حقائق غيبية وكونية كبرى على ما سبقت الإشارة إليه، وسيأتي الحديث عنه أيضاً.

ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله

(ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله)

اجتماع ذوي الفضل و

مسألة: يستحب اجتماع ذوي الفضل، والحضور في مجالسهم، والإستفادة من محضرهم، وهو مما تترتب عليه الفوائد والثمار.

ولذا قال علي (عليه السلام): (يارسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا... من الفضل عند الله). ولا فرق بين أن يكون البعض أفضل من بعض، أو يكون لبعضهم فضل دون بعض، أو أن يكون للجميع فضل، فإنه إذا كان هناك إنسان عظيم واجتمع إليه الناس، ترشح إليهم من علومه أو معنوياته بحديثه، بل بصمته أيضاً وبهينته وسمته وسلوكه، بل وبإشعاعاته أيضاً.

أما إذا كانوا كلهم عظماء - على درجات - فالترشح سيكون أكثر، والتجمع يسبب الفضل الأوفر، واجتماع المتساوين في الفضل كذلك أيضاً، إذ البحث يقدح زناد الفكر، بل تجمعهم بحد ذاته يوجب قوة الروح والنفس أيضاً، وإطلاق (يد الله مع الجماعة)(١) وملاكه أيضاً يدل على ذلك، كما يؤيده الإعتبار.

الهدفية في الأعمال وقصد القرية

مسألة: ينبغي أن يقوم الإنسان بكافة أعماله بهدف الفضل والثواب والفائدة(٢)(٣) وأن يتحرى عن ذلك كما قال علي (عليه السلام): (يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟).

فكل عمل وكل حركة وسكون للجوارح أو الجوانح، يمكن أن تكون ذات فائدة أو ضرر بما هي هي، أو بالقصد(٤) وسائر العوارض، فإذا قام بالعمل لأجل الفضل والثواب والفائدة، وإذا تحرى عما يحقق ذلك ضمن سعادة الدنيا والآخرة، وإلا خسر نفسه وأضاع عمره وضياعه خسارة لا تعوض، إذ لا تعود للإنسان حتى ثانية

١- نهج الفصاحة: ٦٤٦ ح ٣٢١١ ط طهران، وفيه: (على الجماعة).

٢- قد يكون الفضل إشارة للقيمة الذاتية، والثواب للأجر الأخروي، والفائدة إشارة للمنفعة الدنيوية.

٣- راجع الفضيلة الإسلامية، و(الفقه: الآداب والسنن).

٤- المباح يتحول إلى مستحب بالقصد، فمثلاً شرب الماء وأكل الطعام بما هو مباح، ويقصد الإستعانة به على العبادة وقضاء الحوائج مثلاً، مندوب مثاب عليه.

من عمره الضائع، يقول الشيخ البهائي (قدس سره):
(العمر مضى وليس من بعد يعود).

ولذلك ولغيره - كالتعليم مثلاً - سأل علي (عليه السلام) عن فضل جلوسهم تحت الكساء.
وفيه تنبيه على لزوم اتيان الأعمال بهدف التقرب إلى الله، والتفكير في فضل عمله عنده سبحانه، فإن
للإنسان أن يعمل حتى الواجبات الجنسية وما أشبهه، قرابة إلى الله سبحانه، مما يوجب له الأجر والثواب، وإلى
ذلك أشارت بعض الروايات.

وقد ورد في الحديث (١): إنه يفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربعة وعشرون خزانة - عدد
ساعات الليل والنهار - فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً فينالها عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع
على أهل النار لأدهشتهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربه.
ثم يفتح له خزانة أخرى، فيراها مظلمة مننتة مفزعة، فينالها عند مشاهدتها من الفزع والجزع، ما لو قسم
على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربه.
ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه، وهي الساعة التي نام فيها أو
اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فينالها من الغبن والأسف على فواتها، حيث كان متمكناً من أن يملأها
حسناً ما لا يوصف، إن هذا قوله تعالى: ((ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ)) (٢).

قال الشاعر:

(أنفاس عمرك أثمان الجنان فلا***تتشري بها لهباً في الحشر تشتعل)

أليس من الخسارة أن يخسر الإنسان نفسه ودينه بالحرام؟! قال تعالى: ((إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ)) (٣).

أليس من الخسارة أن يقضي الإنسان حياته، فيما لا يدر عليه أرباحاً وجناناً عرضها السماوات والأرض؟
ومثله كمن يحرق أوراقه النقدية، وإن لم يصرفها في الحرام الضار؟!
وحيث كان جلوسهم (عليهم السلام) لله سبحانه كان له فضل.
وكذا يعلمنا الإمام (عليه السلام) كيف نصرف أوقاتنا في مرضاة الله تعالى.

أقسام الجلوس

مسألة: الجلوس في مكان والاجتماع فيه، ينقسم إلى الأحكام الخمسة:
فمنه: واجب للتعليم والتعلم الواجبين وما أشبه ذلك، كالمرابطة في الثغر ونحوها.
ومنه: مستحب، في التعليم والتعلم المستحبين، ومنه جلوسهم تحت الكساء، ولا يبعد كونه أحد مصاديق

١- بحار الأنوار: ٢٦٢/٧ ب ١١ ح ١٥.

٢- النعابن: ٩.

٣- الشورى: ٤٥..

الواجب التخييري.

ومنه: مكروه كما إذا كان من مجالس الباطل، لا إلى حد الحرمة.

ومنه: محرم، وهو ما إذا كان إلى حد المحرم، أو ما أشبه ذلك، لذا قال سبحانه: ((فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)) (١).

ومنه: مباح إذا لم يكن أيّاً من الأربعة.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً

(فقال النبي (صلى الله عليه وآله): والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً)

التأكيد على حقانية أفعاله تعالى

مسألة: يستحب التأكيد على حقانية أفعال الله تعالى، ولذا قال النبي (صلى الله عليه وآله): (والذي بعثني بالحق) (١) مع أن بعث الله سبحانه لا يمكن أن يكون بالباطل. كما أنه يرجح - على حد المنع من الترك في صورة التوقف - القسم بالله سبحانه وتعالى في الأمور المهمة، ولذا قال النبي (صلى الله عليه وآله): (والذي بعثني بالحق نبياً). ومن الواضح الفرق بين النبوة والرسالة، لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، وإن كان أحدهما يطلق على الآخر في كثير من الأحيان.

التأكيد على نبوة الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب التأكيد على نبوة الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث قال (صلى الله عليه وآله): (والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً). ومن الواضح أن الإستحباب في محله والوجوب في محله - في هذا وفي سابقه - حسب مقتضيات الأحوال والظروف والشرائط.

وقوله (صلى الله عليه وآله): (نجياً)، دليل على النجوى التي كانت بين الله تعالى وبين الرسول (صلى الله عليه وآله)، فلم يكن الوحي بحيث تظهر للناس علاماته في كل الأوقات، وهذا يدل على رفعة مكانة الرسول (صلى الله عليه وآله) لأن النجوى بين اثنين تدل على اختصاص أحدهما بالآخر، فهو كالتأكيد على قرب منزلة الرسول (صلى الله عليه وآله) من الله سبحانه وتعالى حتى اتخذ نجياً.

ولا يخفى إن تأكيد الرسول (صلى الله عليه وآله) في هاتين الجملتين، إنما هو لسائر الناس، وأما علي (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) فهم يعرفون ذلك حق المعرفة فلا حاجة إلى أصل الذكر

١- للباء معنى واحد وهو الإلصاق على ما يراه الإمام المؤلف في (الأصول) كما هو رأي سيبويه، وكل المعاني الأخرى المذكورة له من المصديق، قال ابن مالك: \$ بالباء أستعن وعد عوض الصق***ومثل مع وعن ومن بها انطق.

والتذكير، فضلاً عن التأكيد والقسم.

ما ذكر خبرنا هذا

(ما ذكر خبرنا هذا)

ذكر الخبر في المحافل

مسألة: يستحب ذكر هذا الخبر في المحافل والمجالس.
 و (هذا) في قول النبي (صلى الله عليه وآله) (خبرنا هذا) إشارة إلى مجموعة القضايا التي قصتها السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) لجابر.
 وفي مثل ذلك يجوز تذكير الضمير باعتبار الحادث وتأيينه باعتبار القضية ونحوهما.
 وهل يتحقق الاستحباب بغير حالة التلاوة الإنسانية المباشرة لهذا الخبر، كالتسجيل الصوتي وسائر وسائل الإعلام؟
 لايبعد ذلك، فإن انصراف (ذكر خبرنا) إلى قراءة وتلاوة الإنسان لهذا الخبر بدوي، والظاهر اختلاف مراتب الثواب والاستحباب، ثم إن المهم ذكر هذا الخبر، ولو كان بسبب جماد أوحبوان.
 لكن هل يشمل الكتابة كما إذا كُتب الحديث وعُلق على الحائط، وكان هناك جمع من الشيعة ينظرون إليه، أو دون النظر؟
 احتمالان، لايبعد أن يكون له فضل، لكن خصوص هذا الفضل الظاهر أنه ليس له، لانصراف عنه، بل لو أطلق عليه كان مجازاً.
 فالفضل من باب الملاك لا الإطلاق، ولعمومات تعظيم الشعائر وشبهها.

في محفل من محافل أهل الأرض

(في محفل من محافل أهل الأرض)

عمومية المراد بـ: (مَحْفَل)

قد سبق بيان استحباب ذكر أخبار أهل البيت (عليهم السلام) في جميع المحافل، وذلك للإطلاق في (محفل). والظاهر إن أهل الأرض - المنصرف منه الساكنون فيها - من باب المصداق، فإن كان هنالك في الأتجم الآخر جماعة من أهل الأرض، أو من سكانها، ثم ذكروا هذا الحديث كان لهم هذا الفضل، وإنما ذكر أهل الأرض لوقوعه في الأرض يومئذ، وكونه محل الإبتلاء عندها، ومن باب أظهر المصداق عند المنقول إليهم. أما وهل ذكره في محافل أهل السماء وشبهها، ممن هم من قبيل الملائكة والولدان والهور، له هذا الفضل أم لا؟

لا يبعد ذلك أيضاً بالنسبة إلى القابل، يعني: نزول الرحمة، أما شفاء المريض ونحو ذلك من الآثار المادية المترتبة على هذا الخبر، فليس هنالك محل هذه الأمور كما لا يخفى، مما يفهم من الروايات، فإن الملائكة والولدان والهور عادة لا تمرض أو تضعف، أما الحزن فقد يفهم وجوده لدى العليين، مما ورد بالنسبة إلى الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) من حزن الهور عليه، لكن لا يبعد أن يكون حزن الهور بالنسبة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) استثناءً.

استحباب مطلق تلاوة هذا الحديث

مسألة: يستحب تلاوة حديث الكساء للعمومات ولقوله (صلى الله عليه وآله): (ما ذكر خبرنا هذا) سواء كان في محفل أم لم يكن. إذ الظاهر عدم الإحصار بالمحفل، بل يشمل - بملاكه - حتى إذا ما قرأ هذا الحديث فرد من الأفراد لوحده، وذلك من باب تعدد المطلوب.

وإنما يستحب باعتبار الآثار، إذ منها يفهم استحباب المؤثر عرفاً.

ثم إن الظاهر من (ذكر خبرنا هذا)، هو ذكره بهذا التفصيل، وإن كان لا يبعد وجود الملاك في ذكره إجمالاً، وعلى الملاك فهو من باب المستحب في المستحب.

ولا يخفى إن الآثار الإيجابية لتلاوة حديث الكساء، لا تختص بالإنسان، بل تشمل غيره كالجن، ولذا قال النبي (صلى الله عليه وآله): (في محفل من محافل أهل الأرض).

وخاصة مع الإنتباه إلى ما دل على ان الإنس والجن، يشتركان في التكاليف الإلهية، والأحكام الشرعية، فالقرآن المشتمل على كل هذه الأحكام لهما ((إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ)) (١) إضافة للروايات الدالة على أنه (صلى الله عليه وآله) مرسل للجن والإنس وغير ذلك.

وقد ذكرنا في بعض كتبنا الفقهية (٢) مسألة الزواج مع الجن، والطلاق والإرث وما أشبه ذلك. كما أن ما جرى من أمر الثعبان الذي سأل علياً (عليه الصلاة والسلام) وهو على منبر الكوفة (٣) يؤيد ذلك، إلى غيرها من الأحداث والقصص المذكورة في الأحاديث.

وعلى أي حال فهو خارج عن محل الإبتلاء عادة. أما ما ورد من تزويج ابني آدم بحورية وجنية، فالظاهر أن المراد كونهما كذلك في الأصل، إذ قد كانتا من البشر في وقت الزواج من ابني آدم، نظير ما قال سبحانه: ((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ)) (٤).

فكونهما جنية وحورية، من باب كون الإنسان طيناً، وكون الملك نوراً، وكون الجن ناراً، وليس المراد الفعلية، وهذا لا ينافي أن يكون الإنسان قد خُلق من إنسان واحد وهو آدم (عليه السلام) كما في بعض الآيات، أو من إنسانين آدم وحواء (عليهما السلام) كما في بعض الآيات الأخرى، لأن المراد هي النشأة الأولى، وإلا فعيسى (عليه السلام) خُلق من نفخ جبرئيل (عليه السلام) (عليه السلام).

أما ما احتمله بعض العامة من أن آدم زوج ابنيه ببنتيه، وإنه كان حلالاً في ذلك الوقت، حراماً فيما بعد، فترده الروايات الواردة عن أئمتنا (عليهم الصلاة والسلام) (٥).

١- الجن: ١ - ٢.

٢- راجع كتاب (ألف مسألة، المسائل المتجددة) و(الفقه: المسائل المتجددة) و(الفقه: النكاح).

٣- راجع بحار الأنوار: ١٧١/٣٩ ب ٨٣ ح ١١.

٤- الأنعام: ٩.

٥- راجع قصص الأنبياء للجزائري ص ٦١ ط قم.

وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا

(وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا)

استحباب التجمع، والمراد بالمحب

مسألة: يستحب تجمع الشيعة والمحبين لأهل البيت (عليهم السلام).

قد يكون المراد - كما يظهر من بعض الروايات - من المحبين: الأعم من الشيعة وغيرهم ممن كانوا محبين لهم (عليهم الصلاة والسلام) ولم يكونوا من شيعتهم، فيكون من باب عطف العام على الخاص. وقد يكون المراد منهم غير الشيعة، لأن التأكيد خلاف الأصل فهو تأسيس، كما أن الأصل في القيود كذلك. وربما يكون الشيعي والمحب متساويين (١) فليس غير الشيعي بمحب حقيقة، ولا إشكال في أن المحب الذي ليس بشيعي، إذا لم يكن معانداً، يكون له بعض الأجر كما تدل على ذلك جملة من الروايات. نعم من ليس بمحب لا يكون شيعياً، إذ الشيعي - على وجه - عبارة عن يطابق لسانه وجوارحه قلبه بالنسبة لهم (عليهم الصلاة والسلام) (٢) ولو في الجملة. والظاهر أن الشيعي يشمل الفاسق أيضاً، وإن كان العادل هو الشيعي الكامل، لأن ما ذكرناه هو مقتضى الإطلاق.

وما في بعض الروايات من أن الشيعي، هو الكامل يراد به الشيعي بالمعنى الأخص، فمثلها مثل المؤمن والمسلم، حيث إن المؤمن والمسلم يطلق تارة على من في القمة منهما، وتارة على الأعم، والأعم هو المتبادر من إطلاقهما لا من في القمة فقط. وقد يفرق بين المعنى اللغوي للشيعي (٣) وبين المعنى الإصطلاحي (٤) وعلى الأول فقد يقال بالشمول للاتباع في الجملة، فلا يشمل الفاسق بقول مطلق.

١- التساوق غير الترادف، إذ المتساوقان هما المتطابقان في المصداق وإن اختلفت المفهوم، والمترادفان المتطابقان في المفهوم.

٢- في الاعتقاد بإمامتهم (عليهم السلام)، إضافة إلى محبتهم (عليهم السلام)، أما الإتياع العملي فهو سبب لإطلاق الشيعي بالمعنى الأخص عليه.

٣- شايع أي تابع لغة، فالشيعي هو المتبع.

٤- المعتقد بالإمامة.

أقسام التجمع وأنواعه

وقد تقدم إن تلك الآثار، وهذا الأجر، إذا كان في الجمع يكون - بدرجة أو بأخرى - في الفرد والإثنين أيضاً، إذ لا تفهم الخصوصية هنا إلا في مراتب الثواب، وإن كان ظاهر الجمع الخصوصية فيما إذا لم تكن قرينة، والقرينة الملاك وغيره.

واللفظ يشمل النساء والأطفال ولو بالقرينة والغاء الخصوصية.

نعم الظاهر أن تكون تلاوة حديث الكساء، بما يسمع لا بما لا يسمع، إلا إذا كان الحاضرون صمماً، أو كانت هناك ضوضاء تمنع من السماع، والتفريق إنما هو بلحاظ المقتضي وعدمه وبلحاظ منصرف (الذكر)، والإطلاق - على تقدير - يشمل ما لو كان بعضهم شيعة وبعضهم محبين، بأن يكون الجمع متشكلاً منهما.

... وعبر الأجهزة الحديثة

وهل يشمل ذلك مثل إذا ما كان الجمع في أماكن متعددة، يتصل بعضهم ببعض بواسطة بعض الأجهزة الحديثة كالهاتف ونحوه؟ (١).

الظاهر ذلك، وقد ذكرنا نظيره في باب الطلاق وباب البيع ونحوهما (٢) فإذا كان هناك شاهدان، كل منهما في غرفة منفصلة، وكان الذي يتولى إيقاع الطلاق في غرفة ثالثة، وتم اتصال بعضهم ببعض بواسطة الهاتف ونحوه، وطلق بحيث استمع الشاهدان، كان كافياً في تحقيق الطلاق. وهكذا يكون الأمر فيما إذا كانوا في غرف متعددة، أو أماكن متعددة، يسمع كلهم الحديث بواسطة مكبرات الصوت ونحوها.

أنواع الذكر والتلاوة

مسألة: يستحب جمع جمع من الشيعة لإقامة ذكر حديث الكساء، كما يجتمعون لزيارة عاشوراء ودعاء كميل و...

فإن هذا هو المفهوم من الكلام، لأنه يفهم من المسبب السبب عرفاً.

فإن ذكر الفضل والخير، دليل على محبوبة تلاوة هذا الحديث عند الله سبحانه، وجمع جمع مقدمة له. والظاهر أن الذكر كاف وإن لم يفهموا معناه، كما إذا لم يعرفوا اللغة العربية والإنصراف - لو كان - فبدوي،

١- هناك مؤتمرات تعقد حالياً بالصوت والصورة بين العلماء في أماكن متباعدة عبر أجهزة بث واستقبال موجودة في منطقة وغرفة كل منهم، فيرى كل منهم الآخر ويستمع إليه، وهناك أجهزة أخرى مثل الـ: فيديو - فاكس تقوم بدور مماثل من وجه آخر.

٢- لمزيد التفاصيل يراجع (الفقه: المسائل المتجددة) للإمام المؤلف.

نعم لا إشكال في اختلاف درجات الثواب.

وهل يشمل ذلك إذا ما قرئ حديث الكساء بلغة أخرى؟

لا يبعد ذلك، لشمول قوله (عليه الصلاة والسلام): (ما ذكر خيرنا هذا) بالنسبة إلى التفسير والترجمة بلغة أخرى، إذ أنه هو هو لباً وجوهراً، نعم استثنى من ذلك الصلاة وصيغة الإحرام وقراءة القرآن والدعاء المأثور، بمعنى إنه لا يكون تفسير وترجمة دعاء كميل كميلاً، وإن كان موجباً للثواب، فتأمل. (١)
وهكذا الكلام في الإنكار، مثلاً: (سبحان الله) و (لا إله إلا الله) و (الحمد لله) إذا ذكرت بلغة أخرى، فلا دليل على حصول الأثر الذي رتب عليها في الروايات.

فمثلاً: ورد أن من قال: (لا إله إلا الله) كان له كذا من الثواب (٢)، فإنه إذا ذكر هذا الذكر بلغة أخرى، لم يكن له خصوص هذا الأثر، وإن كان له أثر في الجملة، لأنه ذكر لله سبحانه وتعالى، فيشملة قوله سبحانه: ((ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)) (٣). وقوله تعالى: ((فادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)) (٤). وما أشبهه.

١- قد يكون إشارة إلى إن الإستثناء حكمي لا موضوعي، وبالدليل الخارجي، أي أن استثناء الصلاة بمعنى عدم جريان حكمها - من الإجزاء والوجوب ونحوهما - على ما كانت بلغة أخرى، لا أن المراد عدم إطلاق لفظ الصلاة عليها موضوعاً، أو إلى أن إيجابه للثواب في الجملة أو كليهما.

٢- راجع ثواب الأعمال للصدوق: ص ٢٢ ح ١١ ط بيروت.

٣- الأحزاب: ٤١.

٤- البقرة: ١٥٢.

إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ

(إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ)

لماذا هذا الأجر العظيم؟

مسألة: يستحب أن يفعل الإنسان ما يوجب نزول الرحمة، وأن يقوم بما ينفع غيره، كما في اجتماع أهل الكساء (عليهم السلام)، فإن معرفته وذكره والحديث به وعنه من قبل الموالين، سبب نزول الرحمة والسرف في هذا التأكيد وفي عظيم المثوبة التي قررها الله تعالى لـ (ذكر هذا الحديث الشريف) أنه تأكيد على القيادة التي بها تصلح الدنيا والآخرة، كما قال (عليه السلام): (ولم يناد أحد بشيء كما نودي بالولاية) (١). فإن القيادة الصحيحة هي التي تصلح حال البشر، وتقوده إلى السعادة الدنيوية والأخروية، ومن المعلوم ضرورة التأكيد على مثل هذه القيادة، وتوفير كافة وسائل دعمها وتركيزها، ولذا يؤكد عقلاء العالم، على الشعار وعلى ذكر القائد والقيادة - فردية كانت أم جماعية - ليل نهار في وسائل إعلامهم ومحافلهم. وحيث إن قيادة هؤلاء الأبطال (عليهم السلام) جاءت من عند الله تعالى، الذي بيده الدنيا والآخرة، فإن من يلتفت حولهم يفيض عليه سبحانه الخير في الدنيا والآخرة، كما قال (صلى الله عليه وآله): (نزلت عليهم الرحمة وحقت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا). (٢).

١- راجع بحار الأنوار: ٣٢٩/٦٨ ب ٢٧ ح ١.

٢- تحدث الإمام المؤلف تفصيلاً عن قيادة الأئمة (عليهم السلام) وولايتهم في كتاب (الفقه: البيع) المجلد الرابع مقدمة لولاية الفقيه، فليراجع.

وَحَقَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ

(وَحَقَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ)

التمهيد لنزول الملائكة

مسألة: يستحب أن يقوم الإنسان بتمهيد ما يوجب نزول الملائكة وحفها به كالاستقامة - كما في الآية الآتية- وكما في ذكر هذا الحديث الشريف ونحو ذلك، لأن نزول ملائكة الرحمة وحفهم بالإنسان، يوجب الرحمة والمغفرة والشخصية الإلهية، كما هو معلوم لها أيضاً، فهو معلول لمراتب من الرحمة وعلّة لمراتب أخرى. ويؤيده قوله سبحانه ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ)) (١) حيث يفهم منه أن تنزل الملائكة أمر مطلوب مرغوب شرعاً.

وقال سبحانه: ((إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا)) (٢) فإن الملائكة بما أنها مخلوقات خيرة ولله طيعة، وهي وسائط نعم الله سبحانه في الجملة، فإنها تفيض الخير في غير ملائكة العذاب. كما أن الشياطين على العكس، فبما أنها شريرة فإنها تترشح بالشر، ولذا قال سبحانه ((على من نَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)) (٣) فإن الجنس مانل إلى جنسه، كما قال الشاعر:

(إن الطيور على أشكالها تقع).

ويؤيد ما ذكرناه من الاستحباب، ما ورد من قول جبرئيل (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله) (إننا معاشر الملائكة لا ندخل بيوتاً فيها تصاوير) (٤) وما أشبه ذلك، مما يشير إلى أن فيها نوعاً من منع الخير الحاصل بدخولها (٥).

١- فصلت: ٣٠.

٢- الأنفال: ١٢.

٣- الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢.

٤- راجع سفينة البحار: ٤٨٩/٢ باب الكاف ط نجف. وفيه: (إننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة إنسان ولا بيتاً فيه تمثال).

٥- راجع شرح التجريد، وتوضيح نهج البلاغة للإمام المؤلف (قدس سره).

نوعية تواجد الملائكة

ولا يخفى إن الملائكة مخلوقات قابلة للتواجد على الحيطان والأبواب وغيره، كما دلت على ذلك أدلة عديدة، وكما يرشد إليه، إن ذلك وهو مقتضى (الحف) فيما إذا كان المجلس قد امتلأ بالحاضرين امتلاءً كاملاً، وذلك هو الاستفادة من الروايات مثل ما ورد من أن المائدة إذا وضعت حضرها الكثير من الملائكة. ومن الواضح أن إطلاقه يشمل حتى إذا ما كانت المائدة لا تسع إلا لثلاثة أشخاص، بل حتى الواحد، فإن الملائكة كالنور لا تزاحم بينها، وعلى فرض تجردها فالامر أوضح، وإنا وإن لم نعرف حقيقة الملائكة وخصوصياتها ومزاياها، إلا إن ما ذكرناه هو الاستفادة من جملة من الروايات.

أما ما ورد من أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يمشي على أصابعه في جنازة (سعد)، فذلك لجلب انتباه الناس على نزول الملائكة ومشاركتها في تشييع الجنازة، وإن احتمل كونها قد تشكلت بشكل يقتضي ذلك. وما ورد من أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، يراد به الإشارة إلى تواضعها له، فهو من قبيل قوله سبحانه: ((وَإخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)) (١) وإن احتمل البعض إرادة المعنى الظاهري، أي أنهم يفرشون أجنحتهم تحت رجليه.

ومن المعلوم إن حف الملائكة نوع التكريم للحاضرين، كالشخصية التي يحف بها عبيدها وحفدتها وخدمها ومن أشبههم.

وعددهم

وأما عدد الملائكة فهم كما قال الشاعر

(عدد الرمل والحصى والتراب)

وقال علي (عليه السلام): (فملاهن أطواراً من ملائكته) (٢) ولا عجب فإن الإنسان إذا نظر إلى بستان من الأشجار، لرأى فيها ملايين الأوراق والأغصان وما أشبه، ليس كل ذلك من صنع عليم حكيم قدير؟ فإن من يخلق بمجرد الإرادة، حتى أن لفظة (كن) إنما هي من باب المثال أو الإشارة إلى السرعة والسهولة ومطلق القدرة، لا مانع من أن يخلق ملايين الأكوان والعوالم، فكيف بأفواج الملائكة، بلفظ (كن) أو دونه، فحيثما قرأ حديث الكساء ولو في ملايين الأماكن في ساعة واحدة حفت بكل مجلس الملائكة.

١- الإسراء: ٢٤.

٢- نهج البلاغة: الخطبة ١.

(واسغفرت لهم)

(واسغفرت لهم)

استحباب الإستغفار للآخرين

مسألة: يستحب الإستغفار للآخرين.

وفي الحديث: إن الإنسان لو دعا لأخيه بظهر الغيب، قالت له الملائكة: ولك ضعف ذلك، ومن المعلوم إن الإستغفار دعاء في حق الغير بغفران ذنبه وستر عيبه. ولا يخفى إن هناك فرقاً بين الإستغفار والتوبة، فإن الغفران ستر، والإستغفار طلب للستر، والتوبة رجوع، ولذا ورد في الأحاديث: الإستغفار إلى جانب التوبة في عبارتين، مثل: (أستغفر الله) و (أتوب إلى الله) أو في عبارة واحدة مثل: (أستغفر الله وأتوب إليه).

الإستغفار

مسألة: يستحب الإستغفار مطلقاً، وقد يجب، ولقد كان من لطفه تعالى وعموم فضله ورحمته، إن جعل (الإستغفار) سبباً لمحو الذنوب والعودة إلى الله فوراً، بل إن للإستغفار أثر وضعي في هذه الدنيا أيضاً ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)) (١).

التسبب للإستغفار

مسألة: يستحب التسبب لا استغفار الملائكة بل مطلق الغير، للإنسان، بأن يقوم بما يوجب ذلك، فإنه مستفاد عرفاً من هذه الجملة، وإن لم تكن بالدلالات الثلاث المنطقية، لأن الدلالة لا تنحصر فيها، وقد تقدم الإلماع إلى أنه بدلالة الإقتضاء العرفي (٢) لا الإصطلاحي.

١- نوح: ١١ - ١٢.

٢- ترتيب (واسغفرت لهم الملائكة) على (ما ذكر خبرنا) معلول رجحان استغفار الملائكة واردة الله للمثوبة،

هل الجزاء على السعي أم لا؟

وحيث إن التواجد والحضور (١)

من فعل الإنسان وسعيه، فلا يستشكل على استغفار الملائكة له لأجله، فلا يقال: إنه مناف لقوله سبحانه: ((أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)) (٢) أو قوله تعالى: ((كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)) (٣) وما أشبه ذلك؟ لا يقال: هذا تمام في من حضر اختياراً، فلا يتم في الذين حضروا اضطراراً، كما إذا كانوا في السجن وأحدهم قرأ حديث الكساء دون طلب من الحاضرين، بل ومع عدم رغبة منهم لا شتغالهم بدراسة أو مطالعة أو ما أشبه ذلك.

لأنه يقال: ذلك يفهم بالملاك أو بالإطلاق، وحينئذ يكون الجواب عن الآية، ما سيأتي من أحد الوجهين. نعم إذا كره الذكر، فالظاهر أن الفائدة لا تشمله وإن احتمل كون بعضها كالأثر الوضعي، بخلاف النائم والصبي والمغمى عليه وما أشبهه.

وقد ذكرنا في بعض مباحث الفقه: إن أمثال ذلك استثناء من الآيتين بالدليل الخاص تفضلاً منه تعالى، أو يقال: إن هذه الآثار الخيرية إنما هي ببركة أولئك الأطهار (عليهم السلام)، فهو امتداد لسعيهم (عليهم السلام) وذلك كما أن الإرث فائدة تتوجه للإنسان بسبب القرابة، وإن لم يكن من سعي نفس الوارث، وهناك أجوبة أخرى ذكرناها في محلها (٤).

والتسبيب مقدمة لهذا الراجح.

١- المستفاد من (وفيه جمع من شيعتنا).

٢- النجم: ٣٩.

٣- الطور: ٢١.

٤- تحدث الإمام المؤلف بالتفصيل حول ((وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)) [النجم: ٣٩] في (الفقه: الإقتصاد)

وغيره.

إلى أن يتفرقوا

(إلى أن يتفرقوا)

استحباب اللبث في مجالس الخير

مسألة: يستحب البقاء في مجالس الخير واستدامة الجلوس فيها، فمجلس القراءة الحسينية ومجالس العلم والمصلى، يستحب استمرار الجلوس فيه، ولو بعد انتهاء القراءة والدرس والصلاة في الجملة، فإن في ذلك تذكيراً أكثر بذلك الخير، وربطاً للمرء به أكثر فأكثر في مختلف شؤون حياته.

كما أن قوله (عليه الصلاة والسلام): (إلى أن يتفرقوا) يرشد إلى ذلك مع لحاظ عدم الخصوصية في المورد من حيث أصل المثوبة وإن كان له خصوصية من حيث الخصوصية، ومن المعلوم - كما أشرنا سابقاً - استحباب فعل الإنسان ما يوجب جلب الخير إلى نفسه من الرحمة والبركة واستغفار الملائكة وما أشبه ذلك.

ويجري هنا الكلام السابق فيمن كان كارهاً للبقاء، أو مضطراً أو فاقداً للوعي أو الصحوه كالمجنون والمغمى عليه والطفل وما أشبه ذلك، لأن كلا البحثين بملاك واحد.

ولا يخفى إن التفرق هنا ليس كالتفرق في باب خيار المجلس، حيث يوجب زوال الأثر هناك، بل ظاهر المقام أنه بخلاف خيار المجلس حيث إن مشي خطوات وشبهه يوجب سقوطه (١)، فليس البابان بملاك واحد حتى يكون كلاهما في حكم واحد، من هذه الجهة.

والظاهر أن (ما ذكر خبرنا...) يشمل ما إذا كانت مكبرات الصوت، تبث حديث الكساء وهو يسير في الشارع ويسمعه، أما إذا كان في السيارة أو الطائرة أو القطار، وأحدهم يقرأ الحديث فلا إشكال في شمول (وفيه جمع...) له.

١- راجع (الفقه: الخيارات) للمؤلف (قدس سره).

فقال علي (عليه السلام) إذا والله

(فقال علي (عليه السلام) إذا والله)

الحلف على عظام الأمور

مسألة: يجوز الحلف على الأمور العظيمة (١)، والجواز هنا بالمعنى الأعم - والمراد هنا (٢) الوجوب أو الاستحباب - وقوله (عليه الصلاة والسلام): (إذاً) بمعنى أنه حيث كان الأمر كذلك تحقق الفوز. فإن أمثال هذا القسم، مستثناة من كراهة الحلف بالله سبحانه وتعالى كما قال: ((وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ)) (٣) وكما قال الإمام زين العابدين (عليه الصلاة والسلام): (إني كرهت أن أحلف بالله) في قصة مهر زوجته (٤).

التجاوب مع العظيم

مسألة: يرجح التجاوب مع العظيم إذا تحدث وتكلم، كما صنع علي (عليه السلام) بقوله: (إذن والله فزنا)، من غير فرق بين أن يكون التجاوب بالكلام أو بالإشارة، كأن يشير برأسه ذلك لأن التجاوب هو نوع احترام.

١- وقد سبق الإشارة إليه.

٢- أي في هذا الحديث.

٣- البقرة: ٢٢٤.

٤- حول الحلف والقسم ومختلف بحوثه يراجع كتاب (الفقه: العهد واليمين) للمؤلف (قدس سره).

فزنا

(فزنا)

رجحان مدح النفس!

مسألة: يستحب مدح الإنسان نفسه وسرد فضائله وذكر مناقبه، إذا كان في مقام التعليم أو دفع تهمة أو إحقاق حق، وقد يجب ذلك.

وهذا لا ينافي ما ورد عنه (عليه الصلاة والسلام) من أن تزكية المرء نفسه قبيح (١) لأن القبح بلحاظ العنوان الأولي، فإذا طرأ عليه عنوان مُحَسَّن صار مستحباً، بل قد يجب المدح فيما إذا توقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الدعوة إلى الواجب عليه، ولذا كان الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) يعرفون أنفسهم بما هو مدح لها.

نعم إنما يستحب مدح الإنسان نفسه إذا كان مدحاً صادقاً، أما المدح الكاذب فهو داخل في إطلاقات أدلة الكذب.

ومما ذكر في باب مدح الإنسان نفسه يعلم الحكم في عكسه من ذم الإنسان نفسه، في كونه مستحباً أو محرماً أو واجباً أو غير ذلك.

معنى فوز أولياء الله وانتصارهم

ثم إن قول علي (عليه الصلاة والسلام): (فزنا) إنما كان لأجل ما ذكره جبرئيل (عليه السلام) (عليه السلام) من مدحهم (عليهم السلام) عن لسان الله سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) (٢) فإن كونهم (عليهم السلام) ممدوحين لله تعالى ومطهرين بأمره وإرادته يوجب الفوز في الدنيا والسعادة في الآخرة.

ومن المعلوم إن فوز الدنيا، ليس خاصاً بالمأكل والمشرب والمسكن وما أشبه ذلك من الأمور المادية، بل ذلك الفوز الأبدى، فإن الإنسان الهدفي، إذا كان يسعى من أجل تحقيق هدفه، يكون فائزاً ولو حرم من كل المذات المادية، فالإمام الحسين (عليه السلام) فائز وهو قاتل ومجروح من رأسه إلى قدمه، ولهذا قال الراوي

١- حول مدح النفس راجع: (الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف (قدس سره).

٢- الأحزاب: ٣٣.

((ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته، أربط جأشاً وأقوى جناناً منه (عليه الصلاة والسلام)) (١) فهو (عليه السلام) الفائز والمنتصر، وهو صريع سليب على أرض المقتل، لأنه (عليه السلام) كان يعلم إنه بعين الله وفي سبيل الله سبحانه وتعالى مؤتماً بأمره، وهذا هو الإنتصار الحقيقي. أليس (الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء)؟

ولذا قال سبحانه: ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)) (٢) فإن ميزان الإنتصار والانتكسار، ليس بغلبة الجيش أو انهزامه أمام جيش العدو، بل إن ميزان انتصار الصالحين، هو انتصار مبادئهم وانتصارهم على أنفسهم وانتصارهم في امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى. وهذا بحث كلامي ذكرناه هنا إلماعاً لا استيعاباً.

١- راجع بحار الأنوار: ٥٠/٤٥ (بيان).

٢- غافر: ٥١.

وفاز شيعتنا

(وفاز شيعتنا)

التمسك بمذهب آل البيت (عليهم السلام)

مسألة: يجب التمسك بمذهب آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنهم هم الفائزون (١) وإنما فازت الشيعة، لأنهم التفوا حول القيادة الإلهية الصحيحة التي عينها الرسول (صلى الله عليه وآله) بأمره تعالى، والتي لها المكانة الرفيعة في الدنيا وفي الآخرة.

ومن المعلوم إن قائد الإنسان إذا كان على صراط مستقيم، يكون متبعه فائزاً أيضاً.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره جبرئيل (عليه السلام) (عليه الصلاة والسلام) من: تنزل الرحمة عليهم وإن الملائكة تحفُّ بهم وتستغفر لهم، فإن هذا من أعظم الفوز.

بشارة الغير وإدخال السرور

مسألة: يستحب بشارة الآخرين خاصة بشارة شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بالفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، وذلك من باب المصداق، وإلا فهذا الكلي صادق في كل إنسان يبشر بشارة سارة، شرط عدم معارضتها للشريعة.

بل يمكن أن يقال: بأن إدخال السرور حتى على قلب الكافر مستحب (٢) إلا في مورد قوله سبحانه: ((وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)) (٣) وذلك لقوله (صلى الله عليه وآله): (لكل كبد حرى أجر) (٤).

ولقوله (عليه الصلاة والسلام): (الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) (٥).

ولما نقرؤه في سيرتهم العطرة (عليهم السلام) من تفريجهم كرب الكفار والمنافقين، كما لم يمنع الرسول

١- راجع القول السديد في شرح التجريد للإمام المؤلف وإحقاق الحق للتستري والغدير للأميني والعبقات وغيرها.

٢- راجع (الفقه: الواجبات والمحرمات) و(الفقه: الآداب والسنن) للإمام المؤلف (قدس سره).

٣- التوبة: ١٢٣.

٤- بحار الأنوار: ٣٧٠/٧٤ ب ٢٣ ح ٦٣ (بيان).

٥- نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(صلى الله عليه وآله) الماء عن أهل خيبر، وفسح الإمام علي (عليه السلام) المجال أمام جيش معاوية الذي جاء لحربه، للترزود من ماء الفرات (١)، ومن المعلوم إن الحرب مع الإمام علي (عليه السلام) حرب مع الرسول (صلى الله عليه وآله) كما قال: (صلى الله عليه وآله) (٢) (يا علي حريك حربي) (٣). وكذلك أمر الحسين (عليه السلام) أصحابه بسقي الحر وأصحابه في الطريق (٤). وفي سيرة الأئمة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) يشاهد ذلك بوفوة وكثرة.. كما إن الإمام الهادي (عليه الصلاة والسلام) عالج المتوكل حتى برأ من مرضه، وهكذا مما هو كثير. وقد يكون السبب في بعض تلك الموارد، عناوين أخرى طارئة: كإلقاء الحجاة على الخصم وإتمامها، وهداية الضال وإرشاد الجاهل، وشبه ذلك ولا مانعة من الجمع (٥).

الثواب والعقاب بسبب الآخرين

مسألة: يستحب بيان مدى مدخلية أهل البيت (عليهم السلام) في سعادة الإنسان، فيما إذا اتبع منهجهم، بل هم (عليهم السلام) محور السعادة ومدارها، حيث إن الله تعالى لأجلهم قرر هذه النعمة العظيمة. فإن الإنعام على إنسان من أجل إنسان آخر دليل على عظمة ذلك المعطى من أجل النعمة (٦)، (بيمنه رزق الوري وبوجوده ثبتت الأرض والسماء).

أما في عكسه وهو العقاب، فلا يعاقب أحد بذنب إنسان آخر، فقد قال سبحانه: ((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)) (٧) وقد ذكرنا في بعض الكتب الفقهية: إن المراد بهذه الآية العقوبات الأخروية كلها، ومن العقوبات الدنيوية ما كان أمثال الحدود والقصاص وما أشبهه، دون بعض الأمور الكونية الأخرى مثل ما ذكره سبحانه: ((وَأَتَّفُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)) (٨) مما له أثر وضعي، وكذا في بعض الأموال مثل ما على العاقلة، إذ ذلك داخل تحت قانون كوني وشرعي، فإن اطراد قوانين الكون، يقتضي أن تكون الدية على العاقلة، وهذا ما يقوم به كافة عقلاء العالم إلى اليوم. حيث يأخذون المال من الأغنياء بعنوان أو آخر، ويصرفونه على الفقراء من ناحية، ويشركون جماعة في نتيجة، لأجل غرض أهم وهدف أسمى، كما في كون (عمد الصبي خطأ

١- راجع بحار الأنوار: ٢٩/٤٢ ب ١١٦ ح ٨.

٢- أمالي الطوسي: ص ٣٦٤ ح ١٥ (المجلس الثالث عشر) ط قم.

٣- وقد نظمه السيد الطباطبائي في قصيدته حيث قال: (لقله حريك حربي واشتهر*** من الفريقين رواية الخبر).

٤- راجع بحار الأنوار: ٣٨/٦٠ ب ٣ ح ١١ (بيان).

٥- سيأتي في بحث (استحباب قضاء الحاجة) تتمة مفيدة لهذا البحث.

٦- (لاجل عين ألف عين تكرم).

٧- الأنعام: ١٦٤.

٨- الأنفال: ٢٥.

تحمله العاقلة (١).

١- راجع حول هذا المبحث (الفقه: الدييات) و(الفقه: القانون).

وَرَبِّ الْكَعْبَةِ

(وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)

القسم بالله وبمخلوقاته

مسألة: يجوز القسم باسماء الله تعالى وصفاته مثل: رب الكعبة، والله الكون، وخالق السماوات، الى غير ذلك، وينعقد الحلف به بحيث يوجب حنثه الكفارة.

أما الحلف بغير الله سبحانه كالانبياء والأئمة (عليهم السلام) والآيات الكونية، فالظاهر جوازه، لكن لا ينعقد بهم الحلف مثل:

قوله سبحانه: ((لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (١)

وقوله تعالى: ((وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى)) (٢).

وقوله سبحانه: ((وَتَنَفَّسْ وَمَا سَوَّاهَا)) (٣)، فهو جائز تكليفاً غير منعقد وضعاً.

أما ما ورد في الحديث: (من كان حالفاً فليحلف بالله)، فالمراد: الحلف الجامع للشرائط ذو الأثر الوضعي، ولا دليل على تحريم ما عداه.

وسيرة المتشرعة - قديماً وحديثاً - بالإضافة إلى دليل البراءة وغيرهما، تدل على الجواز.

ووجه قسمه (عليه السلام) برب الكعبة، كونها موضع عناية الله تعالى، فإنه سبحانه كما خلق الاشياء حسناً وأحسن، كذلك جعل بعض الأزمنة والأمكنة محطة ومورداً لعنايته، وذلك مثل الكعبة والمساجد، ومثل يوم الجمعة والأعياد الإسلامية وما أشبهه.

كما أنه تعالى جعل بعض الأماكن محطة أمان، وبعض الأزمنة كذلك، وذلك كمكة المكرمة كما قال الله تعالى: ((وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)) (٤) والأشهر الأربعة الحرم.

١- الحجر: ٧٢.

٢- الضحى: ١ - ٢.

٣- الشمس: ٧.

٤- آل عمران: ٩٧.

فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَا عَلِي

(فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَا عَلِي)

توجيه الكلام للمشاكل

مسألة: يرجح توجيه العظيم كلامه إلى من يقاربه في العظمة ويشابهه، مع وجود غيره. ولذا نرى إن النبي (صلى الله عليه وآله) وجه كلامه إلى علي (عليه السلام) فقال: (يا علي) ولم يقل: (يا فاطمة، أو يا حسن، أو يا حسين (عليهم السلام)).

فلا يقال: إن فاطمة (عليها السلام) كعلي (عليه السلام) في العظمة، كما يدل على ذلك بعض الأحاديث التي ذكرها السيد البحراني (قده) في معالم الزلفى، فإن الترتيب - حسب ما يستفاد - من بعض أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) أولاً في الفضيلة، ثم علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) معاً، ثم الحسن (عليه السلام)، ثم الحسين (عليه السلام) ثم القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ثم من بعد الأئمة الثمانية (عليهم السلام) قبله (عليه السلام)، وهذا باعتبار سمو الجوهر في مختلف مجالات الارتفاع.

لا يقال: كيف يكون القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أفضل من أبيه (عليه السلام) مع أن أباه كان إماماً عليه مدة؟

لأنه يقال الأمر تابع لجعل الله سبحانه وتعالى، والجعل كما ذكرناه حسب دلالة بعض الروايات، وتوضحه قضية موسى (عليه السلام) - وهو من أولي العزم - والخضر (عليه السلام) فتأمل.

ومن المحتمل أن يكون الخطاب لعلي (عليه الصلاة والسلام) نظراً لأنه كان هو الذي قام بطرح السؤال أولاً، فأراد الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يجيب على سؤاله مرة ثانية.

فسح مجال الحديث للأكبر أو الأعظم

مسألة: ينبغي ترك زمام الحديث للأكبر أو الأعظم مع وجوده، ولذا نرى إن الزهراء والحسين (عليهم السلام) لم يسألوا النبي (صلى الله عليه وآله) وإنما سأله علي (عليه السلام).

والزهراء (عليها السلام) وإن كانت عدل علي (عليه السلام) في العظمة - لما سبق من الروايات - ولقوله (صلى الله عليه وآله): لما كان لفاطمة كفو آدم فمن دونه (١) ولغير ذلك - إلا أن علياً (عليه الصلاة والسلام)

حيث كان إماماً على الزهراء (عليها السلام) اقتضى الأمر أن يكون هو المتكلم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأما الحسنان (عليهما السلام) فهما في الرتبة بعدهما (عليهما السلام)، لذا قال الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام):

فأبي شمس وأمي قمر***وأنا الكوكب وابن القمرين (١)
وقال (عليه السلام): (أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني) (٢)
هذا بالإضافة إلى الاحتمال الأخير المذكور آنفاً.

١- بحار الأنوار ٤٥/٤٨ ب ٣٧.

٢- بحار الأنوار: ٣/٤٥ ب ٣٧.

وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا مَا ذَكَرَ خَبْرُنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا

(وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا)
(مَا ذَكَرَ خَبْرُنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا)

التأكيد في البحوث العقائدية

مسألة: يستحب التكرار والتأكيد في البحوث العقائدية ومطلق المطالب الهامة (١)، كما أكد النبي (صلى الله عليه وآله) ههنا قائلًا لمرّة ثانية: (والذي...).
والتأكيد يكون للإبلاغ وتركيز الموضوع في الذهن أكثر فأكثر، وإتماماً للحجة وقطعاً للعدر.

دور التكرار في الأمور الغيبية

وكما أنه ينبغي سقي الأشجار كل يوم حتى تثمر بعد حين، كذلك يلزم التكرار في الإرشاد والتوجيه والهداية، حتى يثمر خيراً في النفس أو في البدن لنفسه أو للغير.
ولذا كرر في القرآن الحكيم: ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) (٢) وشبهه.
ولذا كان التوجيه نحو تكرار الدعاء الفلاني أو الذكر المعين، حتى تتحقق النتيجة المطلوبة، كما ورد في الروايات.

وفي حالة عدم إمكان التكرار أو صعوبته أو ما أشبه ذلك فالظاهر، الاكتفاء بالممكن ولو لمرّة وستتحقق كل الآثار أحياناً وبعضها أحياناً أخرى.

فقد ورد أن نوحاً (عليه السلام) لما خاف على السفينة من الغرق، أمره الله سبحانه أن يقول: (لا إله إلا الله) ألف مرة، ولما أشرفت السفينة على الغرق، ورأى إن الوقت لا يسع لتكرار الألف، علمه الله سبحانه أن يقول: (لا إله إلا الله ألف مرة).

وورد في حديث في باب زيارة عاشوراء، أن يقرأ الإنسان اللعن والسلام مرة واحدة ثم يقول بعد كل منهما: (مائة مرة).

١- وقد سبق الإشارة إليه.

٢- الرحمن آية ١٣.

ومنها، ملاكاً والغاءً للخصوصية وإرشاد العقل لذلك، يفهم العموم.
وقد ورد في الحديث إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ربما كرر الكلام للسانه ونحوه ثلاث مرات.
وفي حديث أن فاطمة (عليها السلام) كررت الإجابة على سؤال السائل إلى عشر مرات.
وقال ابن سينا: طالعت الكتاب الفلاني أربعين مرة حتى فهمته (١).

١- ومن الإستطراد أنه ما نسب إلى ابن سينا من شرب الخمر تهمة اقترفها بعض المؤرخين المنحرفين ووقع فيها من لا اطلاع له من المؤمنين ومثل ذلك كثير في التاريخ.

وفيهم مهموم إلا وفرج الله همه

(وفيهم مهموم إلا وفرج الله همه)

تجمع المهمومين لأجل الدعاء

مسألة: يستحب تجمع المهمومين والمغمومين وأصحاب الحوائج لأجل الدعاء. وإطلاق (يد الله مع الجماعة) (١) يشملها، ولا وجه للإصراف. وهو أقرب لا نكسار القلب وأدعى للإجابة، ولذلك لما دعى أصحاب يونس (عليهم السلام) وتضرعوا وهم مجتمعين استجاب الله تعالى دعاءهم. والفرق بين الهم والغم:

إن (الهم) ما يهتم الإنسان بفعله، مما هو لصالحه أو لصالح غيره، وربما يعمم، كزواج ولده وتأسيس معمل ومكسب له أو لنفسه، وطلب العلم وشبه ذلك، ومنه ما يهتم بفعله للوصول إلى مقصده.

و (الغم) ما يغمه، كأنه غطاء على قلبه، ويطلق على ما ابتلي به الإنسان من المشاكل، وذلك كغم المريض وكغم الفقير وكغم المسجون وما أشبه ذلك.

ولقد كان من المتداول سابقاً، وكنا نرى كثيراً، مجالس عامة تعقد للدعاء عند حلول بلية نازلة سماوية أو أرضية، بحيث كان يظهر على البلاد ذلك كطابع عام، وكان ذلك من أسباب انكشاف الهموم والغموم، ولعل من أسباب زيادتها الآن، قلة مجالس الدعاء والتضرع العامة.

التفريج عن المهموم

مسألة: يستحب التفريج عن المهموم، وهو الذي يهتم بأمر ولا يتمكن عليه، أو هو بحاجة إلى من يعينه، فيكون الإنسان عوناً في أن يفرج همه، وهذا من المستحبات الأكيدة، ويدل عليه بالإضافة إلى هذا الحديث، أحاديث متعددة (٢).

فإن الله سبحانه خلق الإنسان وجعل له حاجات واهتمامات روحية وجسمية فردية واجتماعية، ولا يستطيع أن ينال كثيراً منها بمفرده، فجاء الأمر الإلهي بمساعدة الإنسان في الوصول إليها، فمن ساعد كان له أجران:

١- نهج الفصاحة: ص ٦٤٦ ح ٣٢١١، وفيه: (على الجماعة).

٢- راجع (الفقه: الآداب والسنن).

أجر أخروي وأجر مساعدة الناس له في التفريغ عن همومه أيضا، كأثر وضعي لعمله، (فمن كف يده عن الناس، فإنما يكف عنهم يداً واحدة، ويكفون عنه أيادي كثيرة)(١) كما في كلام علي (عليه السلام).
 والحياة بالتعاون تتقدم إلى الأمام في مختلف أبعادها(٢) ولذا قال سبحانه: ((تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوانِ)) (٣) والمراد أن يعين بعضهم بعضاً.
 والفرق بين: (أعان) و (عاون) و (تعاون): إن الأول من جانب واحد، والثاني من الجانبين مع تقدم أحدهما على الآخر، والثالث من الجانبين بشكل متزامن دقة أو عرفاً.
 ولا يخفى إن كل الأقسام الثلاثة من المستحب، وإن كان الثالث أفضل.
 والبر: عمل الإنسان بالنسبة إلى الغير.
 والتقوى: عمله بالنسبة إلى نفسه.
 وربما يستفاد من الحديث أن غير الإنسان - كالجن - أيضاً قد يبتلى بالهم والغم والحاجة، لأنه (صلى الله عليه وآله) قال: (وفيهم) ومرجع الضمير إلى من هو من أهل الأرض، وقد علمت شمول أهل الأرض لغير الإنسان.

١- راجع بحار الأنوار: ٥٣/٧٥ ب ٢ ٤ ح ٩.

٢- راجع (الفقه: الاجتماع) و(الفقه: السياسة).

٣- المائدة: ٢.

ولا مغموم إلا وكشف الله غمه

(ولا مغموم إلا وكشف الله غمه)

كشف الغمة وأقسامها

مسألة: يستحب كشف غم المغموم، وقد ذكرنا الفرق بينه وبين الهم وأنه يسمى (غمًا) لأنه كالشيء الذي يغطي شيئاً آخر، ومنه (الغمام) للسحاب، و (الأغم) لمن غطى شعر رأسه جبهته، إلى غير ذلك، و (الغم) يغطي قلب الإنسان بغطاء من الحزن.

ثم لا يخفى إن (الغم) قد يكون سببه الإنسان نفسه، وقد يكون سببه الأمور التكوينية الطبيعية، التي لا بد وأن تعترى الإنسان مهما كان، ولكشف كليهما أجر وأهمية، إلا أن الثاني أهم، وأما لو كان الإنسان بنفسه سبباً وكان حله بيده، فلا يكن لكشف كربته تلك المنزلة.

فإن الدنيا (دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة) (١) كما قاله علي (عليه السلام) والأقسام أربعة: إذ الإنسان بطبيعته يمرض ويهرم ويفتقر، أو يكون جاره جار سوء، أو تكون له امرأة أو لها زوج غير صالحين، إلى غير ذلك، وهذه طبيعيات.

كما قد يكون هو بنفسه سبب وقوعه في المشكلة.

وفي هاتين الصورتين قد لا يكون قادراً بنفسه على حل المعضلة فيتأكد حينئذ استحباب مساعدته، وقد يكون قادراً على حلها بأن كان الحل بيده من أي الصورتين كان، كما إذا تمرض بسبب موجة برد فجانية أو بحادث اصطدام، وكان بإمكانه علاج نفسه، وكذلك لو عرض نفسه اختياراً للإستبراد أو الوباء، بمعرفة واختيار حتى تمرض وكان العلاج بيده، فإنه وإن استحب مساعدته إلا أن الإستحباب أضعف مما لو لم يكن قادراً، وهذا التقسيم - بلحاظ الشدة والضعف في الإستحباب - يفهم عرفاً من نفس النصوص بالإضافة إلى بعض الملاكات:

مثل (إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله) (٢) فالأمر أشد في هذه الصورة للإضطراب وعدم قدرته على الدفع عن نفسه.

ومثل ما ورد من أن جماعة لا يستجاب لهم دعاء لأن علاج مشكلتهم بأيديهم، إلى غير ذلك، وكيف كان فإن كشف الغم وإن كان مطلقاً مستحباً إلا إن بعضه أكد من بعض.

١- نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٦.

٢- بحار الأنوار: ٣٨/٧٥ ب ٧٩ ح ١.

سوق الناس إلى الله

مسألة: ينبغي سوق الناس إلى الله تعالى، وبيان أن الله سبحانه هو الذي يفرج الهم (وفرّج الله همه) ويكشف الغم (وكشف الله غمه).

فإن أزمة الأمور طراً بيده تعالى ((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)) (١)
 ((وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)) (٢) ((وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)) (٣).

١- الأتفال: ١٧.

٢- الشعراء: ٧٩ - ٨٢.

٣- الأنعام: ١٨.

ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته

(ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته)

طلب الحاجة وأنه مقتض

مسألة: يستحب طلب الحاجة من الله سبحانه والإلتجاء إليه في كشف الهم والغم بالتوسل بأهل البيت (عليهم السلام) الذين هم الوسائط إلى الله تعالى والوسائل إليه ((وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)) (١) ولذلك كان (وقضى الله حاجته) نتيجة طبيعية لقراءة هذا الحديث الشريف الذي يدور حول منزلة أهل البيت (عليهم السلام) ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى.

وقد ذكرنا في بعض مباحث هذا الكتاب أن أمثال هذه القضايا من القضايا الطبيعية التي لا يلزم أن تكون كلية، بل إن حالها حال كثير من الأمور الأخرى كقولهم: إن العقار الفلاني دواء للمرض كذا أو إن فلاناً مهندس للبناء أو خبير اقتصادي أو اخصائي في الزراعة أو ما أشبه ذلك حيث لا يلزم الكلية. وكثيراً ما يستعمل الدواء ولا يرفع الداء، وكثيراً ما يقدم المهندس خريطة للبناء، أو الخبير الاقتصادي مخططاً للبلاد، ولا يكون مصيباً، وهكذا، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للأمور الدنيوية شرائط وعلل معدة، وموانع وخصوصيات، إذا حققها الإنسان جميعها تحققت النتيجة، وإلا فلا، والدعاء ونحوه من هذا القبيل، فهو مقتض للإجابة لا علة تامة.

فلا يقال: كيف يُدعى عند رأس الحسين (عليه السلام) ولا يستجاب، مع أنه ورد: استجابة الدعاء تحت قبته (٢)، أو تستعمل تربته الشريفة ولا يتحقق لشفاء، مع أنه ورد (الشفاء في تربته) (٣)، إلى غير ذلك من الأسباب الواقعية والأسباب الظاهرية.

وغير خفي أن السعادة الدنيوية - بل الأخروية - قوامها: تفريج الهم، وكشف الهم، وقضاء الحاجة، وقد تكفلها الله تعالى جميعاً ببركة حديث الكساء.

١- المائدة: ٣٥.

٢- بحار الأنوار: ٢٨٦/٣٦ ب ٤١ ح ١٠٧.

٣- نفس المصدر.

استحباب قضاء الحاجة

مسألة: يستحب قضاء حاجة المحتاج، فإذا قال: اسقني الماء، وهو على المائدة، كان سقيه قضاءً للحاجة، وإن لم يسم تفريج الهم ولا كشف الهم (١).

وقضاء الحاجة أعم من الأمرين السابقين (كشف الهم والغم). ولا فرق في ذلك بين الحاجات الدنيوية والأخروية.

ولا يبعد أن يكون قضاء حاجة غير المسلم - كإدخال السرور على قلبه (٢) - أيضاً مندوباً وإن كان في المسلم أولى، ويؤيده الإطلاقات، أما التقييد بالمؤمن ونحوه في بعض الروايات، فلا يقيدها لأنهما مثبتان على الاصطلاح الأصولي (٣).

كما يؤيده قضاء النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) حاجات غير المؤمنين، كما ورد في تفسير سورة المنافقين، من أن الرسول (صلى الله عليه وآله) أعطى بعض ملابسه لعبد الله بن أبي لما طلب منه ذلك. وفي موارد أخرى دلالة على ذلك ولو بتنقيح المناط.

١- النسبة بينهما عموم من وجه.

٢- قد سبق بعض البحث عن ادخال السرور تحت عنوان (بشارة الغير وادخال السرور).

٣- المطلق والمقيد إذا كانا متخالفين بالسلب والإيجاب قيد أحدهما الآخر كما في (أكرم العالم) و(لا تكرم العالم الفاسق)، أما إذا كانا متوافقين في السلب والإيجاب فلا، بل يكون المقيد أشد في المطلوبة كما لو قال: (أكرم العالم) و(أكرم العالم الفقيه) و(أقم الصلاة) و(أقم صلاة الظهر)، راجع (الأصول) للإمام المؤلف.

(فَقَالَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِنَّ اللَّهَ فُرْنَا وَسَعَدْنَا وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا)

مسألة: يستحب وقد يجب - حسب المراتب - السعي لتحقيق الفوز، للنفس وللغير.
 ففوزهم (عليهم السلام) كان - إضافة للجانب الذاتي - لأجل أنهم واسطة الخير والفيض.
 وفوز شيعتهم، بسبب تمسكهم بالأئمة الهداة (عليهم السلام) فينالون خير الدنيا والآخرة وحوائجهم فيهما.
 فإن علمهم (عليهم السلام) بفوزهم وفوز شيعتهم ببركة هذا الاجتماع الرباني، أوجب عقدهم ذلك الاجتماع التاريخي، لما ورد من (أنهم (عليهم السلام) عالمون بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة) بتعليم الله سبحانه لهم.

علم الغيب وتأثيره في سلوك المعصومين (عليهم السلام)
 لا يقال: إذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يعلم بأن اللحم مسموم فلماذا مضغه؟
 ولماذا ذهب الإمام علي (عليه السلام) للصلاة وهو يعلم بأن ابن ملجم يريد قتله؟
 ولماذا شرب الإمام الحسن (عليه السلام) السم؟ إلى غير ذلك.
 لأنه يقال: علمهم الغيبي وقدرتهم الغيبية، لا تغيّر سلوكهم وبرنامجهم الفردي والاجتماعي، وإلا لم يكونوا أسوة، ولما تحقق الامتحان، فالرسول (صلى الله عليه وآله) كان قادراً - بإذن الله تعالى - على أن يقلب الحصى جوهرًا، ويخرج بذلك نفسه وأصحابه من الفقر، إلى غير ذلك من الأشباه والنظائر.
 وكذا لو كان المقرر أن يؤثر علمهم الغيبي وقدرتهم الغيبية، في تغيير المقدرات الألهية ومقتضيات عالم الإمكان، لكان الإمام الحسين (عليه السلام) قد أوجد الماء لأصحابه وأهل بيته (عليهم السلام)، بل حتى لو أشربوا السم وضربوا بالسيف، كانوا سيجدون الحل الناجح غيبياً، وكذلك لما بكى الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) لفقد ولده (عليه السلام) وهو يرى أنه دخل جنات عرضها السماوات والأرض.
 وكذا حال الأنبياء (عليهم السلام) وإلا لكان إبراهيم (عليه السلام) قضى على نمرود بإشارة من يده، ولأحدث عيسى (عليه السلام) بينه وبين اليهود سداً حتى لا يتمكنوا منه، ولم تكن حاجة لأن يرفعه الله تعالى إلى السماء، وكذلك كان يقضي موسى (عليه السلام) على فرعون بادئ ذي بدء دون حاجة إلى إيقاع النفس في مخاطر ومتاعب جسيمة، والجهاد لعشرات السنين قبل التيه ومعه وبعده.
 ولكان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يظهر ولا يتمكن عدو من النيل منه، مما يضطره إلى التستر، كما في الأحاديث من أنه (عليه السلام) تستر تحفظاً على نفسه من الطغاة.
 أما ما ظهر من المعجزات والكرامات فكان بقدر معين، بحيث يكفل إقامة البرهان على ارتباط هذا الرسول (صلى الله عليه وآله) ووصيه (عليه السلام) بالله الكائنات، وبحيث يتم الحفاظ على أصل الرسالة دون أن تحي نهائياً، وشبه ذلك، وأما ما عدا ذلك فيدخل في عالم الأسباب والمسببات الطبيعي.
 وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر.

أبواب الجنة والنار

لا يخفى إن التشيع كالإيمان يؤثر ويتحكم ويرتبط بثمانية مواضع من الإنسان، وهي:

- ١ - الباصرة.
- ٢ - السامعة.
- ٣ - الذائفة.
- ٤ - اللامسة (١).
- ٥ - الفرج، حيث إنه وإن شملته اللامسة من وجهه، لكنه لكثرة الإبتلاء به وخطورته وصعوبة التحكم به، عدّ واحداً في قبالتها (٢).
- ٦ - البطن.
- ٧ - الاعتقاد والفكر.
- ٨ - النية.

فإن كل واحد من هذه يمكن أن يستخدم للخير أو الشر، وكلها باستثناء الأخير، يمكن أن تدخل الإنسان في الجنة أو في النار، ولعل السرّ في أنّ للجنة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب هو هذه الجهة، حيث إن نية السوء بما هي هي لا تؤدّي بالإنسان إلى النار، كما حقق في بابه وذكرناه في الأصول، أما الأبواب السبعة الأخرى فمن الممكن أن تؤدّي بالإنسان إلى النار، ونية الخير من أبواب الجنة.

وأما الاعتقاد: فمن الواضح أنّ التفكير والاعتقاد قد يجرّ إلى النار، كالاتقاد بالباطل في الأصول، وقد يؤدّي بالإنسان إلى الجنة، وذلك كالتفكير في أمور الخير ولأجلها، وفي أصول الدين والاعتقاد بها.

والإنسان الذي يرغب في دخول الجنة وسعادة الدنيا والآخرة، لا بدّ من أن يجتدّ كل المجالات الثمانية في الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى وأوامر أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) والتي تنبثق من أوامر الله تعالى أيضاً، بل هي هي لقوله تعالى: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)) (٣) ولما ورد: (أهل بيت النبوة وموضع الرسالة) (٤).

وأما العقل فليس علّة مباشرة، بل بسبب إحدى السوابق، وإن كان هو لا يتوجه بذاته إلا إلى الله وإلى أوامره.

أما من يصرف بعض مواضعه السبعة، في معصية الله ومعصية أوامر رسله وأوصيائهم (عليهم الصلاة والسلام) فهو يفتح على نفسه باباً أو أكثر إلى النار، أعادنا الله منها.

١- أما الشامة فلا مدخلية لها إلا نادراً جداً - كشمّ الطيب في الحج -.

٢- قال تعالى في وصف المؤمنين: (والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) [المؤمنون: ٥].

٣- النجم ٣ - ٤.

٤- الزيارة الجامعة الكبيرة.

هذا كله حسب الاحتمال، ولكن في بعض الروايات، إشارة إلى ما يظهر منه توزع أبواب الجنة حسب الصفات النفسانية، إذ ورد أن أبواب الجنة، منها باب الرحمة ومنها باب الصبر ومنها باب الشكر ومنها باب البلاء، والباب الأعظم لأهل الزهد والورع والراغبين إلى الله عز وجل المستأنسين به (١).

وهناك روايات أخرى تشير إلى أن أبواب الجنة الثمانية، متعددة بلحاظ أصناف الأفراد: (إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا... وباب يدخل منه سائر لمسلمين ممن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغض أهل البيت (عليهم السلام)) (٢) ولعل ذلك بعد امتحانه في الآخرة.

وهناك طائفة ثالثة من الروايات من أمثال: (من صام من رجب يوماً واحداً من أوله أو وسطه أو آخره، أوجب الله له الجنة، وجعله معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن صام يومين من رجب، قيل له استأنف العمل، فقد غفر لك ما مضى، ومن صام ثلاثة أيام قيل له: قد غفر لك ما مضى وما بقي، فاشفع لمن شئت من مذنبين أخوانك وأهل معرفتك، ومن صام سبعة أيام من رجب أغلقت عليه أبواب النيران السبعة، ومن صام ثمانية أيام من رجب فتحت له أبواب الجنة الثمانية فيدخلها من أيها شاء) (٣).

وغير خفي أن أمثال هذه إنما هو بنحو المقتضي.

وروايات تقوم بالتوزيع حسب نوعية الوظيفة والمسؤولية التي قام بها الشخص، فمثلاً: (إن للجنة باباً يقال له باب المجاهدين...) (٤) و (إن في الجنة باباً يدعى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون) (٥).

وهناك روايات تشير إلى أعداد أكبر، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (.. إن للجنة إحدى وسبعين باباً.. وطبقاتها ثمانية) (٦).

وقد يجمع بين هذه الروايات بأحاء:

منها: إن هنالك أبواباً رئيسية وأخرى فرعية، فالأبواب الرئيسية ثمانية في كل واحد منها العديد من الأبواب الصغيرة.

ومنها: إن الأبواب الثمانية وكذا السبعين يراد بها طبقات بعضها فوق بعض، كما في بعض الروايات ولكل منها أبواب.

ومنها: إن للأبواب جهات عديدة وحيثيات مختلفة أو مراتب متعددة.

ومنها: إن ما كان بلحاظ الصفات أو الأعضاء يتطابق مع ما كان بلحاظ الأفراد، ولو باعتبار أبرزها، فباب المجاهدين يتطابق مع باب الصبر مثلاً، فالتعدد في العناوين والتطابق عموماً وخصوصاً مطلقاً أو من وجه في المصديق.

١- راجع أمالي الصدوق: ص ١٧٧ ح ١ (المجلس الثامن والثلاثون) ط بيروت.

٢- الخصال: ٢٤٠٨/٢ ح ٦ (باب الثمانية) ط قم.

٣- مالي الصدوق: ص ١٥ ح ١ (المجلس الثاني) ط بيروت.

٤- بحار الأنوار ١٨٦/٨.

٥- بحار الأنوار ١٩٤/٨.

٦- كفاية الموحدين ٣٧٦/٣ الفصل الثامن عشر في أوصاف الجنة.

ويمكن إدراج ما ذكرناه من التقسيم بلحاظ الأعضاء في تلك العناوين الأخرى أيضاً (١) فتأمل.

١- مثلاً الصبر يشمل صبر اللامسة والسامعة والباصرة و.. عن معصية لله وهكذا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الملامسة محطة للشكر والبلاء والصبر و... فكل من مفردات الطرفين تصلح محطة لكل أو غالب مفردات الطرف الآخر.

(فَارْزُوا وَسُعدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)

الضلالة والشرّ وضمهما ودور الله أو الإنسان فيها

مسألة: من المعلوم أن الاهتداء والفوز والسعادة الأخروية، بل وحتى الدنيوية وعكسها، بيد الإنسان نفسه بعد هداية الله سبحانه.

قال جل وعلا: ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)) (١).

وقال تعالى: ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)) (٢).

وقال سبحانه: ((لَوْ أَنَّ أَهْلَ الثَّرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ)) (٣).

وقال تعالى: ((مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)) (٤).

ومعنى إضلاله سبحانه، تركه وشأنه، من قبيل: أفسد الوالد ولده والحكومة الناس، إذا تركت الحكومة الناس وشأنهم حتى يفسدوا وإن لم تقم هي بالتخطيط للإفساد، بل كان مجرد تركهم، وترك الوالد ولده حتى يفسد، ولكن إنما يكون ذلك بعد هداية الله وعدم قبول الإنسان للهداية، كما فصلناه في بعض كتبنا الكلامية في بابي الضلال والهداية.

ثم إن الله سبحانه وتعالى لا يريد بأحد شراً أو سوءاً، بل يريد الخير للجميع، كما لا يريد مشكلة لأحد بما هو هو، وبما هي هي، ولذا ورد في سورة القدر ((سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)) (٥) فإن كل ما ينزل من السماء إلى الأرض هي السلامة، وإنما الناس - بسوء تصرفاتهم - يجلبون لأنفسهم الشر، كالفقر والمرض وما أشبه ذلك، فإنها بيد الإنسان نفسه أو بيد بني نوعه، وإنما يوقع الإنسان نفسه في الشر بهذه الأسباب.

نعم قد يكون السبب في إيقاع الإنسان في مشكلة: التكفير عن ذنوبه كي لا يبتلى بالعقاب الأشد في الآخرة، أو رفعة درجاته، كمن يوقع نفسه في مشاق السفر رغبة في الربح والتجارة.

وربما كان السبب في الوقوع في المشكلة، الأثر الوضعي لتصرفاته هو، فتكون المصائب التي تترى عليه، نتيجة لذلك وإن لم يعلم هو بالترابط بين الأمرين، ف (من زرع حصد) حنظلاً كان أم ورداً.

لا يقال: فماذا تقولون فيما ورد في الدعاء: (أكرمني بهوان من شنت من خلقك ولا تهني بكرامة أحد من

١- الروم: ٤١.

٢- الطلاق: ٢.

٣- الأعراف: ٩٦.

٤- الكهف: ١٧.

٥- القدر: ٥.

أوليائك؟(١)

فإنه يقال: مثالهما مثال من يطلب من قائد الجيش أن لا يرسه في المهمات الصعبة، بل يكلف غيره بها، فيما لا بد من خوضه لنجاة الجيش أو الشعب، فإذا كان هنالك هوان لا بد منه، فإن هذا الداعي يطلب من الله سبحانه أن لا يكون هو الذي يُهان وغيره يُكرم، بل يكون هو المكرم وإن كان غيره يهان.

والتعبير بـ (من شئت) قد تكون حكمته الإشارة إلى أن انتخاب البديل، حيث كان من الله تعالى، فإن من الطبيعي أن يحل الله سبحانه الهوان في المحل القابل، وفيمن يستحق ذلك أو فيمن تقتضي الحكمة ذلك وإن لم يكن مستحقاً، وهذا الداعي وإن كان يستحق ذلك إلا أنه بالدعاء يريد أن يرفع ذلك الاستحقاق أو تغيير وجه الحكمة، فيما كان من قبيل ما هو مكتوب في لوح المحو والإثبات، لا اللوح المحفوظ، وتفصيل هذه المباحث في الكتب الكلامية(٢) وإنما أردنا الإلماع إليها حسب ما يقتضيه المقام.

١- بحار الأنوار ٣٧٥/٩٧ ب ٣ ح ١.

٢- راجع (شرح المنظومة) و(القول السديد في شرح التجريد) للمؤلف (قدس سره).

(وَرَبَّ الْكَعْبَةِ)

الكعبة ومكانتها

مسألة: يستحب التركيز على الكعبة المكرمة ومكانتها وتوجيه الناس إليها، وبيان أن للكعبة - زادها الله شرفاً - حرمة ومنزلة خاصة، ولذا أقسم علي (عليه السلام) برب الكعبة مرتين، ولم يقسم برب الصفا والمروة أو المزدلفة مثلاً.

والقسم برب الكعبة تركيز عليها وتوجيه إليها وتحريض على احترامها وبيان لعظمتها، وبذلك يلتفت الناس حولها ويكونون بذلك قياماً في طاعة الله تعالى في مختلف شؤونهم: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والدينية وغيرها. ولذا قال سبحانه: ((جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ)) (١)(٢). وقال تعالى: ((لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)) (٣).

خاتمه

وفي ختام هذا الفصل نشير إلى أن الأحكام والعبر التي استنبطناها من حديث الكساء، كانت عبر الإستناد إلى الدلالة المطابقية والتضمنية والإلتزامية ونحوها، كما ألمعنا إليه في المقدمة.

التدبر والتفكر والإستنباط في القرآن

ويمكن أن يستخرج أكثر ما ذكرناه من الأحكام عبر (التدبر) و (التفكر) و (الإعتبار)، فقد ذكر الأول في القرآن الحكيم في أربع آيات، والثاني في ثمانية عشر موضعاً، والثالث في سبع آيات، والقرآن يؤكد على الإجتهد والإستنباط، قال سبحانه: ((لَعَلَّكَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ مِنْهُمْ)) (٤).

ولذا أكثر من حديث (العقل) و (التعقل) وجاءت الإشارة إلى ذلك في تسع وأربعين آية. وتحدث عن (القلب) - والمراد به ذلك أيضاً - في مائة واثنين وثلاثين آية.

١- المائدة: ٩٧.

٢- راجع أيضاً كتاب (خواري عن القرآن ج ١ ص ٤١٩ فصاعداً) لأخ الإمام المؤلف، آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره).

٣- الحج: ٢٨.

٤- النساء: ٨٣.

وعن (اللب) - وهو جوهر الإنسان وحقيقتة، والمراد به العقل أيضاً، مع اختلافهما في اعتبار أن العقل من العقال، واللب هو جوهر الشيء، معرَى عن الحواشي وشبهها - في ستة عشر موضعاً.
وعن (النهي) - بمعنى العقل لأنه ينهى الإنسان عن الرذائل - في اثنتين، وعن (الفقه) في عشرين، وعن (الحكمة) في تسع عشرة آية، إلى غير ذلك.

تجسّم الأعمال

ولا بأس أن نشير ههنا إلى أن ما ورد من أن الفكرة السيئة تفوح منها رائحة خبيثة، وما ورد من تجسّم الأعمال في الآخرة وفي القبر وما أشبه ذلك واضح، حتى حسب الموازين الطبيعية المتعارفة، فكيف بغيره فإن كل عمل يصدر من الإنسان حتى تفكره وسماعه ورؤيته وشمه وذوقه ولمسه، إنما يكون من تحول المادة إلى الطاقة - على الإصطلاح - أي عبر تحول جزء من الطعام والشراب إلى قوة وطاقة تنتشر في أرجاء الجسد وتعد وقود الأعمال والأفكار، فإن الأذن تأخذ نصيبها من الطاقة حتى تسمع، والعين كذلك حتى تبصر، واللسان حتى يتكلم، والجسم حتى يلمس وهكذا.

ومن المعلوم إن تلك الأطعمة أجسام، والجسم قابل للتقلص والتمدد والتشكل والتلون والتغير والتحول، كما نشاهد في الفواكه وسائر الموالييد (١) حيث إن الماء والتراب والنور والهواء تتشكل من مليارات من المواد أو الجزيئات (٢) والأطعمة والروائح والخواص، ولذا ورد إن المغتاب تقياً من فمه، وإن العمل يتجسّم كلباً إذا كان سيئاً، ومنع الزكاة يتشكل ثعباناً، وقد قال سبحانه: ((إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) (٣) ف (ما) هو الجزاء لا سبب الجزاء ولذا لم يقل (بما) فهو هو جزاء إلى غير ذلك من الآيات والروايات والمؤيدات.

وأولياء الله تعالى من الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وصالحى العباد، أمثال سلمان وربما مؤمن آل فرعون (٤)، يرون تلك الأشكال الواقعية، ولذا أحسن الإمام علي (عليه السلام) بالرياح الشديدة من حركة الملائكة في ليلة بدر.

ويمكن بإرادة الله تعالى تبدل الجسام اللطيفة والواقعيات إلى أجسام كثيفة وشبهها، كما جمع الإمام (عليه السلام) زغب الملائكة، وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر، تقريباً لرؤيتهم وسماعهم واستشمامهم (عليهم السلام) لما لا ندرك.

ولذا قال النبي يعقوب (عليه السلام) رغم كون البون بعيداً والمسافة شاسعة: ((إِنِّي لِأَجْدُ رِيحَ يُوْسُفَ)) (٥).

١- الموالييد اصطلاح متداول في كتب الفلسفة سابقا ويعني النبات والحيوان والإنسان.

٢- كالـ (فوتون) - حسب العلم الحديث -.

٣- الطور: ١٦.

٤- قال تعالى: ((بِالْيَتِ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)) [يس: ٢٦ - ٢٧] والذي فسرتة بعض الروايات بأنه رأى مكانه في الجنة.

٥- يوسف: ٩٤.

للحواس والإدراكات درجتان

ومما ذكرنا يتلخص ما يلي:

الأول: إن الحواس الظاهرة، والفهم والإدراك، لها درجتان:

الأولى: الدرجة الطبيعية المعهودة كروية الأشياء إلى مقدار محدد، وسمع الأصوات إلى مسافة وقدر معين وهكذا، ويلحق بهذا القسم تطوير الحاسة بالمباشرة أو الواسطة كروية الأبعد بواسطة النظارة والتلسكوب مثلاً، وسماع الأبعد بواسطة المكبرة الصوتية السمعية والأذاعية.

الثانية: الدرجة الغيبية، كروية باطن الإنسان وحقيقتها وسماع أصوات الملائكة والأموات، وهذه الدرجة تختص بأولياء الله سبحانه ممن أراد الله تعالى له ذلك، وهكذا حال الفهم الطبيعي العادي والفهم الغيبي، فالفهم درجتان.

ظاهر الإنسان وباطنه

الثاني: إن الإنسان له ظاهر وباطن، فظاهره هذا الذي نشاهده وندرکه بالآلة أو بدون الآلة، وباطنه هو قالبه المثالي الداخل في هذا الجسم، كدخول الماء في النباتات والحيوانات وشبهها، والزجاج في الحجر. وذلك الباطن قد يكون متطابقاً مع الظاهر، وقد يكون متخالفاً معه، بان يكون ظاهره انساناً وباطنه قرداً أو كلباً أو خنزيراً حسب صفاته النفسية، ولذا رأى أبو بصير جملة ممن وقف بعرفات على غير صورتهم الإنسانية، وقال له الإمام (عليه السلام): (ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج) (١) إلى غيرها من الروايات المتواترة. ويستفاد من بعض الروايات: إن الناس يحشرون يوم القيامة بتلك الصورة الباطنية، حسب صفاتهم التي اكتسبوها في هذه الدنيا (٢).

ومثال هذين الأمرين: مثال من يقرأ الحمد وهو يفكر في تجارته أو دراسته، فظاهره شكل وباطنه شكل آخر، أو بالعكس يتاجر في محل تجارته وباطنه مشغول بالله سبحانه، حيث يكون ظاهره عادياً وباطنه نورانياً، ولعل ما ورد من (إن الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم) (٣) إشارة إلى هذين الأمرين. سبحانه ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد والله الطاهرين.

محمد الشيرازي

قم المقدسة

١- سفية البحار: ٧١/٢ (باب الضاد) ط نجف.

٢- راجع بحار الأنوار: ٢٢٩/٦.

٣- راجع بحار الأنوار: ٢٤٨/٧٠ ب ٥٤ ح ٢١.

